القمة الـ ١٥

اليسار

راية المستضعفين فى الأرض

اليسار / العدد ١٠٠ / يونيه ١٩٩٨ م / صفر ١٤١٩ هـ / الثمن : ٣ جنيهات



إهدار حقوق عمال العاشر من رمضان

معاناة الأمهات العاملات وأطفال المفاتيح

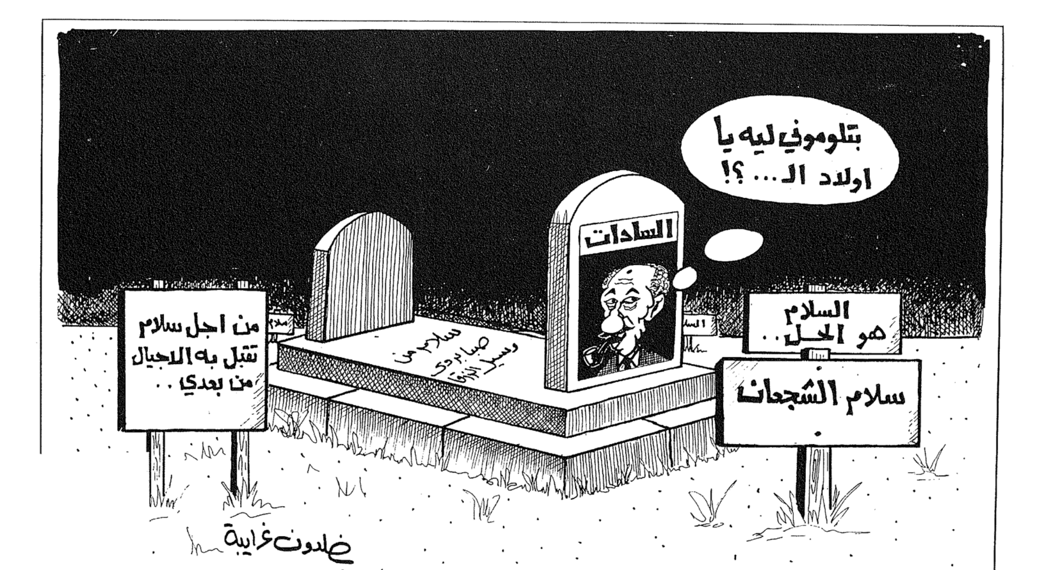
أقباط المهجر

الأفكار الأمريكية لا تقدم حلا

الحب على فوهة بندقية

أبناء سوهارتو يملكون كل شىء فى البلد.. الطرق والمطارات والفنادق وسيارات التاكسى و..و

أمريكا بلطجى دولى يحمل هراوات نووية



بتلوموني ليه يا
اولاد الـ... ؟!
السادات
السلام
هو الحل..
سلام الشجعان
من اجل سلام
تقبل به الاجيال
من بعدي..
خلدون غرايبة



فى هذا العــدد

رئيس التحرير
حسين عبد الرازق
المستشارون
ابراهيم بدراوى
أحمد نبيل الهلالى
د. خليل حسن خليل
د. رفعت السعيد
صلاح عيسى
عادل غنيم
عبد الغفار شكر
عبد الغنى أبو العينين
محمد وفاء حجازى
محمود أمين العالم
شارك فى التأسيس:
د. فؤاد مرسى

اليسار : منبر ديمقراطى يصدر عن حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى فى اليوم الأول من كل شهر.

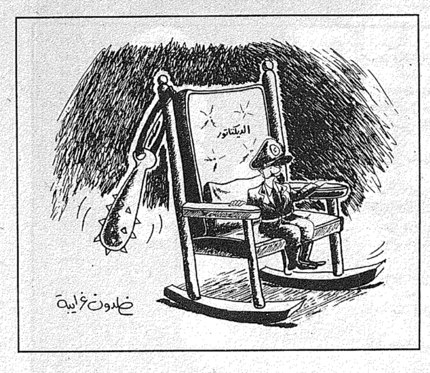
ALYASSARIKARIM
EL DAWLASTTALAAT
HARB SQ
CAIRO / EGYPT

الاشتراكات : لمدة سنة واحدة
مصر: ٢٤ جنيها للأفراد و٦٠ جنيها للهيئات
الوطن العربى : ٥٠ دولارا أمريكيا أو مايعادلها.
العالم : ١٠٠ دولار أمريكى أو مايعادلها.
ترسل القيمة بشيك مصرفى أو حوالة بريدية إلى إدارة المجلة.

الادارة والتحرير: ١ شارع كريم الدولة ميدان طلعت حرب - القاهرة
ت : ٥٧٥٩١٥٢ - ٥٧٥٩٠١١ - ٥٧٥٩٢٨١ - فاكس: ٥٧٨٦٢٩٨
FAX : 5786298

لليسار در

"اليسار" بثلاثة جنيهات !



بهذا العدد تكمل مجلة " اليسار" راية المستضعفين فى الأرض مائة عدد . منهما عددان لم يصدرا - العددان ٦٩ و٧٠ - نتيجة لاضطرار اليسار للتوقف بسبب الأزمة المالية . وكنا نود فى هذه المناسبة أن نسجل لقارئنا العزيز أخبارا مفرحة .. ولكن.

فالأزمة المالية مستمرة ومتصاعدة منذ بداية هذا العام . ورغم وعود كثير من الأصدقاء - وهم صادقون فى وعودهم - فالتنفيذ مازال بطيئا وعاجزا عن ملاحقة الأزمة.

ومع ذلك فلم نفقد الأمل بعد.

ونكرر النداء للأصدقاء فى مصر الذين انضموا لجماعة أصدقاء اليسار أن يسارعوا بالوفاء بوعدهم بالدعم السنوى للمجلة.

وندعو أصدقاء اليسار فى الوطن العربى والعالم أن ينشطوا من أجل حملة اشتراكات فى اليسار ، ستمثل عنصر دعم كبير لنا ، سواء من الأفراد أو مراكز البحوث أو الجامعات . أن ٢٠٠ إشتراك جديد من الوطن العربى كفيلة بحصار الأزمة وتخفيفها بشدة.

وقد اضطررنا - اعتبارا من هذا العدد - لرفع سعر المجلة **إلى ثلاثة جنيهات شهريا** . وكما قال أحد الأصدقاء وهو يلح علينا فى اتخاذ هذا القرار .." إنه ثمن علبة سجائر واحدة ".وأضاف .." أعتقد أن المادة التى تقدم فى اليسار تساوى لدى القارئ الجاد ثلاثين جنيها وليس ثلاثة جنيهات".ولاندرى هل تقدير الصديق صحيح أم مبالغ فيه .

على كل فهذا العدد (العدد ١٠٠) يحمل للقارئ وجبة دسمة - إذا جاز التعبير- من الموضوعات والقضايا والآراء فى كافة المجالات (راجع فهرس العدد) . وقد يكون مفيدا أن نلفت النظر إلى بعضها لما تمثله من أهمية خاصة .

فهناك الدراسة الهامة التى كتبها **د. فوزى منصور** عن تحرير الجنوب أو" الموجة الثانية لحركة التحرر الوطنى".. وهى دراسة تحتاج إلى اشتباك وحوار من كافة القادرين على هذا النوع من الدراسات الشاملة التى تتناول ظواهر عميقة وأساسية فى عالمنا .

وهناك الرسائل الخارجية والتى تضيف الينا معرفة جديدة عميقة نفتقدها فى الصحافة المصرية والعربية غالبا .. سواء رسالة **أحمد الخميسى** من موسكو حول الروس واليهود والصهيونية ، أو رسالة **سمير كرم** من واشنطون ، حول حقيقة الدور الأمريكى (البلطجى الدولى) فى العالم ، أو رسالة **نبيل يعقوب** عن الانتخابات الألمانية ، ورسالتى باريس ولندن ..

ونضيف لها مقال **محمد جمال إمام** عن " معاناة الأمهات العاملات وأطفال المفاتيح " فى الولايات المتحدة.

ويواصل **د. أحمد محمد صالح** " نضاله" من أجل التأكيد على ثقافة التكنولوجيا والمعلومات وحيويتها للتقدم . مساندا بقوة الحاج **د. سمير حنا صادق** على العلم الصحيح ومواجهة الخرافة والشعوذة.

وللعدد الثالث على التوالى يدور الحوار حول مشروع برنامج حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى ، وخاصة الفصل الخاص باشتراكية المستقبل . وهى ظاهرة صحية نأمل أن تستمر ويشارك فيها الجميع .

كل ذلك بالاضافة إلى الهم العربى والهم المصرى وهناك موضوعات عديدة حولهما .

ونرجو أن ينتهى قراء اليسار من قراءة هذا العدد بسرعة قبل أن تهاجمهم حمى كأس العالم.

اليسار

موقفنا

مطلوب استراتيجية عربية «مقاومة»

فى نهاية اليوم الأول لزيارة الرئيس **«حسنى مبارك»** لفرنسا (١٨ مايو ١٩٩٨) أذاع الرئيس مبارك والرئيس الفرنسى **«جاك شيراك»** نداء من أجل السلام فى الشرق الأوسط، عبر عن قلقهما البالغ إزاء استمرار حالة الجمود فى عملية التسوية السياسية (السلام بتعبيرهما) على جميع مساراتها، وخاصة غياب إحراز أى تقدم على المسار الفلسطينى. ورحب النداء بالدور الفلسطينى الايجابى على المقترحات الأمريكية الأخيرة (**راجع الخطوط العريضة لهذه المبادرة فى اليسار -عدد مايو ١٩٩٨ -صفحة ٥**)، وطالبا الحكومة الاسرائيلية بالرد بشكل إيجابى وبناء على تلك المقترحات.

وأكد البيان أنه لا يمكن ضمان الأمن إلا من خلال إقامة سلام عادل ودائم وشامل فى الشرق الأوسط، يرتكز على التنفيذ الأمين لاحكام قرارات مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨ و٤٢٥، والمبادئ التى تم الاتفاق عليها فى مدريد- الأرض مقابل السلام، وضمان الحقوق السياسية المشروعة للشعب الفلسطينى «ومن وجهة نظرنا فإن ذلك لابد أن يقود إلى حصول الشعب الفلسطينى على حقه فى إقامة دولته المستقلة تأسيسا على حقه فى تقرير المصير».

ويقترح النداء فى النهاية ..«**عقد مؤتمر للدول التى تصر على إنقاذ السلام على أساس أن يؤكد ويدعم كل المبادئ والاتفاقات القائمة**».

وقد بدأت فرنسا ومصر اجراء مشاورات دولية وعربية لعقد هذا المؤتمر خلال خمسة أسابيع. وطبقا لتصريحات المسئولين فى البلدين، فلن تحضر الاطراف المعنية(فلسطين -اسرائيل- سوريا- لبنان) هذا المؤتمر -على الأقل فى المرحلة الأولى- وستدعى للمشاركة فيه كل الدول المهتمة بإنقاذ عملية التسوية السياسية الحالية بما فى ذلك الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأعضاء الدائمين فى مجلس الأمن(خاصة روسيا) وممثلين عن الاتحاد الأوروبى.

وبلا شك فى أن هذه الخطوة التى تبدو مقبولة أمريكيا وفلسطينيا ومرفوضة اسرائيليا، تشكل **تحركا هاما فى إطار التحرك الدبلوماسى المصرى والعربى لانقاذ عملية التسوية السياسية** -التى بدأت بمدريد فأوسلو فالقاهرة فأوسلو(٢) فالخليل -فى جانبها الفلسطينى، ولدعم المبادرة الأمريكية لاستئناف المباحثات الاسرائيلية الفلسطينية لتنفيذ اعادة الانتشار الثانى والدخول فى مباحثات المرحلة النهائية.

ولكن هل هناك بالفعل امكانية لاعادة الحياة للتسوية السياسية على أسس مدريد وأوسلو..؟!.

وهل المبادرة الأمريكية -التى قبلها الفلسطينيون فورا تمثل خطوة للامام فى إطار اتفاقية أوسلو.

إن التأمل الدقيق فى المبادرة الأمريكية -التى لم تقدم رسميا -والتى تقبل ادخال تعديلات وتحسينات عليها قبل تقديمها، يقودنا إلى حقيقة الخطر الذى تنزلق إليه جميعا باعتبارها غاية المراد من رب العباد.

فمقابل الانسحاب الاسرائيلى من ١٣٪ (أو ١١٪) فى حالة قبول نتنياهو للأفكار الأمريكية ،**فسيتم عمليا اطلاق يد نتنياهو فى التوسع فى الاستيطان، والقفز على موضوع التواصل بين مناطق الحكم الذاتى، والبدء فورا- فى مفاوضات الوضع النهائى.**

فالمقترحات الأمريكية- الحالية- لا تتضمن أى إشارة لوقف الاستيطان، أو حتى تنفيذ الرغبة الأمريكية القديمة بعمل «وقت مستقطع» أو «تايم أوت» تتوقف خلاله عملية الاستيطان.

واهمال عملية التواصل بين المدن الفلسطينية التى خرجت منها القوات الاسرائيلية المحتلة والمدن والقرى التى انسحبت منها (المنطقة ب)مع حق العودة، مسألة بالغة الخطورة وتؤثر على احتمالات اقامة الدولة الفلسطينية.

وبدء مباحثات الوضع النهائى قبل استكمال الانسحابات الاسرائيلية من الضفة(المرحلة الثانية والثالثة) طبقا لاتفاقات أوسلو ، يعنى أن يفاوض الفلسطينيون و٦٠٪ من الأرض الفلسطينية فى الضفة ما زال تحت سيف الاحتلال.

باختصار فالانتصار فى معركة ال ١٣٪ وارغام نتنياهو على قبول الافكار الامريكية -حتى قبل تنقيحها- كارثة بكل المقاييس(راجع رسالة القدس صفحة٤٤).

أهم من هذا كله أن عملية التسوية السياسية الحالية قد ماتت وانتهت منذ سنوات طويلة ،لقد ولدت بعيب خلقى قاتل وساعد على دفنها أسلوب التحرك الفلسطينى والعربى القائم على تقديم التنازلات لاسرائيل عبر الراعى الامريكى ، أملا فى موقف حاسم -لم ولن يأتى-من الادارة الأمريكية.

والحل- كما تطرحه قوى مصرية وفلسطينية وعربية عديدة- هو استخدام أوراق الضغط العربية.

قد يكون مؤتمر السلام خطوة أو مقدمة ، ولكن الاوراق الحقيقية تتمثل فى عدة خطوات متكاملة.

أ- اعادة الحياة والاعتبار للمقاومة الفلسطينية والعربية ضد الاحتلال الاسرائيلى فى فلسطين ولبنان والجولان وتقديم دعم عربى حقيقى وفعال للمقاومة.

ب- المقاطعة الاقتصادية والسياسية والثقافية لاسرائيل بدءا بتجميد مصر والاردن (وبقية الدول العربية) لكافة الاتفاقات والعلاقات مع اسرائيل.

ج- تصعيد الحملة الشعبية المعادية للتطبيع والمطبعين.

د- فرض عقوبات اقتصادية على اسرائيل والانتقال بالقضية إلى مجلس الأمن للحصول على قرارات جديدة تنقل قرارات المنظمة الدولية من دائرة الفصل السادس إلى دائرة الفصل السابع الذى يتيح فرض عقوبات دولية على اسرائيل» كما اقترح **ابراهيم نافع** فى مقاله يوم الجمعة ٢٢ مايو.

ونقطة البدء هى الدعوة لقمة عربية جديدة تتبنى هذه الاستراتيجية المقاومة.

حسين عبد الرازق

تراجع سقف التسوية فى الطرح العربى الإسرائيلى من ١٩٤٧ حتى ١٩٩٧ .. العوامل المحلية والداخلية


عرفات وبيريز بعد أوسلو

إنه طريق طويل شديد الوعورة ومعبد بالآلام والدماء ، ذلك الذى سارت فيه الأمة العربية ، تدافع عن قضية الوطن المغتصب فى فلسطين كان الطريق ولايزال تكتنفه الصراعات والصعوبات عند كل منحنى وكل مفترق ، من سياسات قوى عظمى إلى أطماع مشروع توراتى صهيونى واضح النوايا مصمم على تحقيق أهدافه .. بينما النخب العربية التى قادت الصراع كانت قد نجحت وأنجزت فى المواجهة بعضا من الوقت ثم فشلت وترنحت فى الكثير منه.

ماهو موقف النخب العربية من التطور التاريخى لقضية تسوية الصراع العربى الإسرائيلى ؟ كيف كان الأداء وماهى عوامل الإخفاق ؟

منذ تفجر الصراع العربى الصهيونى حول فلسطين ، جرت محاولات عديدة لإيجاد نوع من التسوية بين طرفى النزاع ، وقد رفض العرب والفلسطينيون كافة " الصيغ" التى طرحت قبل عام ١٩٤٨ ومن بينها **قرار الأمم المتحدة الصادر عام ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين إلى دولتين** إحداهما فلسطينية والأخرى يهودية . وكان الرفض قائما على أساس أن قبول التقسيم معناه إعطاء شرعية لعملية الإستيطان الصهيونى الإحلالى فى فلسطين على حساب شعبها الأصلى وحقوقه المشروعة ومنها حقه فى تقرير مصيره .

وعقب إعلان إسرائيل قيام الدولة فى مايو ١٩٤٨ ، دخلت بعض الجيوش العربية الحرب وانهزمت بسبب عدم الاستعداد وإرتباك التخطيط وعدم التنسيق بين الجيوش العربية واختفاء الرؤية الموحدة ثم خيانة بعض الحكام العرب وفساد الآخرين . ولإن نتائج الحروب هى التى تقرر الواقع ، فان إسرائيل استطاعت الاستيلاء على" أراض" تتجاوز الحدود التى رسمها قرار التقسيم للدولة اليهودية **كما طردت مايزيد عن مليون فلسطينى من قراهم وأراضيهم ليحل محلهم** المهاجرون اليهود(١)

واتعكس ذلك على أول مفاوضات بين العرب وإسرائيل عام ١٩٤٩ فى جزيرة رودس ، حيث انتهت بتوقيع حكومات مصر والأردن وسوريا ولبنان على اتفاقات هدنة" مع حكومة إسرائيل ثم على " **بروتوكول لوزان" ، وهذا التوقيع هو بمثابة إقرار بوجود إسرائيل ، وبموافقة الحكومات العربية الأربع على مشروع التقسيم الذى كانت الدول العربية قد اعترضت عليه عام ١٩٤٧(٢)**

من مشروع " ألفا" عام ١٩٥٤ إلى حرب السويس ١٩٥٦

تقدمت الولايات المتحدة بهذا المشروع "مشروع ألفا " إلى حكومة ثورة ٢٣ يوليو فى مصر متضمنا إجراء بعض التعديلات فى خطوط الهدنة لتصبح بعد ذلك خطوطا دائمة مع عودة **٧٥ ألف لاجئ فلسطينى** وتعويض الباقين وإخضاع القدس لإشراف الأمم المتحدة منزوعة السلاح ، مع تقديم الولايات المتحدة وبريطانيا مساعدات عسكرية واقتصادية إلى مصر من بينها تمويل مشروع إقامة السد العالى (٣) - **وقد رفضت إسرائيل المشروع خاصة عندما تمسك عبد الناصر بضرورة تعديل خطوط الهدنة بما يسمح للأمة العربية بالاتصال البرى بين المشرق والمغرب** وكذلك التمسك بعودة اللاجئين جميعا ، وكان **رد بن جوريون** هو طلب عقد لقاء مباشر مع **عبد الناصر** الذى رد بدوره رافضا فكرة اللقاء. (٤)

ويظهر لنا صلابة الموقف المصرى الخارجى والذى كان يتطلع إلى تحقيق خطوات اقتصادية طموحة من إصلاح زراعى وتصنيع وتحقيق دفعة قوية فى البنية الأساسية والرعاية الصحية والخدمات ، فى نفس الوقت الذى شهدت فيه الجبهة الداخلية صراعات شرسة مع كافة القوى السياسية سواء **شيوعيين أو اخوان مسلمين أو ليبراليين** بل داخل الجيش ومجلس قيادة الثورة ذاته .

ولم يكن أفضل فى سوريا ، فالصراع الداخلى بين الأحزاب السياسية كان مستعرا مع تعدد الانقلابات العسكرية وتزعزع الاستقرار.

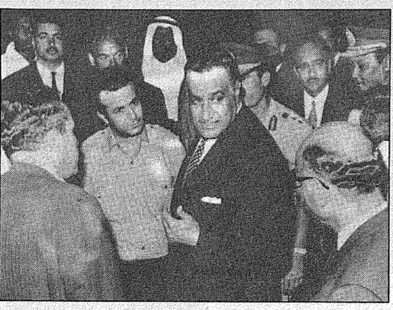
ونعود إلى الموقف الخارجى لمصر التى عقدت إتفاقية سميت **بصفقة الأسلحة التشيكية** رداً على الهجمات الإسرائيلية المتكررة على الحدود الشرقية وتراخى الولايات المتحدة فى إمداد مصر بالسلاح ، وقد أزعج ذلك الإدارة الأمريكية فقامت بسحب تمويلها لمشروع السد العالى وكان رد

نادية رفعت

عمرو كمال حمودة

عبد الناصر هو تأميم قناة السويس وكان هناك توقع لحدوث عدوان عسكرى من بريطانيا وفرنسا ، ولكن **كانت هناك أيضا حسابات سياسية وعسكرية خاطئة على الجانب العربى.**

يقول **محمود رياض**" خلال مناقشتى مع قادة الأحزاب السورية كان هناك إجماع باستبعاد اشتراك إسرائيل فى هذا العدوان وبأن تواطؤ بريطانيا وفرنسا مع إسرائيل ينهى دورهما السياسى فى المنطقة ، **ولذلك كان عدوان القوات الإسرائيلية على مصر يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ مفاجئاً سواء فى القاهرة أو دمشق (٥)** وفى الجانب العسكرى اضطرت القوات المصرية للانسحاب من سيناء بسبب عدم الاستعداد للحرب وبسبب اعتناقها لعقيدة الدفاع الثابت بدلا من الدفاع المرن ، وتكفل الإنذار الروسى والإنذار الأمريكى بالسيطرة على اتساع الحرب ثم وقفها وإعادة الجيش الإسرائيلى للخلف.



عبد الناصر وفاروق قدومى ومحمود رياض ومسئولون عرب

من حرب السويس ١٩٥٦ إلى هزيمة يونيو ١٩٦٧

طوال تلك الفترة كانت هناك اتصالات رسمية من جانب الرئيس الأمريكى **جون كيندى مع جمال عبد الناصر** لتحقيق صلح بين العرب وإسرائيل **ولكنها لم تثمر عن شئ(٦)**

وأصبح **جمال عبد الناصر** من بعد حرب السويس زعيما للعرب ولمصر ومعبرا عن الآمال العربية فى التحرر والاستقلال وإنهاء عصر الاستعمار التقليدى. وفى نفس الوقت كانت الرؤية غير واضحة بالنسبة للتطور السياسى ، فتقلبت الحياة السياسية مابين هيئة التحرير إلى الاتحاد القومى ثم الاتحاد الاشتراكى ، **وكانت هناك ازدواجية فى السلطة مابين سلطة عبد الناصر السياسية وسلطة المشير عبد الحكيم عامر على الجيش** الذى كان مؤسسة منفصلة كثيرا مادخل منفردا الحلبة السياسية (استخدامه فى تسوية الصراع السياسى مع كبار الملاك فى الريف أوفى القبض على الكوادر الناصرية داخل المعهد الاشتراكى ومنظمة الشباب) وظهرت فكرة النموذج الغربى للاشتراكية والطريق اللارأسمالى ونجاح الخطة الخمسية الأولى(١٩٦٠ -١٩٦٥)والقبض والزج فى السجون والمعتقلات بالقوى السياسة من اخوان مسلمين وشيوعيين وليبراليين وكذلك العزل السياسى للساسة الذين شاركوا فى الحياة السياسية قبل ثورة يوليو ١٩٥٢،

ودخلت مصر حرب اليمن ووصلت الانقسامات العربية إلى أبعد حد وهو تخصيص (كما يقول هيكل) دور فى حرب اليمن لإسرائيل إلى جانب القوات الملكية المحافظة المعادية للنظام اليمنى الجمهورى(٧)

وعلى صعيد آخر لم يلتفت أحد على الإطلاق للتحذيرات المتتالية التى أطلقها الفريق **على على عامر** القائد العام للقيادة العربية الموحدة منذ سبتمبر ١٩٦٤ عن ضعف الجبهة الشرقية التى تضم الأردن ولبنان وسوريا إلى أن طلب " عقد جلسة الدفاع المشترك فى دورة طارئة فى ديسمبر ١٩٦٦ وقدم لأعضائه تقريرا كتابياً أوضح فيه خطورة الموقف بعد قيام الولايات المتحدة بدعم إسرائيل بصفقات الأسلحة مباشرة الأمر الذى لم يحدث من قبل، **وتوقع قيام إسرائيل بعدوان تركز فيه هجماتها الجوية على إحدى الدول العربية لتحطيم قواتها الجوية ويصحب ذلك هجوم برى للاستيلاء على مناطق استراتيجية لاستخدامها فى المساومة لإنهاء القضية الفلسطينية**

ثم عاد الفريق **على على عامر** ليقدم تقريره إلى مجلس الدفاع المشترك فى دورته العادية فى مارس ١٩٦٧ (لاحظ التوقيت) أوضح فيه صعوبة قيامه بمسئولياته طالبا إعادة النظر فى موقف قيادته حتى لاتبقى طويلا بلا عمل جدى فتكون بذلك واقعا مخيبا للآمال (٨)

يونيو ١٩٦٧ وعالم الوهم الذى كنا نعيش فيه

وبسبب قدر هائل من الحسابات السياسية والعسكرية الخاطئة ، حدثت **هزيمة ١٩٦٧**، ويصف **محمود رياض** وزير الخارجية المصرى وقتئذ الموقف بقوله:" وفى مكالمة تليفونية لن أنساها من **جمال عبد الناصر** يوم ٨ يونيو ١٩٦٧ ، أخطرنى بنبرة مؤلمة ومفجعة بأن انهيار القوات المسلحة كان كاملا وفوق أى تصور وطلب منى إبلاغ مندوبنا فى نيويورك بطلب إيقاف إطلاق النار .. **والآن فهانحن جميعا نكتشف فى لحظة واحدة عالم الوهم الذى كنا نعيشه"(٩)**

وقد تبين فيما بعد أن القيادة العسكرية لم تكن تتمتع بالحد الأدنى من الخبرة التنظيمية والكفاءة فى ظل أى مفهوم عسكرى(١٠) **كما أن العقيدة العسكرية للجيش استمرت كما هى منذ ١٩٤٨ وهى الدفاع الثابت حيث تفتقد الفرق والألوية القدرة على المناورة وحرية الحركة.**

وبانتهاء حرب ٦٧ فان الحصاد كان مرأ وعلقما . **فبعد أن كانت قضيتنا هى القضية الفلسطينية فقد زاد عليها الأراضى المحتلة من شبه جزيرة سيناء إلى هضبة الجولان فى سوريا إلى الضفة الغربية وقطاع غزةفى فلسطين** كماظهرت خطورة الوضع فى الداخل وتفاقم إزدواجية السلطة ، فقد ذكر**عبد الناصر** أنه رغم استقالة وزير الحربية **شمس بدران** من منصبه استمر على صلته بالتنظيم السرى الموجود فى الجيش والذى كان قد تشكل قبل سنوات ليكون واجبه مقاومة أى إنقلاب عسكرى وحماية نظام الحكم، وكان **شمس بدران** هو المسئول من البداية عن هذا

التنظيم محتفظا بسريته وبأسماء أعضائه بحيث أن **عبدالناصر**نفسه لم يكن يعرف أشخاصهم جميعا!(١١)

ويقول**رياض** أيضا واصفا الموقف بدقة:" وقد تحدث **جمال عبد الناصر**عن الأخطاء التى أدت إلى الهزيمة فى اجتماعات اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الإشتراكى يومى ٣، ٤ أغسطس ١٩٦٧ ، وقام بنقد ذاتى شديد وخاصة بالنسبة للنظام القائم. وبعد استعراضه للأخطاء التى أدت إلى الهزيمة والصراعات القائمة حول السلطة انتهى إلى أن النظام المطلق القائم على الحزب الواحد قد فشل ، واقترح قيام نظام جديد على أساس ديمقراطى بوجودحزب معارض بجانب الاتحاد الإشتراكى يكون له جريدة تعبر عن رأيه وأن يتحرر الجميع من الخوف فى إبداء الرأى . وذكر أن النظام الجديد سيحول دون قيام دكتاتورية فى المستقبل تؤدى إلى سيطرة من الأفراد على مقدرات البلد واقترح إعداد إنتخابات فى شهر ديسمبر على أساس قيام الحزبين ، وعاد وأكد أن استمرار النظام الحالى سيقودنا إلى طريق مجهول مظلم ولن نعلم من سيتسلم السلطة من بعدنا.

بعد مناقشة طويلة اشترك فيها جميع أعضاء اللجنة عارضوا إجراء أى تعديل فى نظام الحكم قبل إزالة آثار العدوان(١٢)

وهكذا أجهضت الطبقة البيروقراطية البورجوازية التى تكونت فى ظل الثورة ، التغيير المأمول وانصرف **عبد الناصر** لبناء القوات المسلحة والاستعداد لحرب جديدة وبناء موقف سياسى عربى وخارجى قوى فى حين استمرت السياسة الداخلية كما هى . " لقد تمت بعض المحاكمات عقب هزيمتنا النكراء عام ١٩٦٧ وأصدرت بعض الأحكام ولم يكن ذلك بغرض تحديد المسئولية تحديدا موضوعيا فى تلك الفترة بقدر ماكان لاحتواء رد فعل الرأى العام الذى صدمته الهزيمة ، بدليل أن بعض الأسماك الصغيرة هى التى بقيت فى الشباك أما الأسماك الكبيرة فقد ظلت خارجها(١٣)

ولأول مرة فى تاريخ ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ تندلع مظاهرات من العمال والطلبة عام ١٩٦٨ معلنة الرفض ومطالبة بالتغيير ، ويكون التعامل معها من جانب السلطة بكل قسوة وشدة دون النظر بعين الحقيقة لما يحدث من تطورات فى فكر ومشاعر أبناء الشعب.

أما عن التضامن العربى، فكان فى صورة جيدة بعد **مؤتمرالخرطوم**للملوك والرؤساء العرب فى أغسطس ١٩٦٧ حيث أعلنت اللاءات الثلاثة الشهيرة ، وظهر الموقف



السادات ونصيحة من جولدا!

العربى متماسكا بخصوص ضرورة استعادة الضفة والقطاع والجولان وسيناء.

من ١٩٦٨ إلى ١٩٧٠

فى تلك الآونة بدأت إسرائيل فى طرح تصوراتها الخاصة للتسوية وتضمنت الاتفاق على حدود آمنه تنسحب خلفها القوات الإسرائيلية بعد مفاوضات منفصلة مع الدول العربية ومعاهدات سلام ، وضرورة أن يسودالسلام منطقة الشرق الأوسط عن طريق ربط جميع العواصم بخطوط مواصلات وإتساع التجارةوالتعاون فى مجالات عديدة على نمط السوق الأوروبية المشتركة (١٤)

ولكن مع تسخين الجبهة المصرية بواسطة حرب الاستنزاف ، تقدمت الولايات المتحدة فى نوفمبر ١٩٦٨ بمشروع للصلح المنفرد بين مصر واسرائيل على أساس إنسحاب اسرائيل من شبه جزيرة سيناء وانهاء حالة الحرب بين البلدين، وقد رفض جمال عبد الناصر وتمسك بضرورة أن يكون الإنسحاب الاسرائيلى من كل الأراضى العربية المحتله مجتمعه (١٥)

وفى ديسمبر ١٩٦٩ تقدم وزير الخارجية الأمريكى **وليم روجرز** بمشروع للسلام إلى مصر واسرائيل كان بمثابة تسوية جزئية تتضمن إنسحاباً إسرائيليا من سيناء والعودة لخطوط ٤ يونيو ١٩٦٧ مع إنشاء مناطق منزوعة السلاح وتدابير أمنية فى سيناء وضمان حرية الملاحة فى مضيق تيران وقناة السويس وضمان الإستقلال السياسى والعيش داخل حدود آمنه معترف بها دون التهديد بالقوة أو استخدامها.

وقدمت الولايات المتحدة مشروعا مماثلا للأردن وأضافت عليه بقاء القدس موحدة تحت الحكم الإسرائيلى والاكتفاء بمشاركة محدودة من الأردن فى المسئوليات المدنية والاقتصادية لإدارة المدينة(١٦) .

ولكن تم رفض المشروع من جميع الأطراف : مصر والأردن وإسرائيل.

وفى تلك الفترة انعقد مؤتمر القمة العربى فى الرباط (١٩٦٩) ويشرح **محمود رياض** كيف بدأت المزايدات بين الملوك العرب حول الدعم المادى لدول المواجهة ، وكثر النقاش بين ليبيا والمملكة السعودية حول نسب مبالغ الدعم المادى لدول المواجهة ، واستمرت المناقشات دون أن يشترك فيها عبد الناصر ، ثم فوجئت بالرئيس بعد أن نفذ صبره يقف ويغادر قاعة الاجتماع . **وبخروج عبد الناصر من المؤتمر انفض دون أن تصدر عنه أية قرارات وكانت النتيجة الطبيعية لفشل المؤتمر أنه لم يعد أمام عبد الناصر سوى الاعتماد كلية على الاتحاد السوفيتى اقتصاديا وعسكريا(١٧)**

ومع تعقد الوضع على الجبهة المصرية نتيجة تواجد قوات مقاتلة سوفيتية تقدم **وليم روجرز** وزير الخارجية الأمريكى بمبادرة جديدة عام ١٩٧٠ تضمنت وقف إطلاق النار بين مصر وإسرائيل والاستعداد للدخول فى مفاوضات سلام تحت إشراف الولايات المتحدة للتوصل لاتفاق سلام يقوم على الاعتراف المتبادل والسيادة والسلامة الاقليمية والانسحاب الإسرائيلى من " أراضى" احتلت عام ١٩٦٧ وفقا للقرار رقم ٢٤٢. وقبلت **مصر المبادرة ورفضتها إسرائيل فى البداية ، وهاجت سوريا والعراق والفلسطينيون على مصر بسبب ذلك ، رغم أن عبد الناصر كان يهدف للحصول على بعض الوقت ليحرك حائط الصواريخ قرب قناة السويس لتغطية القوات المصرية عند العبور(١٨)**

وفى خريف ١٩٧٠ انفجر الوضع على الساحة الأردنية بين الفلسطينيين والحكومة الأردنية وبدأ الاقتتال فى المخيمات والشوارع ، واضطرت سوريا للتدخل بالمدرعات على الحدود مع الأردن وتدخل جمال عبد الناصر لحقن الدماء بواسطة مؤتمر القمة العربى فى القاهرة ، وإستطاع وقف النزيف ولكنه توفى فى اليوم الأخير وهو ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠.(١٩)

من ١٩٧٠ إلى حرب أكتوبر ١٩٧٣

تولى الرئيس **أنور السادات** حكم مصر بعد وفاة جمال عبد الناصر وفى فبراير ١٩٧١

أعلن بشكل فردى ودون التشاور مع مجلس الوزراء أو معاونيه ، **مبادرة تقضى بانسحاب إسرائيل جزئيا لشرق قناة السويس كمرحلة أولى على أساس جدول زمنى يتفق عليه مع قيام مصر بفتح قناة السويس أمام الملاحة الدولية** وهذه المبادرة كانت تطويرا لإقتراح قدمه **موشى ديان** من قبل . ولاشك أن تحرك **السادات** كان ثمرة لقناة الإتصال السرية التى نشأت بين السادات والبيت الأبيض فى واشنطون آنذاك (٢٠)

وعلى الصعيد الداخلى كان السادات قد صفى جزءاً كبيراً من **رجال عبد الناصر** ، وانضم الباقون إليه ، وبدأت سياسة للتهدئة والتهادن مع القوى السياسية المختلفة لكسب تأييدها للنظام الجديد ، فى حين اندلعت الحركة الطلابية داخل الجامعات مطالبة بحرب التحرير ، ورد عليها السادات بكل شراسة واندفع فى تقوية الجماعات الطلابية الإسلامية ودعمها ماديا وسهل حركتها وسط جموع الطلاب.

وفى نفس الوقت كانت تدور اتصالات ومحادثات سرية بين السادات بواسطة حافظ إسماعيل مستشاره للأمن القومى وبين هنرى كيسنجر مستشار الرئيس الأمريكى للأمن القومى على أساس تسوية مرحلية فى إطار حل شامل ، ولم تؤد هذه الإتصالات لنتائج محددة بسبب سلبية الجانب الأمريكى والإسرائيلى تجاهها .

وكانت الخطة المصرية الموازية حسبما يقول **حافظ اسماعيل هى**" الاعداد للقيام بعمل عسكرى خلال عام ١٩٧٢ مفاجئا ومحدوداً مع تقديرنا أنه لن يكون حاسما ، ومن ثم سيكون محدود النتائج السياسية مع تأكيد التنسيق فى إطار الاتحاد (مصر/ ليبيا / سوريا) والتنسيق الكامل مع القوات السوفيتية فى مصر" (٢١) إلا أن السادات يتخذ قرارا منفردا بتأييد من السعوديين **ويقوم بطرد الخبراء السوفييت** ، حتى أن **هنرى كيسنجر** اعتبرها هدية مجانية لاتستحق أى مقابل!

حرب أكتوبر ١٩٧٣

استطاعت القوات المسلحة المصرية أن تحقق ببراعة منقطعة النظير النصر فى معركة العبور يوم ١٩٧٣/١٠/٦ واستولت على مساحة أرض من ١٠/ ١٥ كيلو متر شرق قناة السويس ثم توقفت فى إنتظار أوامر جديدة . وأرسل **السادات** سراً رسالة إلى الولايات المتحدة الأمريكية يوم ١٩٧٣/١٠/٧ يقول فيها"**أن مصر لاتعتزم تعميق الإشتباكات أو توسيع المواجهة**"(٢٢) وفسر ذلك **هنرى كيسنجر** بأن مصر لاتنوى استئناف عملياتها الهجومية ضد إسرائيل متجاوزة الأرض التى كسبتها (٢٣)

وبالفعل انتظرت القوات المصرية التى عبرت دون أى أوامر من يوم ٨ أكتوبر حتى ١٣ أكتوبر مما أضاع ثمار معركة العبور وعدنا مرة أخرى لعقيدة الدفاع الثابت . **ثم تداعى الموقف عندها إنتقلت المبادأة والمبادرة إلى جانب العدو** ، وانفرد الرئيس السادات باتخاذ كافة القرارات بل واستبعاد كافة معاونية من إدارة الحرب .

ويقول **حافظ إسماعيل** مستشاره وقتئذ للأمن القومى " علمت من السفير الفرنسى يوم ٢٠ أكتوبر بتصدع الجبهة المصرية مما كان له وقع شديد على نفسى ، ولم يدرك أحدنا فى غيبة معلومات كاملة عن الموقف العسكرى أن إسرائيل فى مساء ٢٢ أكتوبر كانت تقترب بسرعة من تحقيق نتائج على جانب كبير من الأهمية الاستراتيجية " ثم يقول" **ولكن الرئيس كان وحيدا .. وكان هو الذى اختار أن يواجه الموقف وحده" (٢٤).**

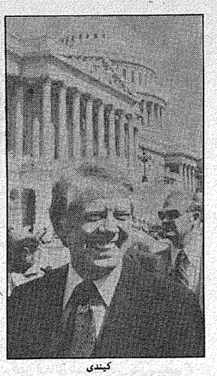
وكان من نتيجة الحرب أن أفلح **هنرى كيسنجر** فى كسب ثقة وصداقة الرئيس السادات وأن يقنعه بقبول" إستراتيجية التسوية خطوة .. خطوة" بدلا من العمل مباشرة لتحقيق تسوية شاملة(٢٥)

مسار التسوية من ١٩٧٤ إلى ١٩٧٧

فى ١٧ يناير ١٩٧٤ وقعت مصر وإسرائيل برعاية أمريكية إتفاق **فض الإشتباك الأول** ، وكان ذا طابع عسكرى وفى ١٩٧٤/٥/٣١ وقعت سوريا اتفاقا مماثلا مع إسرائيل وبرعاية أمريكية (٢٦)

وكانت مصر قد بدأت السير بخطوات كبيرة فى سياسة **الانفتاح الاقتصادى** وإصدار قانون يسمح لرأس المال العربى والأجنبى بالاستثمار فى مصر ، كما بدأ التفكير فى إقامة تعددية سياسية محكومة داخل إطار الاتحاد الاشتراكى.

ثم استطاع **هنرى كيسنجر** أن ينجز اتفاقية **فض الاشتباك الثانى** بين مصر وإسرائيل فى ١٩٧٥/٩/٤ وهى **اتفاقية جزئية تمثل إنهاء لحالة الحرب بين مصر وإسرائيل ورفع مصر للحصار الاقتصادى على إسرائيل** ، وقدمت الولايات المتحدة كمية ضخمة من الأسلحة لإسرائيل كمكافأة لها



كيندى

على توقيعها على الاتفاق ، والأهم من هذا كله أن تعهد لها الولايات المتحدة رسميا بعدم الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية أو التفاوض معها قبل اعتراف وقبول المنظمة لقرارى مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨ وأنها ستوافق على أن تكون المفاوضة بين العرب وإسرائيل بشكل ثنائى ، كما تعهدت بامداد إسرائيل باحتياجاتها البترولية وكذلك تقديم معونة اقتصادية ضخمة لها سنويا (٢٧).

وبهذا الشكل فان الاتفاقية أنهت فعليا حالة الحرب بين مصر وإسرائيل بالرغم من وجود القوات الإسرائيلية على الأرض المصرية وقد اعتبرت سوريا الاتفاقية صلحاً منفردا بين مصر وإسرائيل حيث تركت الجبهة السورية وحدها فى مواجهة إسرائيل وبالتالى فان الضغط العسكرى على إسرائيل لم يعد ممكنا ولاموجودا (٢٨) .

أما على الصعيد الداخلى فقد زاد التوتر فى الشارع السياسى وخاصة بين الأوساط الطلابية فى الجامعات أو بين القوى السياسية والحكومة ، فى حين انفجرت الحرب الأهلية فى لبنان عام ١٩٧٥ بفعل ضرب الكتائب للفلسطينيين وقتلهم ، فبدأ الاقتتال اللبنانى / الفلسطينى ، ودخلت القوات السورية إلى لبنان وتمركزت فى أماكن استراتيجية بأراضيه.

ولم تهدأ الأمور على الساحة الداخلية فى مصر حيث اندلعت إنتفاضة شعبية هائلة **يومى ١٧و١٨ يناير ١٩٧٧** بسبب تفاقم

الأوضاع الاقتصادية وقيام الحكومة برفع أسعار السلع الغذائية والضرورية بصورة فجائية ، واضطر الجيش للنزول إلى الشوارع لحسم الموقف وحفظ الأمن . **وقرب نهاية العام فاجأ الرئيس السادات الجميع بقراره المنفرد بالذهاب إلى إسرائيل على أساس إحداث صدمة كهربائية تدفع إسرائيل والعالم نحو حل الصراع فى الشرق الأوسط.**

أعقب زيادة السادات للقدس مجيئ رئيس الوزراء الإسرائيلى **مناحم بيجين** إلى مدينة الإسماعيلية يوم ١٩٧٧/١٢/٢٤ لمحادثات سياسية مع الرئيس السادات ، وعرض**بيجين** مشروعا للتسوية يعيد سيناء لمصر مع بقاء بعض المستوطنات اليهودية فيها وتعديل فى الحدود بالاضافة لحكم ذاتى إدارى فلسطينى فى الضفة والقطاع.

وفشلت محادثات الإسماعيلية وتبين أن زيارة القدس التى كان يؤمل الرئيس السادات أنها ستؤدى إلى اختصار الطريق إلى السلام لم تحقق النتائج السريعة التى كان يتوقعها مما جعل موقفه دقيقا فى العالم العربى وكانت هذه أول مرة فى التاريخ المعاصر تجد السياسة المصرية نفسها فى مثل تلك العزلة داخل العالم العربى ، وأعقبها ضرب المفاعل الذرى فى العراق واحتلال إسرائيل لأراضى فى الجنوب اللبنانى وتوسيع نطاق الوجود الإسرائيلى فيها بغزو قوامه ٣٠ ألف جندى فى ١٩٧٨/٣/١٦.

كامب ديفيد ومعاهدة السلام المصرية - الإسرائيلية ١٩٧٩

بعد مفاوضات على مدى ٦ شهور برعاية أمريكية كاملة(من ١٧ /١٩٧٨/٩ إلى ١٩٧٩/٣/٢٦) تم توقيع إتفاق منفرد بين مصر وإسرائيل على هيئة معاهدة سلام ، استعادت مصر سيناء مع ترتيبات تضمن أمن إسرائيل بينما جاء الجزء الخاص بالضفة الغربية وقطاع غزة مجحفاً بحقوق الشعب الفلسطينى على حد قول وزير الخارجية وقتئذ **محمد ابراهيم كامل**(٢٩) ويقول **هيكل " فى بداية اجتماعات كامب ديفيد قال السادات للرئيس الأمريكى كارتر أن المشروع المصرى هو مجرد موقف تفاوضى وأنه يقدمه لتسجيل المواقف ولكنه لديه مشروع آخر معتدل يختلف عن المشروع المتشدد ، وأن عضوا واحدا فى الوفد المصرى يعرف به لانه هو الذى تعاون معه فى إعداده وصياغته**(٣٠)

وهكذا انفرد الرئيس **السادات** بالتفاوض وبتقديم التنازلات مما دفع وزير خارجيته **ابراهيم كامل** للإستقالة يوم توقيع اتفاق كامب ديفيد وقد أعلنت الدول العربية عقب توقيع معاهدة السلام قطع علاقاتها الدبلوماسية والاقتصادية مع مصر ووقف تقديم أى قروض أو معونات اقتصادية إليها ونقل مقر الجامعة العربية وكافة مؤسساتها خارج القاهرة . وبعد فترة استدار العراق وانغمس فى حرب ضروس مع إيران أنهكته اقتصاديا وعسكريا فى حين اشتدت الأزمة السياسية داخل مصر وزادت حدة الاستقطاب داخل المجتمع **وتربص النظام المصرى بكل معارضيه حتى وضع رموزهم جميعا فى السجون** وكانت الذروة الدرامية باغتيال الرئيس**السادات** على يد إحدى الجماعات الاسلامية المتشددة.

من الانتفاضة الفلسطينية إلى حرب الخليج وأخيرا مؤتمر مدريد

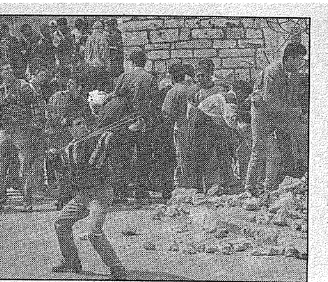
شهدت حقبة الثمانينات جهودا عربية لإحياء فكرة عقد مؤتمر دولى للسلام بمشاركة الدول الدائمة العضوية بمجلس الأمن ، وقد عارضت الإدارة الأمريكية هذا التوجه(٣١) واستمر الوضع مائعا إلى أن **تفجرت الانتفاضة الفلسطينية العفوية بواسطة أطفال الحجارة فى كافة الأراضى المحتلة** وشكلت ضغطا سياسيا واقتصاديا قوياً على إسرائيل مما دفعها للتحرك نحو الحل السلمى.

أما **منظمة التحرير الفلسطينية** فقد أثار قلقها عفوية الانتفاضة ومشاركة حركة حماس الاسلامية فى مقاومة الاحتلال مما دفعها كما يقول هيكل إلى **"الإحساس بضرورة الإسراع فى عملية التفاوض والوصول إلى حل بأى شكل من الأشكال فأعلنت قبولها للشروط الأمريكية لإشراكها فى العملية السلمية ومنها قبول قرارى الأمم المتحدة ٢٤٢ و٣٣٨ ، ومن ثم بدأ حوار الإدارة الأمريكية معها رسميا** (٣٢)

ولكن الأمور ارتبكت فى الشرق الأوسط بسرعة شديدة عندما قام العراق فى صيف ١٩٩٠ بغزو الكويت ثم قيام تحالف دولى ضم عدة دول عربية مثل **سوريا ومصر والمغرب والمملكة العربية السعودية** لطرد العراق من الكويت ، وهزم الجيش العراقى وضربت المدن العراقية بالقنابل وتم عزل مناطق فى الشمال والجنوب عن سلطة الدولة فى بغداد ، وانقسمت الأمة العربية مابين مؤيد ومعارض، **وكان من السهل بعد ذلك جمع سوريا ومصر والأردن ولبنان والفلسطينيين وإسرائيل على مائدة التفاوض فى مدريد** العاصمة الأسبانية برعاية سوفيتية وأمريكية لدفع الجميع نحو التسوية مرة أخرى.

ولكن الجديد كان قبول الدول العربية المشاركة فى مؤتمر مدريد **التفاوض بشكل ثنائى مع إسرائيل** ، ويشير **طاهر شاش** إلى غياب التنسيق بين الوفود العربية وافتقاد استراتيجية موحدة متفق عليها (٣٣)

وقد تبين فيما بعد أن الوفد الفلسطينى فى **مؤتمر مدريد** كان مقيد الحركة والتصرف ولايعلم أن هناك قناة تفاوض سرية أخرى مع إسرائيل فى أوسلو **إنتهت باقرار ماعرف باتفاق أوسلو** فى ١٩٩٣/٩/١٣ تضمن تنازلات فلسطينية منها تأجيل كافة القضايا الجوهرية لمرحلة نهائية بعد خمس سنوات وهى القدس ، المستوطنات ، اللاجئين ، الحدود ، الترتيبات الأمنية ، العلاقات مع الدول



الانتفاضة

المجاورة .**وبدلا من الموقف الفلسطيني الذى كان يصر على فك الإرتباط بين الاقتصاد الإسرائيلي والاقتصاد الفلسطيني ، أقر اتفاق أوسلو التنسيق والتعاون الوثيق بين الإقتصادين بل والانتقال لتعاون إقليمي شرق أوسطى .**

كما لم ينص الإتفاق سوى على الانسحاب من غزة وأريحا وتحدث عن إعادة الإنتشار من باقى الأراضي المحتلة (٣٤) وبالنسبة للمسار الأردني - الإسرائيلي فقد أعقب اتفاق أوسلو التوصل لمعاهدة سلام فى ١٧/١٠/١٩٩٤ ربما أخطر مافيها مانصت عليه **من تأجير مساحة من الأراضي الأردنية لإسرائيل (منطقة الباقورة)** مما يعد سابقة خطيرة قد تطبق على سوريا أو لبنان فى أى تسويات مقبلة.

وتقف الآن سوريا فى وضع تفاوضي صعب ، كما أن لبنان فى وضع تفاوضى أصعب ، خاصة وأن العديد من الدول العربية قد أسرع فى تطبيع علاقاته مع إسرائيل دون أى اعتبار لتسوية نهائية لكل مشكلات الصراع العربى - الإسرائيلى أو تحقق سلام عادل ، وبدأت المنطقة تشهد مؤتمرات اقتصادية متتالية بمشاركة عربية وإسرائيلية فى العديد من العواصم العربية(الرباط ١٩٩٤ ، عمان ١٩٩٥ ، القاهرة ١٩٩٦ ، الدوحة ١٩٩٧) مما زاد من الخلل فى التوازن بين العرب وإسرائيل وأضاع الكثير من كروت وأدوات الضغط على إسرائيل.

خاتمة لابد منها

لقد شهدنا كيف تدهور الموقف العربى من ١٩٤٧ حتى ١٩٩٧ ، ونجحت إسرائيل فى تعزيز وجودها ووقعت اتفاقات سلام منفردة مع عدة دول عربية ،**ولاشك أن للعامل الخارجى دوره وتأثيره ، كذلك ديناميه إسرائيل** ، ولكن سلسلة التنازلات والفاجعات كانت تعود أيضا لعدة عوامل داخلية من المهم تسليط الضوء عليها واستجلاء الدروس التاريخية منها :

(١) **اختلاف الرؤى العربية سواء من قضية فلسطين أو من قضية الحرب أو من قضية التفاوض وقد انعكس ذلك على صعوبة تكوين أهداف متفق عليها ومواقف يمكن الدفاع عنها .**

(٢) **إن البورجوازيات الحاكمة العربية لم تكن تنوى قيام حروب تحرير بمعدل أقصى ماتمنته هو تحريك الموقف** (انظر حافظ اسماعيل ، مرجع سبق ذكره ص ٢٠٠ و٣١٨

(٣) **ضعف التضامن العربى واستمرار الخلافات العربية** (لدرجة أن اتفاقية الدفاع المشترك الموقعة منذ ١٩٥١ لم تستخدم ولامرة واحدة وكانت حبرا على ورق) بسبب الشكوك المسيطرة على العلاقات بين البلاد العربية).

(٤)**إن أى قرار أو موقف سياسى هو ترجمة حقيقية لموقف توازن القوى فى مسرح العمليات وعلى الأرض** (ضياع ثمرة انتصار العبور - أهمية الانتفاضة الفلسطينية - حركة المقاومة اللبنانية)

(٥) **صعوبة إنجاز تنمية اقتصادية فى ظل عدم الاستقرار السياسى وهشاشة شرعية نظم الحكم.**

(٦) **إلحاح الإنجاز السريع دون النظر لاعتبارات المستقبل** (رحلة السادات للقدس - وتنازلات القيادة الفلسطينية فى أوسلو)

(٧) **إنفصال المؤسسة العسكرية عن سلطة الدولة (الموقف فى ازدواجية السلطة عام ١٩٦٧)**

(٨) **الحسابات السياسية والعسكرية الخاطئة بسبب عدم وجود مجلس متخصص فى الأمن القومى يصنع القرار فى ضوء التزاوج الإخصابى بين السياسة والأمن والاقتصاد.**

(٩) **غياب الديمقراطية وانفراد الرؤساء والملوك العرب بصناعة وإتخاذ القرار**

مراجع البحث

(١) مذكرات محمود رياض ١٩٤٨ إلى ١٩٧٨ ، البحث عن السلام والصراع فى الشرق الأوسط - المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الأولى - بيروت ١٩٨١ ، ص ١٤

٢) محمود رياض - مرجع سبق ذكره ص ١٧ وأيضا فى محمد حسنين هيكل ، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل الجزء الثانى عواصف الحرب وعواصف السلام - دار الشروق عام ١٩٩٦ صفحات ٢٣ . ٢٤

٣) طاهر شاش . المواجهة والسلام فى الشرق الأوسط ، والطريق إلى غزة - أريحا ، دار الشروق ١٩٩٥ ، ص ٥٣ (كان هدف الولايات المتحدة من هذا المشروع تمرير مشروع حلف بغداد فيما بعد)

٤) م . هيكل : عواصف الحرب وعواصف السلام - الجزء الثانى ، ص ١٠١.

٥) محمود رياض : مرجع سبق ذكره ص ٢١

٦) م. هيكل - مرجع سابق الجزء الثانى ص ١١٢/١١٣

٧) م. هيكل - مرجع سابق ، الجزء الثانى ص ١٣٤

٨) أمين هويدى: الفرص الضائعة ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت عام ١٩٩٢ ص ٧ كذلك محمود رياض ، مرجع سابق ص ٢٦

٩) محمود رياض - مرجع سابق ص ٦٤ /٦٥

١٠) محمود رياض - مرجع سابق ص ٤٦

١١) محمود رياض - مرجع سابق ص ٦٩

١٢) محمود رياض - مرجع سابق ص ٨٠

١٣) هويدى - مرجع سابق ص ٨

١٤) طاهر شاش - مرجع سبق ذكره فى ٦٤

١٥) طاهر شاش - مرجع سبق ذكره ص ٧٤

١٦) محمود رياض - مرجع سبق ذكره ص ٢١٣ /٢١٤

١٧) محمود رياض مرجع سابق ص ٢١٧ /٢١٩

١٨) شاش ص ٧٦ وم. هيكل ، الجزء الثالث من كتاب المفاوضات السرية - دار الشروق ١٩٩٦) ص ٤٤

١٩) محمود رياض - مرجع سابق ص ٢٨٣

٢٠) طاهر شاش - مرجع سابق ص ٨٣ /٨٤

٢١) محمد حافظ اسماعيل : أمن مصر القومى فى عصر التحديات - مركز الأهرام للترجمة والنشر - ١٩٨٧ - ص ٢٠٠

٢٢) حافظ اسماعيل - مرجع سابق ص ٣١٨

٢٣) **Henry Kissinger, Years of Upheaval , Little Brousn, Boston, Toronto 1982 P. 482,. 483**

٢٤) حافظ اسماعيل - مرجع سابق ص ٣٦٠

٢٥) حافظ اسماعيل - مرجع سابق ص ٢٧٣

٢٦) طاهر شاش - مرجع سابق ص ٩٥

٢٧) محمود رياض - مرجع سابق ص ٥١٩ /٥٢٠

٢٨) م. هيكل - مرجع سابق - الجزء الثالث ص ٥٦

٢٩) طاهر شاش - مرجع سابق - ص ١١٤

٣٠) م. هيكل - مرجع سابق - الجزء الثانى ص ٤٢١

٣١) طاهر شاش - مرجع سابق ص ١٨١ /١٨٢

٣٢) م. هيكل ، الجزء الثالث - مرجع سبق ذكره ص ١٩٨

٣٣) طاهر شاش - مرجع سابق ص ٢١٩

٣٤) طاهر شاش - مرجع سابق ص ٢٨٥

سياسة رد الفعل .. أم موقف إيجابى ضد العنصرية

المؤتمر القومى العربى و٥٠ سنة على الكيان الصهيونى



عدد من المشاركين فى المؤتمر القومى الثامن

د. حسن علام

في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ -موعد انسحاب بريطانيا من مسئوليتها كدولة منتدبة على فلسطين -أعلن الصهاينة قيام دولة لهم باسم « **إسرائيل** ». ورددنا الاسم مقرونا بالاستخفاف -بقولنا « **اسرائيل المزعومة** » .. وكان فى ذلك تخفيف مؤقت لمشاعر الجماهير العربية إزاء الفشل الذى وقعت فيه سياسات حكوماتهم فى المجال الدولى ،كما كان فى نفس الوقت إشارة ودليلا للتصرف فى المستقبل بأسلوب رد الفعل لا المواقف الايجابية.

والآن ، وقد مضت خمسون سنة علي اعلانهم المشئوم ..هل نظل نتصرف برد الفعل ، أو نسلم بأمر واقع لا يكون نهاية المطاف بل رأس جسر لسيطرة من عدونا على نطاق أوسع.. أم أنه أمامنا فرصة لمتابعة النضال باستراتيجية ايجابية يتجلى فيها وضوح الهدف والأمل ، والارادة والعزيمة.

إن الواقع القائم هو مسرحية تمثل متتابعة منذ اعتلاء نتنياهو رئاسة وزراء الكيان الصهيونى وتطبيقه سياسة الاستهانة الكاملة بالشعوب العربية اعتمادا على تفكك روابطها منذ حرب الكويت ،وتفكك النظم القائمة فيها مع كبت حركة الجماهير ،والفساد ،والعمالة أحيانا .وكان آخر فصل فى المسرحية مثله **كلينتون** مسع كل من **نتنياهو وعرفات** .وفى واشنطن فى يناير الماضى أسدل على فشله المقرر مسبقا ستار فضائح كلينتون والاستعراض الفج للقوة الأمريكية والبريطانية فى الخليج ضد العراق.. وقد كان مقدرا لذلك اللقاء -كغيره- أن يفشل الا فى كسب الوقت ليمعن التعصب الصهيونى فى فرض الأمر الواقع .. إلى أن يتم الاحتفال بالعيد الخمسينى لاعلان دولة العنصرية.

وبصرف النظر عن نتيجة الفصل المكرر الجديد الذى رتب له فى لندن لتقوم بالتمثيل فيه من جديد **مارلين أولبرايت** بعد خمسة شهور من الفصل السابق، وتحت رعاية الشريك البريطانى المخلص فى السير بوعد بلفور إلى أبعد آماده .. بصرف النظر عن أنه قد يكون آخر فصول المسرحية قبل الاحتفال بوضع ما مع الذكرى الخمسين لاعلان الكيان الصهيونى ،والمائة لصدور كتاب **هرتزل** باسم « **الدولة اليهودية** » بغض النظر عن كل ذلك -فإن خطورة هذا الأمر الواقع هى فيما يأتى بعده: **انتشار سرطان السيطرة الاسرائيلية على المنطقة العربية .فما يهمنا ليس مجرد تسوية المشكلة الفلسطينية باتفاق بين « دولة إسرائيل » والسلطة الفلسطينية القائمة فى كنفها ،وإنما قضيتنا أن جسما غريبا استعماريا وعنصريا ينغرز فى منطقتنا التى ترفضه ،وأن وجوده بوصفه العنصرى لا تقبله الطبيعة الإنسانية ،ولا يحتمله تقدم البشرية .. طال عمر وجوده أو قصر.**

هذا وخلال الاستراحة بين فصلى المسرحية أعلن **المؤتمر القومى العربى** المنعقد فى القاهرة، فى بيانه إلى الأمة- أنه :إذا كانت « مسيرة التسوية »- التى اتخذ منها المؤتمر موقفا مبدئيا منذ البداية -قد تجمدت إلى الدرجة التى حدت بالذين تبنوها سابقا إلى التعبير عن احتمالات انهيار العملية برمتها ، فإن السؤال الذى يطرحه المؤتمر على الأمة -قادة وشعوبا :**ألا يستدعى ذلك البحث عن استراتيجية بديلة لادارة الصراع** ،طالما أنه يتأكد كل يوم أننا ازاء صراع وجود (بالنسبة للعنصرية الصهيونية) لا صراع حدود.

وأسارع إلى التنبيه إلى أن الاستراتيجية المطلوبة لا تكون بديلة لعملية التسوية لدى فشلها والا سارت فى ذات طريق الاستخزاء المتعجل الذى حصر الأمر فى نطاق العلاقة بين الكيان الصهيونى و « الفلسطنيين » ليحدد لهم « **وجودا ما** » فى اطار التسليم بقيام كيان عنصرى مصطنع فى منطقتنا ، فلا يكون البديل حلقة أخرى فى سلسلة مواقفنا التى نتخذها برد الفعل .. دون الفعل الايجابى.

المطلوب هو موقف ايجابى يكون بديلا لكل مواقف سياسة رد الفعل السلبية السابقة -كرفضنا قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ دون أن نعلن موقفا حضاريا متكاملا ونسعى إليه ، ومثل ردنا على العنف بعنف مضاد غير مخطط بدخول جيوشنا أرض فلسطين دون تنسيق عسكرى أو سياسى أو إعلامى ،ومثل ردنا على المشروع الشرق أوسطى بالدعوة إلى سوق عربية مشتركة كمجرد بديل ، بعد أن كانت من قبل مشروعا ايجابيا منذ إنشاء مجلس الوحدة الاقتصادية سنة ١٩٦٥ ولكنه استسلم للسبات العميق .وأخيرا ،الموقف السلبى من عملية السلام بدلا من التقدم باستراتيجية إيجابية لموقف ايجابى من جانب العرب كأمة واحدة لها ماضيها المشترك وآمالها فى مستقبل تتكامل فيه على طريق العزة والتنمية والرخاء.

كنت أود ألا يكتفى المؤتمر القومى فى بيانه إلى الأمة -بالتساؤل الذى طرحه ، وأن يحدد -ولو مبدئيا- عناصر موقف ايجابى ،واستراتيجية شاملة لا تكون مجرد بديل لعملية التسوية الجارية ، ولو دون تقديم مشروع قومى متكامل .. وإذا كانت ظروف المؤتمر لم تسمح بذلك، فلعلنا أن نسهم هنا بمحاولة مبدئية.

معالم الطريق

المطلوب مبدئيا: أن نحدد فى وضوح أمام العالم من هو عدونا : **اليهود عرقا أو دينا ، أو هو : العنصرية الصهيونية الاستعمارية.**

وأن نحدد ما نتصدى له فيه : تفكيك كيان الأمة العربية، وليس مجرد التحكم فى أرض فلسطين ، ولا حتى مجرد «أرض إسرائيل» من النيل إلى الفرات.انه -بتعبير قيل فى المؤتمر العربى الأخير- **يريد امبراطورية لا ضرورة لأن تكون محتلة عسكريا** ، ولكن يكفى أن يسيطر عليها بنشر الفرقة ،والفساد ، واستقطاب العناصر التى تساهم فى ذلك لكى يقيم كيانا شاملا لمجال حيوى يمسك بخيوطه ليستغل اليد العاملة الرخيصة فيه- مع المحافظة على فقر الطبقات العاملة وانخفاض مستوى المعيشة كميزة اقتصادية للمنافسة لصالحه فى بحر العولمة المتلاطم.. وذلك عن طريق ما أطلق عليه اسم «**السوق الشرق أوسطية**» ،ويمكن أن يغير اسمها حسب الظروف مع الاحتفاظ بأهدافها الأصلية فى كل حال.

ولكى نحدد استراتيجيتنا يجب كذلك أن نبنيها على التبصر **بوسائل ذلك العدو وأسلوبه.**

فالعدو، ، **وهو العنصرية الصهيونية،** يستعين بكل الطرق لاذكاء النوازع العنصرية ضد العرب ، ويقرن بينهم وبين الاسلام مع تشويه صورته ليستثير ضدهم كل ما يمكن من مشاعر التعصب ، أو على الأقل التوجس ، لدى مسيحيى العالم..تلك المشاعر التى اذكاها الصليبيون من قبل ليقودوا حروبهم الاستعمارية التى فشلت لأن المنطقة العربية بالذات كانت دائما نموذجا للتسامح الدينى والتضامن الوطنى، لم تسجل بين معتنقى دياناتها المختلفة على مدى التاريخ اضطهادات أو مذابح كما يحدث فى بلاد أخرى فى العالم .. **وأن المذابح العنصرية لم تعرف طريقها إليها إلا منذ مارستها الصهيونية فى فلسطين** .. وعلى رأسها تذكر **مذبحة دير ياسين.**

فمن الصفات الثابتة فى الحركة الصهيونية أنها كانت تتميز دائما بالعنصرية والوحشية ، وكانت فى نفس الوقت تلقى على غيرها تلك التهمة فى صيغة «**معاداة السامية**» -وهى صيغة نبتت فى أوروبا ، إذ كان اليهود هم العنصر الوحيد من الجنس السامى الذى تداخل فى المجتمعات الأوروبية ، وشوه سمعة الجنس السامى -ومنه العرب- بممارسات كانت السبب فى انتفاض تلك المجتمعات فى فترات مختلفة ضد اليهود المتداخلين فيها.. هذا فى حين لم تعرف المنطقة العربية شيئا من ذلك على مدى التاريخ ، لأن العرب أنفسهم ساميون.

ولكن المشروع الصهيونى الذى نشأ فى أوروبا الاستعمارية هو الذى استدعى تلك النزعات العنصرية وترابط معها ليلقى بأدرانه على المنطقة العربية كى يصل إلى التسلط عليها ، واستحل فى سبيل ذلك كل الوسائل بغرض حشد كل اليهود طوعا أو كرها -جنودا لمشروعه ،وحطبا -عند اللزوم- لمباخر التعصب ،ومن ذلك تقديم ضعافهم أحيانا لمحارق النازى -على نحو ما أثبته **روجيه جارودى** فى كتبه، وبخاصة كتاب «**الأساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية** » الذى حوكم عنه أخيرا بمقتضى قانون عنصرى لكن القاضى الفرنسى بل والنيابة العامة قد خجلا من أن يطبق عليه من عقوبات ذلك القانون غير أدنى حد من الغرامة فى حين أن القانون يسمح بعقوبة الحبس ، ثم أنه قضى بتعويض ضئيل كانت ضآلته صفعة على وجه من حركوا تلك الدعوى العنصرية ضده.



جارودى

ولهذه الواقعة بالذات أهمية بالغة .. **فإن الدعاية الصهيونية التى تستعمل التضليل والارهاب لا تستطيع فى كل الأحوال أن تدارى صفتها العنصرية ولا أن تخفيها عن عيون فاحصة ونفوس شريفة فى المجتمعات التى نفهم بوجه عام أنها تسيطر عليها.** وعلينا أن نلتقط طرف هذا الخيط لنبنى استراتيجيتنا مزودين بالثقة فى فاعلية ما نبذل من جهد فى محاربة العنصرية الصهيونية.

مواطن الضعف فى الحركة الصهيونية

إن الأمل فى هزيمة العنصرية- بعد خمسين سنة من قدرتها على الاحتفاظ بالكيان المصطنع الذى أطلقت عليه اسم «اسرائيل» -يكمن هذا الأمل فى أن **عنصرية الصهيونية تسير ضد حركة التاريخ** ، ويتحمل مسارها لذلك **نقط الضعف** التالية:

أ- فالعنصرية ممجوجة فى العالم -شرقه وغربه . ولا يغذيها إلا دعاة لهم مصالح فى تجميع أنصار للتعصب مخدوعين، لاستخدامهم فى مصالح أولئك الدعاة. وتنكشف ألاعيبهم ومغالطاتهم مع الزمن . ومن ذلك مثال ما أثاره **جارودى** فى محاكمته ،ومن ذلك أيضا الموقف الصارخ الذى فوجئ به فريق **أولبرايت** الصهيونى بالاجتماع الشعبى فى ولاية أوهايو بالولايات المتحدة إبان استعراض القوة ضد العراق فى فبراير الماضى حيث كان الحاضرون من الوعى بحيث اتهموا العنصرية بدفع الموقف إلى ما وصل إليه من أوضاع لاإنسانية فى التعامل مع العراق وشعبه.

ب- **وأسلوب الاستعطاف الذى تعتمد عليه الصهيونية كأساس لدعايتها -**

بتذكيرها العالم باضطهاد النازى لليهود -ذلك الأسلوب ينضب معينه بسرعة ، سواء بسبب ضجر الدول والشعوب التى تمارس عليها الصهيونية ابتزازها كتكفير عما أصاب اليهود من ذلك الاضطهاد .. أو من ناحية أخرى لتضاؤل أثره بفعل الزمن الذى يطفئ بريق ذلك الاستعطاف بعد أن أثبتت الصهيونية قدرة على الاستعلاء والغطرسة بلغت أوجها فى تحدى مساعى العالم كله معها منذ بدء **حكم نتنياهو** على وجه الخصوص .. ولانزعاج الصهيونية وخوفها من ذلك احتاج **نتنياهو** مؤخرا إلى النفخ فى رماد الدعاية التى تجرى للتذكير بما يعرف باسم «**محرقة أوشفيتز**» فى بولندا- اذ قرر أن يحضر هذا العام المظاهرة التى تجرى سنويا لهذا الغرض.

ج- **أن التلفيق الفكرى لفلسفة الصهيونية -ذى الشعبتين العنصريتين : الدينية والعرقية -ذلك إنما هو قنبلة موقوتة فى هيكل الكيان الصهيونى.** وفى تعليق الصحيفة البريطانية «**سنداى تايمز**» (Sunday Times)، على مناسبة مرور خمسين سنة على إعلان ذلك الكيان- قالت الصحيفة انه بعد **٥٠ سنة من قيام «الدولة» فانه لم يحدث التصالح الضرورى بين العناصر المتصارعة داخل المجتمع الصهيونى.**وهذا وكلما مر الزمن كلما تعمق ذلك الصراع ،حيث لم يتعود اليهود الذين جمعوا من أطراف المعمورة أن يستغلوا «مواهبهم» إلا ضد« الآخرين» -ولذلك فان الحاجة إلى استثمارها فيما بينهم ستؤدى إلى الانفجار.

عناصر الأمل في الاستراتيجية الايجابية

من هنا فإن الأمل فى تهاوى العنصرية الصهيونية وكيانها المصطنع يتجسد ،مع مرور ٥٠ سنة على إعلان ذلك الكيان- فى التعامل مع نقاط الضعف فى تلك الحركة ، فتقوم الاستراتيجية الايجابية فى مواجهة تلك النقاط على أساسين المقاومة الشعبية والاقتصادية ، وشعار أن «نضالنا ضد العنصرية» ونبدأ من هذا الأخير.

أولا- نضال ضد العنصرية

فالتأكيد على أن صراعنا هو «ضد العنصرية» لازم استراتيجى ، وضرورة لكشف الأساس العنصرى للصهيونية. ورغم أن الأمم المتحدة فى سنة ١٩٩٢(فى أعقاب حرب الكويت) قد ألغت قرارها السابق باعتبارها الصهيونية حركة عنصرية (وهو الصادر فى أعقاب حرب أكتوبر ١٩٧٣) فإن نضالنا تحت لواء مناهضة العنصرية لا يحتاج إلى قرار من الأمم المتحدة .وعلينا **فى مواجهة العنصرية الصهيونية ، أن نعيد تقديم تصورنا الديمقراطى الانسانى لأن يقوم فى فلسطين نظام لا عنصرى فى دولة موحدة تتساوى فيها حقوق جميع المواطنين ، وأن نصمد فى وعى وراءه.** فلقد كان هو أساس رفضنا لقرار التقسيم سنة ١٩٤٧ ، إذ كنا لا نقبل إنسانيا ولا فكريا على أساس من تراث التسامح الدينى الاسلامى والمسيحى فى منطقتنا ..لا نقبل تقسيما على أساس دينى فى أرض الأديان الثلاثة ، وإنما نرى فيها متسعا للتعايش السلمى الشريف بينها جميعا دون أن تلوثه أغراض استعمارية أو عنصرية .

ولكن رفضنا للتقسيم فسر من جانب الصهيونية على أنه تعصب ضد اليهود و«معاداة للسامية» -تلك النبحة الفجة المتربصة دائما فى حلق أبواق الصهيونية . وساعد على ذلك أننا لم **نوضح موقفا ايجابيا متكاملا فى شأن مستقبل الكيان الفلسطينى تراعى فيه الأبعاد الحضارية المقبولة عالميا.** ليسهل تفهم الرأى العام العالمى لخطواتنا التالية . فلم نكن نأبه وقتئذ لصفة معاداة السامية التى ألصقوها بنا ،والتى كانت لها حساسية خاصة لدى الأوروبيين على وجه الخصوص. بل كنا، على العكس، نغذى الدعاية ضدنا برفعنا شعارات ضد اليهود عامة- لا تحدد أن موقفنا هو **ضد العنصرية والتمييز العنصرى والوحشية الصهيونية** .وكان دخول الجيوش العربية إلى فلسطين غداة إعلانهم دولتهم -كأنما لتنجز فى غير رحمة على ذلك الكيان الوليد المدلل ، دون ما تنسيق من أى جانب ولا مساندة إعلامية ، فترك المجال أمام الصهيونية لتصعد صراخها ضد«عنصرية العرب» واستصراخها لمؤيديها من مخدوعى الغرب أو مغرضيه.

إن تحقيق هدف«**الدولة الديمقراطية لكل فلسطين**» اذا كان يبدو بعيد المنال ،كما لا تؤيده القرارات الحالية للأمم المتحدة ، فان الأمل فيه هو الذى يكون معه لنضالنا- بل لوجودنا -معنى بالسعى إلى وضع كريم فى الحياة فى هذا العالم . ويقوم هذا الأمل على ركيزة من الايمان بأن العنصرية لا مستقبل لها، وأن العنصرية الصهيونية تحمل **بذور تفجرها** على نحو ما سلف . غاية الأمر أننا لا نتعجل تحقيق الهدف بصبر نافذ ، بل نرفع شعارنا ونقف وراءه على المدى ،مع ادراكنا لشدة مراس عدونا .. **فمواجهة أخطبوط الدعاية الصهيونية وتداخلها فى وسائل الاعلام العالمية ليس بالأمر الهين** .وعلينا أن نتحصن بالصبر والتبصر والمثابرة والايمان فى هذا الجهاد الشاق.. وعلى من يقدرون على الدعم المالى من بين عناصر الأمة العربية -شعوبا وحكومات، أن يضمنوا مضاعفة ما يقدم من دعم للدعاية ضد العنصرية-عشرات بل مئات المرات -على أن يكون زمامها فى يد جهة مستقلة ومتفرغة ، يمكن أن تتبع المؤتمر القومى العربى على سبيل المثال.

توقيع اتفاق أوسلو

ثانيا:- المقاومة -شعبيا واقتصاديا

أ- المقاومة الشعبية

١-نتكلم عن المقاومة الشعبية تعبيرا عن المواقف التى تطلبها الجماهير بصرف النظر عن مدى تمشى الحكومات معها . ولقد أثبتت حركة

الجماهير فى استنكار استخدام القوة ضد العراق فى أزمة فبراير الماضى ،والتجاوب الذى حدث جماهيريا فى مختلف بلاد العالم، فاعلية المقاومة الشعبية للمواقف المضادة للإنسانية والتقدم.وفى هذا وصل الأمر الى المطالبة بانسحاب الدول العربية من الأمم المتحدة اذا لم تستطع وقف العدوان الأمريكى .والأمر مثار اليوم فى شأن مد العقوبات على الشعب العراقى ، وذلك عن طريق استفتاء عالمى دعا إليه المؤتمر القومى العربى بشأن قرار مجلس الأمن الأخير وشرعية تمثيل مجلس الأمن لشعوب العالم فى مثل هذا القرار.كما قامت دعوة إلى عدم تطبيق الدول العربية للعقوبات -بخاصة فى شأن ليبيا-بعد صدور حكم محكمة العدل الدولية بما ينفى حق مجلس الأمن فى فرض تلك العقوبات.

٢- أثبتت المقاومة الشعبية المسلحة فى لبنان فعاليتها فى كسر أنف العسكرية الصهيونية ،وكشف عجزها عن تحمل التضحيات التى تدفعها إليها المقاومة ..وها هى تطلب الانسحاب من جنوب لبنان ، وإن كانت -كعادتها -تعلق كل شئ علي ضمانات الأمن الذى لن تحصل عليه أبدا ما دام الكيان الذى أقامته ذا أساس وطابع عنصرى .أنها تغذى العنف بلا انقطاع من جانبها ومن الجانب المضاد .. وليس لها بذلك مستقبل آمن.

٣- وإذا كانت المقاومة الشعبية هى كل ما يمكن الكلام عنه فى مجال التحرك المسلح، لأنه ليس فى المنظور الحالى فكرة حرب شاملة -فانه من المفيد تعزيز ضغط شعبى للطلب الرسمى المعلن لاخلاء المنطقة من أسلحة الدمار الشامل والسلاح النووى ،أو السعى لامتلاكه اذا لم يمكن تجريد الكيان الصهيونى منه عن طريق المؤسسات الدولية.

ب- المقاطعة الشاملة للكيان الصهيونى

وذلك لاتاحة الفرصة لكى تظهر مع الزمن آثار التناقضات الداخلية فى الحركة الصهيونية والمشروع الصهيونى ونذكر أن مشروع الصهيونية لا يتم الا بالتغلغل السرطانى فى جسم الأمة العربية للقضاء على كيانها الخاص، وتحويلها إلى قطعان من العمالة الرخيصة تخدم الاستثمارات الصهيونية فى خضم طوفان العولمة الاقتصادية .. والفكرية.

والاختيار القائم أمامنا حاسم: بين الاستسلام لذلك المشروع ،وبين التنمية الشاملة- اجتماعيا وثقافيا ،فى ظل اقتصاد قومى يرعى تلك التنمية فى ضمير نقى واخلاص لماضينا وتراثنا ومستقبل الأمة العربية جميعا ،ومع بعد نظر فى شأن ما



مادلين أولبرايت

يتهددنا من مخاطر زيادة السكان وقصور الموارد الطبيعية بما فيها المياه .. والبترول! وليبصر اخوتنا فى الخليج ما هو الأبقى لهم: تضامن اخوتهم ، أم اغراءات كومض البرق ممن يتربصون بمستقبلهم بإشاعة تصور العولمة الأمريكى الذى يلغى ما أقاموه من «دول ذات سيادة».

فى سبيل الوصول إلى بر الأمان لابد أن نمسك منذ الآن عن التعلق بآمال فى التعامل مع الكيان العنصرى المتربص بمستقبلنا. **وألا تكون مقاطعة مؤتمر الدوحة فلتة لا امتداد لها** ، بل تكون بداية للمقاطعة الشاملة، فهى طريقنا مهما كلفنا من جهد أو تضحيات. وليكن التركيز على التعامل البينى فى المجال العربى على أسس مدروسة، وإقامة السوق العربية المشتركة بخطوات واقعية متبصرة وثابتة ومأمونة.

ويتوج كل هذا **احياء كامل شامل لجهاز المقاطعة العربية التابع لجامعة الدول العربية** ، وهو يكاد أن يكون الخطوة الإيجابية الوحيدة التى أخذت مسارا عمليا وأنتجت آثارا واضحة فى تحجيم نمو الاقتصاد الاسرائيلى حتى كامب ديفيد . ثم انتقل مكتب الجهاز من القاهرة إلى دمشق وتأثر بما شاب العلاقات والمواقف العربية بعد ذلك من عوار . ولكن قرارا هاما واضحا قد اتخذ فى مجلس الجامعة فى يونيه الماضى باحياء دور جهاز المقاطعة .. فهل نشهد فى الواقع حياة جديدة له ولا يقتصر الأمر على فكرة وقف التطبيع فهى من سياسات رد الفعل .. أما «**المقاطعة**» -بالأسلوب الذى قام عليه جهازها العتيد -فهى الموقف الايجابى الضرورى لحماية مستقبلنا

شرطان لفاعلية الاستراتيجية الايجابية

الديمقراطية واللاعنصرية -هدفا وأسلوبا .. والنفس الطويل.

أ- الديمقراطية واللاعنصرية : فمن الضرورى ترسيخ الأسلوب الديمقراطى فى ممارساته داخل دولنا وفيما بينها ،وتأكيد معنى اللاعنصرية فى ضميرنا العام- حتى تصدق مطالبتنا بالدولة الديمقراطية اللاعنصرية فى فلسطين -أرض الأديان الثلاثة، التى يكون للجميع فيها حقوق متساوية يسعد كل فريق بضمانها للآخرين ،ويتآخون فى هذا الضمان المتبادل. هذا هو ما نبشر به..

وعلينا أن نعلن دائما أننا مع الديمقراطية وضد العنصرية ، وضد طرد السكان الأصليين وتشريدهم أو التضييق عليهم وضد الفصل العنصرى. إلى أن نحصل على تأييد العالم لخطتنا وأهدافنا كما حصل مناضلو جنوب أفريقيا على تأييد العالم ضد الفصل العنصرى فانتهى فى بلادهم . علينا فقط أن ندرس وسائل وضمانات الوصول إلى هذا التأييد العالمى ،فى إطار حضارى لا نفرط خلاله فى ذاتيتنا أو مقوماتنا ، وإنما نطمئن العالم إلى نياتنا وسلامة عنصرنا وديننا وممارستنا للديمقراطية.

.. وإننا لندعو لا يران بالتوفيق فى هذا الاتجاه.

ب- أما عن طول النفس .. فهو عنصر كانت تملكه المقاومة الفلسطينية فى ظل منظمة التحرير -التى كانت ترفع شعار الدولة الديمقراطية الموحدة- إلى أن تحول الأمر إلى«سلطة» فلسطينية فى كنف الاحتلال الصهيونى .. ولكن المناضل الحق لا يبلغ به ضيق الأفق أو ضيق الصدر أو الأنانية -أن يتقيد بتحقيق أهدافه فى حياته والا نكص عنها ،كما أن المناضل **الحق لا يكون حالما أو محلقا فى الخيال المستحيل إذا كانت أهدافه غير منتظر تحقيقها فى حياته** . بل أن المناضل الحق لابد أن يتصور علي الأقل أن يلقى حتفه فى الطريق نحو أهدافه ، فيسير إليها غيره من رفاقه المخلصين..(وقد كان لمناضلى فلسطين نشيد يقول: اذا سقطت ، فخذ سلاحى يا أخى وأكمل المشوار).

فاذا كان **هرتزل** أبو الصهيونية قد كتب عن«**الدولة اليهودية**» سنة ١٨٩٨ ،ونراهم اليوم يحتفلون بالذكرى المائة لذلك الحلم- مع الذكرى الخمسين للدولة المصطنعة ،مع كل ما يشوب كيانها من عوامل التفكك.

فما أجدرنا أن نتطلع فى إيمان وثقة بأنه لا يصح إلا الصحيح وبأن الميزان الطبيعى للحياة الانسانية لابد أن يعتدل عاجلا أو أجلا ،لنشهد أو يشهد أولادنا .. وأجيال بعدنا.. اندحار العنصرية ، وانحلال الصهيونية!.



القمة الثامنة لمجموعة ال ١٥ فى القاهرة

الموجة الثانية لحركة التحرر الوطنى

منذ وقت ليس بالبعيد ، تعود **مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية «انكتاد»** أن يتبنى قبل انعقاد مؤتمراته العامة الدورية عددا من الندوات التى تحضر لأعمال المؤتمر ، تبدأ بندوة قومية تتبعها ندوة إقليمية ، ثم قارية ، وتنتهى بندوة القارات الثلاث: آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية .

فى ذلك الوقت كانت **الانكتاد** هى منظمة الأمم المتحدة الأكثر جدية فى تناول قضايا التنمية فى العالم الثالث ،وخاصة فى ارتباطها بالاقتصاد العالمى .وكان لتلك الندوات التحضيرية هدفان :**أولهما** هو اجتذاب عدد كبير من الرسميين والاكاديميين وممارسى الاقتصاد العملى للدخول فى حوارات مشتركة حول تلك القضايا .**والثانى** هو تعبئة الرأى العام إلى أقصى مدى ممكن لمساندة الحلول المقترحة لها. ولم يكن الهدف الثانى أقل أهمية من الهدف الاول ، ذلك ان تلك الحلول كانت فى الأغلب الأعم تلقى معارضة ضارية من العالم الأول ، عالم البلدان الرأسمالية المتقدمة.

فى مستهل عام ١٩٩٦ شاركت فى أعمال الندوة مثلثة القارات التى انعقدت في **سريلانكا** وفى أحد الاجتماعات العامة للندوة اقترحت أن تتبنى بلدان العالم الثالث خطوطا توجيهية سبعة محددة لسياساتها الاقتصادية تتلخص فى الآتى (١).

د. فوزى منصور

***ينبغى أن تكون التجارة بين بلدان العالم الثالث مباشرة ،فيحظر تماما أن يتم التبادل التجارى الذى يجرى بين بلدان هذا العالم من خلال وسطاء ينتمون إلى العالم الأول.**

*** ينبغى أن يطبق على التجارة التى تجرى بين بلدان العالم الثالث نظام التفضيلات المعممة الذى يعطى لتلك التجارة البينية مزايا تفوق تلك التى تحصل عليها بلدان العالم الأول. هذا النظام التفضيلى ينبغى أن يسرى أيضا على خدمات النقل والتأمين.**

قمة القاهرة فى الجلسة الافتتاحية

* يحظر أن تسدد التدفقات المالية التى تجرى بين بلدين أو أكثر من بلدان العالم الثالث، الناشئة مثلا عن حصيلة التجارة أو الاستثمار، من خلال وسطاء ينتمون إلى غير العالم الثالث.

* اتحادات المنتجين بين بلدان العالم الثالث (مثل الأوبيك) التى يترتب عليها تعديل الاسعار السائدة فى اتجاه الرفع ينبغى أن تعوض بلدان العالم الثالث الأخرى عن الخسائر التى قد تلحقها من ذلك.

*ينبغى أن تتاح التكنولوجيا التى تطور فى إحدى بلدان العالم الثالث إلى باقى هذه البلدان دون مقابل أو بشروط تفضيلية.

* تعطى شركات بلدان العالم الثالث العابرة للجنسيات معاملة تفضيلية داخل باقى بلدان هذا العالم. ولا تعتبر من شركات العالم الثالث تلك التى تدخل فيها رؤوس أموال تنتمى إلى غير هذا العالم.

* تفرض على صادرات وواردات العالم الثالث إلى ومن العالم الأول ضرائب تخصص حصيلتها لخدمة أهداف التنمية فى العالم الثالث، ويديرها منظمة تنشأ لهذا الغرض تمثل فيها كل بلدان العالم الثالث.

فى وقتنا الراهن، الذى يشهد تراجع العالم الثالث على كل الجبهات، تبدو هذه الخطوط التوجيهية كما لو كانت خيالية أو «بطولية». لكن الأمر لم يكن يبدو على هذا النحو عندما طرحت فى عام ١٩٧٦ وفى الحقيقة فإنها أحدثت فى ذلك الوقت عددا من التموجات الفكرية فى كل من وسائل الإعلام والأوساط الاكاديمية، ربما بسبب الظروف الموضوعية التى سادت العالم وقتئذ أكثر مما هو بسبب اتساق هذه المقترحات أو وجاهتها.

الانتصارات الاقتصادية للموجة الأولى لحركة التحرر الوطنى

فى عام ١٩٧٦ كان العالم الثالث لا يزال يعيش فى الوهج الناشئ من الارتفاع الهام الأول لأسعار النفط الذى حدث فى أعقاب حرب ١٩٧٣ بين العرب وإسرائيل والقيود التى فرضتها الدول النفطية العربية كسلاح فى هذا الصراع، وأسهمت الاجراءات المماثلة المتسقة التى اتخذتها بعد ذلك الدول الأخرى المنتجة للنفط فى الاحتفاظ بالأسعار عند المستوى العالى الذى كانت قد بلغته.

وعلى أسس اقتصادية بحتة فقد كانت تلك الأسعار الجديدة مبررة تماما، إذ لم تكن أكثر من تكيف للأسعار مع ظروف الوقت، بعد عقود طويلة حرصت فيها شركات النفط التابعة للعالم الأول، بمساندة قوية من

صندوق النقد الدولى ينتهز الانتكاسة التى لحقت بالنمور الاسيوية لتركيعها


ميشيل كامديسو

حكوماتها، على الهبوط بها إلى حدود دنيا هزيلة، لصالح تلك الشركات وصالح البنوك والوسطاء والحكومات التابعة للعالم الأول، التى كانت تحصل على مكاسب طائلة من الفارق الشاسع بين الفوائد التى تؤدى فى البلدان التى ينتج فيها النفط وبين المستهلك النهائى له.

ولفترة ليست بالقصيرة أمكن المحافظة على الأسعار الجديدة- رغم تهديدات دول العالم الأول والخطط والمؤامرات التي كانت تحيكها لاحباط ما اعتبرته تحديا لا يمكن التسامح معه لأحد أوجه تسيدها على الاقتصاد العالمى تحديا لقدرتها على تحديد حجم الانتاج العالمى للسلع الاستراتيجية، ومواقعه وأسعاره.

وكالبلدان المنتجة للنفط، كانت بلدان العالم الثالث الأخرى المنتجة للمواد الأولية الزراعية أو المعدنية (البن، الشاى، الكاكاو، السكر، المطاط، الصفيح.. إلخ) ترى هى أيضا الأسعار الحقيقية لمنتجاتها المصدرة للخارج تتدهور على مر السنين، بكل ما يترتب على ذلك من نقص فى حصيلة صادراتها من النقد الأجنبى وزيادة فى ديونها وهبوط فى مستوى معيشتها. وشجع مثال بلدان النفط الناجح تلك البلدان على إنشاء أو محاولة إنشاء تجمعات لمنتجى كل من هذه المواد تحت تسميات مختلفة، رغم العوائق التى كانت البلدان المتقدمة تضعها فى طريقها ولم يكن التدهور فى شروط التبادل التجارى (بين صادرات وواردات البلدان النامية) هو النتيجة الكارثية الوحيدة لتسيد بلدان العالم الأول على قمة النظام العالمى: فما أكثر القنوات الأخرى التى كانت الفوائض تسرى من خلالها من العالم الثالث إلى الأول.

كانت غالبية تجارة العالم الثالث ومعاملاته المالية- حتى تلك التى تجرى بين بلدان العالم الثالث ذاتها- تمر بعمليات الوساطة التى تقوم بها بلدان العالم الأول، التى كانت بطبيعة الحال تحصد لنفسها الفائض الطائل الذى كان الوسطاء يقتطعونه، من المنتجين والمستهلكين على حد سواء، فى كل العصور والمجتمعات، خصوصا عندما يتمكن أولئك الوسطاء، كما كان ذلك هو الحال بالنسبة لوسطاء العالم الأول المحدثين، من أن يخلقوا لأنفسهم مراكز احتكارية علي طول خطوط الوساطة.

ومثال **هونج كونج** يمكن أن يعطى فكرة عن مدى جسامة عوائد الوساطة، فتلك الجزيرة الصغيرة التى لا تحتوى على موارد طبيعية أو صناعات تذكر، والبالغ عدد سكانها **٦ر٥ مليون نسمة، استطاعت، فى الأساس من خلال أعمال الوساطة التجارية والمالية، أن تتحكم فى اقتصاد يبلغ حجمه ٧٠٠ بليون دولار أمريكى (حوالى ٢٥٪ من الدخل القومى للصين الأم)، وأن تحقق متوسطا للدخل الفردى وصل إلى ٢١٫٦٥٠ دولار.**

وعندما استخدم اصطلاح «الاحتكار» فى مجال الحديث عن علاقات الشمال والجنوب، فينبغي التأكيد على أن لهذا الاصطلاح مدلول أوسع بكثير يرتبط بمفهومى الخاص عن نظرية القيمة ومحدداتها، مما تحدده كتب الاقتصاد

الغربية التقليدية، وكتب العالم الثالث الاكاديمية التي تنهج نهجها .**فهذا الاصطلاح يمتد عندي لكي يشمل ضمن عناصره عمليات التراكم التي انتزع الغرب شطرا ضخما في مصادرها من علاقاته بالمستعمرات وأشباه المستعمرات (العالم الثالث فيما بعد) ، والأجور الأعلى التي استطاعت النقابات العمالية أن تحصل عليها بفضل تضامنها وحسن استخدامها للإمكانيات الديمقراطية مقرونا بقدرة البلدان الرأسمالية المتقدمة على نقل عبء هذه الأجور الأعلى إلى العالم الثالث، وعلاقات السيطرة السائدة بين العالم الأول والثالث ،التي مكنت العالم الأول- حتى في النصف الثاني من القرن الحالي بفضل مؤسساته النقدية والمالية والتجارية المتحكمة في المسار الاقتصادي للعالم الثالث -في أن يفرض على العالم الثالث نمطا معينا لتقسيم العمل الدولي يحابي العالم الأول ويعوق تطور الثالث ،والاحتكارات الأخرى في ميادين التكنولوجيا ،وقطاع انتاج السلع الانتاجية المتطورة ، وأعمال البنوك والتأمين والنقل البحري والجوي ، وبطبيعة الحال في مجال العلم النظري والتطويري ،كل هذا يندرج تحت اصطلاح الاحتكار- ويشكل قنوات لابتزاز ونقل الفائض من الجنوب إلى الشمال ، لا تقل أهمية عن التدهور المستمر في شروط التبادل الدولي.**

وقد ترجم نجاح الموجة الأولى لحركات التحرر الوطني (١٩٤٥- ١٩٧٨) ،والمضمون الاقتصادي الاجتماعي المتقدم الذي احتوت عليه أحيانا هذه الحركات،والمثل الذي ضربته مجموعة «**الأوبك**» وغيرها من اتحادات منتجي المواد الأولية ، وازدهار نظريات التنمية والتطور الاقتصادي التي ابتدعها بعض اقتصاديي هذا العالم ،والتي حررت قسما كبيرا من قيادات الرأي العام (وعدد أقل من الاكاديميين) فيه من القبضة الخانقة للخطاب الاقتصادي المعتم المتخفي تحت قناع العلم الدقيق المنضبط الوارد إلينا من الغرب، ترجم هذا كله نفسه على المستوى الرسمي في الأمم المتحدة إلى الاعلانات والمواثيق المتعددة التي اتسمت بها السبعينيات ، وأوقعت الخوف في قلوب قادة الغرب ،مثل «**إعلان وبرنامج العمل لإنشاء نظام اقتصادي عالمي** جديد (الجمعية العمومية للأمم المتحدة رقم ٣٢٠١ الصادر في مايو ١٩٧٤)**وقرار التعاون الاقتصادي** الصادر في دور الانعقاد الخاص السابع للجمعية العمومية للأمم المتحدة في نوفمبر ١٩٧٥ ،«**وميثاق الحقوق والواجبات الاقتصادية للدول** (قرار الجمعية



نيلسون مانديلا
غياب جنوب افريقيا!

العمومية رقم ٣٢٨١-٢٩- الصادر في دور-في ١٢ ديسمبر ١٩٧٦) ،وغير ذلك من القرارات التاريخية التي اتخذتها الجمعية العمومية للأمم المتحدة في شأن الاقتصاد العالمي والتي تدخل في اعتبارها بشكل أكثر جدية مصالح العالم الثالث.

الانتكاسة

على أن الأثر العملي لتلك المواثيق والقرارات غير المسبوقة على سير النظام الاقتصادي الرأسمالي العالمي ، ومن ثم على تغيير الوضع المجحف للعالم الثالث ،كان جد محدوداً. كانت الموجة الصاعدة من الانجازات والانتصارات العسكرية والسياسية وأحيانا الاقتصادية التي حققها العالم الثالث من الأربعينيات إلى السبعينيات هي التي حملت تلك المواثيق والقرارات من الجو الساخن لقاعة مداولات الجمعية العمومية إلى السجل التشريعي للأمم المتحدة ،فلما جفت منابع تلك الموجة وكفت عن أن تفاجئ العالم الأول وتزعزع يقينه بحقه في التسيد وتسيير شئون العالم ،لحق تلك المواثيق والقرارات مصير كل تشريع لا تسانده القوة: حبر جاف على صفحات كتاب مغلق.

حقا لقد أقيم نظام اقتصادي عالمي جديد في أعقاب حرب الخليج الثانية (١٩٩٠ /١٩٩١) ، لكنه كان مناقضا تماما- في الواقع الفعلي- للنظام الذي تطلعت إليه **وصوتت في صالحه شعوب العالم ممثلة في الجمعية العمومية للأمم المتحدة :مناقضا له في الشكل وفي المضمون.**

ولست أرغب أن أحدد هنا متى بدأت موجة التحرر الأولى للعالم الثالث في الانحسار فتدهور التحولات التاريخية الكبرى ليس بالأمر الذي يمكن أن يوضع له تاريخ محدد ، ويكفي أن أقول ان **هزيمة العرب في حربهم مع إسرائيل عام ١٩٦٧ (وبالشكل الذي حدثت به)** والتدهور العربي المعمم الذي أعقبها -رغم الانتصار المؤقت في ١٩٧٣ -على كل الجبهات ،والحروب «الأخوية» الانتحارية في أفريقيا وغيرها ،وانهيار الاتحاد السوفيتي الذي كان -بصرف النظر عن العيوب الجينية أو المكتسبة التي أصيب بها- في أغلب اللحظات التاريخية الحاسمة نصيرا عتيدا لحركات التحرر الوطني ،**والحرب العراقية الايرانية المشينة والغزو العراقي الأحمق للكويت والعيوب الخلقية لمنظمة التحرير الفلسطينية** ، كل ذلك كون علامات هامة على طريق التدهور . لا عجب إذن أن تدهور سعر النفط الآن إلى ١١ دولار، إلى أقل من القيمة الحقيقية لما كان عليه في عام ١٩٧١ ، ولحق بصادرات دول العالم الثالث من الموارد الأولية الأخرى تدهور مماثل في القيمة ، وأصبح الدين الأجنبي -وخاصة عندما يقارن عبء هذا الدين بحصيلاتها من النقد الأجنبي -عبئا لا يحتمل ومصدرا للافقار المتزايد ، وخاصة في البلدان الأشد فقرا من الأصل.

النظام الرأسمالي العالمي ككل هو الوحدة الأولية لتحليل المقاربة مع النظام الرأسمالي القومي

هذه التطورات لا ينبغي أن تدهش كل من يأخذ النظام الرأسمالي العالمي ككل كوحدة التحليل الاجتماعي الأولية .فكما أن الافقار المطلق والنسبي للأغلبية ،والبطالة والتهميش للكثيرين ،وانتشار أعراض الاضطراب الاجتماعي المتعددة الأخرى ،هي النتائج الطبيعية لفعل القوانين التي تحكم النظام الرأسمالي القومي ،كذلك فإن هذه الظواهر كلها تتبدى في النظام الرأسمالي العالمي كنتائج لفعل القوانين ذاتها على نطاق عالمي ، غاية ما هنالك أن آليات انتقال الفوائض من القواعد العريضة إلى القمة قد تكون مختلفة في النظام الرأسمالي العالمي عنها في النظام الرأسمالي القومي(٢).

إن الانجازات التي حققتها الحركة النقابية «الاشتراكية الديمقراطية» المتحركة في محيط ديمقراطي ،في النظم الرأسمالية القومية

المتقدمة التى تمثل الطبقة العليا فى النظام الرأسمالى العالمى ، ليست قابلة للتكرار بكامل مداها فى بلدان العالم الثالث (الرأسمالية المتخلفة والتابعة) التى تمثل القاعدة العريضة للنظام الرأسمالى العالمى ، ليس فقط بسبب غيبة الديمقراطية داخل هذه البلدان القاعدية وفى علاقتها بالبلدان الرأسمالية المتقدمة (أى داخل النظام الرأسمالى كوحدة عضوية تكون أساس التحليل) ولكن أيضا- والسببان مرتبطان- لأن الطبقة الرأسمالية المتسيدة فى داخل النظام الرأسمالى القومى كان فى وسعها -كما سبقت الاشارة- أن تقدم تنازلات للقاعدة العريضة المستغلة والمسيطر عليها من شعوب العالم الثالث ، التى تضاهى على مستوى النظام العالمى الطبقة العمالية على مستوى النظام الرأسمالى القومى، لأن الطبقة الرأسمالية المسيطرة عالميا وحلفاءها الطبيعيين فى بلدان العالم الثالث لا يستطيعون بعد أن يحصلوا على تيار متدفق من الفائض الذى يمول هذه التنازلات دون أن يهدد مواقعها وامتيازاتها مثلا عن طريق استغلال مجال آخر خارج النظام مثل كوكب القمر!.

والنتيجة الحتمية لذلك كله أنه ، فى نظام رأسمالى عالمى مكتمل ، فإن الإفقار سيضرب القاعدة العريضة الضخمة لذلك النظام -شعوب العالم الثالث- بأقسى مما فعل أو يفعل النظام الرأسمالى القومى المتقدم مع قاعدته العمالية ، وأن البؤس والاغتراب سيضرب تلك الشعوب القاعدية بأشكال أكثر تنوعا وأشد وطأة ،كما أن اليأس سيدفع الكثيرين من أبنائها وبناتها إلى الهرب داخل دروب الماضى العمياء المغلقة.

تجربة النمور والأشبال الآسيوية

وقد يبدو أن تجربة بلدان شرق وجنوب آسيا تخطئ هذا التحليل وتلك التوقعات الصارمة. ولا مراء فى أن هذه البلدان قد استطاعت أن تحقق -بطرقها المختلفة- نجاحات باهرة أخرجتها من دائرة التخلف الخبيثة .نجاحات فى تحقيق معدلات مرتفعة ومتواصلة لنمو الدخل ، فى تنمية الصادرات وتحقيق فوائض ضخمة فى ميزان المدفوعات ، فى تطبيق وتطوير بعض أنواع التكنولوجيات الحديثة، وأحيانا أيضا فى الفترة الأخيرة فى تقديم تنازلات لطبقاتها العاملة أدت إلى رفع مستوى معيشتها.

لكن، رغم ذلك كله، فإننى لا أعتقد أن قصص النجاح هذه من شأنها أن تعيب مقاربة التماثل التى أجريتها بين أساسيات النظام الرأسمالى القومى وأساسيات النظام بقدر محدود من الحراك بين الوحدات التى تكون طبقاته (الأفراد فى النظام الرأسمالى القومى ، والبلدان فى النظام الرأسمالى العالمى) هذه السيولة بطبيعة الحال لا تصيب إلا نسبا ضئيلة محكومة :**نسبة ضئيلة من الطبقات المسيطرة تفقد مكانتها المتميزة وتهبط إلى صفوف الأغلبية الفقيرة ،ونسبة أكثر ضآلة من الأغلبية الفقيرة تصعد إلى المستويات المختلفة التى تتكون منها البرجوازيات ،مع بقاء القاعدة العريضة فى كلتا الحالتين بطبيعة الحال ثابتة فى مواقعها . وبريطانيا** -على سبيل المثال- كان يمكن أن تقدم المثال على الافقار المتجمل لبلد كان فى وقت ما فى القمة ، لو لم تقدم لها الولايات المتحدة يد النجدة لأسباب متعددة جيواستراتيجية وسياسية وثقافية .وبالمقابل فإن **اليابان** -رغم صعوباتها الحالية- هى المثل الواضح لبلد هاجر بشكل نهائى من صفوف الفقراء إلى الطبقة العليا فى النظام الرأسمالى العالمى.

لكن حالة النمور الآسيوية الأربعة -**كوريا الجنوبية وتايوان وهونج كونج وسنغافورة** -حالة جد مختلفة ،على النحو الذى يمكن استخلاصه فى دراسة متميزة قدمها ثلاثة من الاقتصاديين المصريين المرموقين(٣).

لقد كان السياق التاريخى لتجربة فى هذه البلدان ملائما بشكل استثنائى، فلفترة لا يستهان بها قبل الحرب العالمية الثانية كانت اليابان تستعمر **كوريا وتايوان** ، ورغم الممارسات الشديدة القسوة التى فرضتها عليها اليابان ،فإنها **لأسباب متصلة بمصالح اليابان الخاصة أعطت لهذين البلدين بنيانا تحتيا متقدما ، وطورت مواردهما المعدنية والزراعية ، وأقامت فيهما عددا من الصناعات الثقيلة**.. الخ ، وهى سياسات تختلف تماما فى مجمل نتائجها عن السياسات التى طبقتها البلدان الاستعمارية الغربية فى مستعمراتها . ولأسباب مختلفة كانت المستعمرتان البريطانيتان **هونج كونج وسنغافورة أيضا مهيئتين من قبل الحرب للقيام بدور الوساطة العالمية الذى برعتا فيه فى فترة ما بعد الحرب.**

وبعد الحرب العالمية الثانية وما بدا من انتصارات الاشتراكية وانجازاتها فى الاتحاد السوفيتى واليابان ،كانت الولايات المتحدة وبريطانيا مصممتين على أن تصبح تلك البلدان الآسيوية الواقعة على أقصى الحافة الشرقية لآسيا نافذة عرض جذابة للنظام الرأسمالى تقف فى مواجهة النظام الاشتراكى ، وقادرة على ال منافسة والفوز بإعجاب بلدان العالم الثالث المعرضة «لخطر» الاشتراكية.

من هنا كان تدفق رؤوس الأموال الموجهة للتنمية على نطاق واسع بالنسبة لسكان تلك البلدان ، وبشروط فى أحوال كثيرة ملائمة ،وحصولها على التكنولوجيا الحديثة دون مقابل أو بمقابل معقول ، وفتح أسواق البلدان المركزية المتقدمة على الآخر أمام صادراتها ، والسماح لها باجراء إصلاح زراعى جذرى (فى كوريا الجنوبية وتايوان) بل والحث عليه ،وغير ذلك.

وأهم من ذلك جميعا :كان مسموحا لتلك البلدان باتباع استراتيجيات وسياسات تنموية فعالة كالتخطيط وتدخل الدولة النشط وإنشاء قطاع عام قوى (بعضه ظاهر والآخر مستتر) وغير ذلك مما كان محظورا على بلدان العالم الثالث الأخرى بحكم تسلط قيادات النظام الرأسمالى العالمى بمؤسساته النقدية والمالية كالبنك الدولى والصندوق .

وحتى اليابان ، بعدما تحطمت تماما فى نهاية الحرب العالمية الثانية، اضطرت الولايات المتحدة إلى العدول عن الهدف الذى كانت مصممة عليه أثناء الحرب وفى السنوات الأربع التالية لانتهائها : هدف إعادة اقتصادها إلى العصور الوسطى ،بسبب خوفها من تنامى قوى الاشتراكية داخل اليابان ذاتها وفى البلدان المحيطة بها ، فأجبرتها على القيام بإصلاح زراعى جذرى وقدمت لها من التسهيلات ما مكنها من النهوض والعودة إلى مركزها الصناعى المتقدم.

ومن الواضح أن هذه الظروف المواتية ،وكثير غيرها مثل مستوى التعليم المتقدم الموروث لعامة السكان، ليست قابلة للتكرار على النحو ذاته فى العديد من بلدان العالم الثالث الأخرى .

على جانب آخر ،كان لتجارب النمور الأربعة قسمات مشتركة غير جذابة يغض النظر عنها دائما الداعون إلى انتهاج مثالها ، هذا بالاضافة لاغفالهم للسياق التاريخى الهام الذى أحاط بتجارب تلك النمور .**فرغم إعادة توزيع الثروة- خصوصا الأرض- وبعض التأميمات التى بدأت بها كوريا الجنوبية وتايوان طريقهما الصاعد (هنا أيضا بمباركة من الولايات المتحدة)فقد قام فيها نظم حكم سياسية صارمة شديدة الكبت ،وخاصة فى مواجهة الطبقة العاملة :كان عليها أن تبقى الأجور عند مستوى شديد الانخفاض لكى تستطيع الاحتفاظ بميزاتها التصديرية فى أسواق البلدان المتقدمة، وأن تحمل الفقراء العبء الأكبر لمعدلات الاستثمار البالغة**

صدام حسين:
الحرب العراقية الايرانية وغزو الكويت بداية للنظام العالمى الجديد

الارتفاع التى كانت أحد أهم عوامل نجاحها، ولم يكن غير الدولة البوليسية الكابتة قادرا على فرض ذلك.

ولست أعطى- دون انكار لهـا- وزنا ثقيلا لقصص الفساد والاختلاس والمحسوبية والشللية وخاصة فى القطاعات المالية ، فكل هذه الظواهر تنتمى إلى مرحلتى التراكم البدائى والتراكم الرأسمالى المبكر فى كل مكان ،وحتى الآن فإن البلدان الرأسمالية المتقدمة ليست صفحاتها بهذا النقاء الناصع الذى تصورها به كتب الاقتصاد المدرسية. والشاهد على ذلك قصص الفساد وسوء الادارة التى تملأ الصحف والمجلات الغربية بشكل شبه دورى فى الولايات المتحدة وانجلترا وايطاليا واليابان وغيرها ،وخاصة فى القطاعات المالية (على سبيل المثال فضائح بنوك الادخار والاقراض التى كلفت دافع الضرائب الأمريكى أكثر من ٧٠ بليون دولار فى عهد ريجان).

كذلك فاننى لا أعطى أهمية كبرى للدور الذى قامت به فى أزمة شرق آسيا النسبة العالمية للقروض الأجنبية القصيرة الاجل او استخدام جزء كبير منها فى المضاربات العقارية ، ولا حتى للهزات العنيفة التى تعرضت لها نظمها النقدية نتيجة المضاربات الخارجية «غير المسئولة» على عملتها ، فتلك أيضا تعرض لها الاقتصادى الأمريكى فى فترات متعددة (كان آخرها خلال حكم **ريجان** الذى مول العجز الفاحش فى ميزانية الدولة الناشئ عن الاندفاع المحموم نحو التسلح بالقروض الخارجية التى كان جزء كبير منها قصير الآجل وفد إلى أمريكا للاستفادة من أسعار الفائدة العالية الارتفاع).

إذا لم تكن تلك هى الاسباب الرئيسية للنكسات التى تعرضت لها بلدان شرق آسيا واحدا بعد الآخر فما هى إذن هذه الأسباب؟.

لقد حدثت تلك النكسات،كما قد تذكر، فقط بعد انهيار النظام الاشتراكى ،ومن ثم انتفاء الحاجة إلى المحافظة على بعض البلدان الآسيوية كواجهة عرض جذابة للنظام الرأسمالى. ومع اختفاء هذا الدافع القهرى فان الاعتبارات الاقتصادية التى تحرك النظم الرأسمالية المسيطرة تقدمت إلى الصفوف الأولى . وأحد هذه الاعتبارات يتصل مباشرة بباعث البحث عن أعلى الارباح، والثانى ذو طبيعة استراتيجية:

فنتيجة للصراع الطبقى العنيف الذى استعر فى بعض البلدان الآسيوية المندفعة كالصاروخ على طريق النمو ، اتجهت الأجور- وخاصة فى« كوريا الجنوبية وتايوان- نحو الارتفاع، وأصبح من الأفيد من ناحية الربحية لرؤوس الأموال الأجنبية المستثمرة فيها ، وخاصة الأمريكية واليابانية، ان تنقل الكثير من نشاطها الانتاجى إلى بعض بلدان شرق آسيا الأخرى- المسماة أحيانا بالأشبال الأربعة -التى كانت الأجور والمزايا الاجتماعية الأخرى فيها لا تزال بالغة الانخفاض، لأن هذا الانتقال هو الذى يمكن رأس المال الأجنبى من بيع منتجاته فى الأسواق العالمية بأسعار أقل ومن تحقيق أرباح أعلى فى الوقت ذاته .هذه الهجرة الطارئة لرؤوس الأموال الأجنبية كان لابد أن تصبح عامل استقرار عميق الأثر على النمور التى كانت من قبل صاحبة الخطوة الأولى .إفساد أو لا إفساد.

أما الاعتبار الاستراتيجى فينبع من الاحتياجات الاقتصادية والسياسية الداخلية فى البلدان الرأسمالية المتقدمة ذاتها، وعلى رأسها الولايات المتحدة .**إن بعض القوى الفاعلة فى اقتصادها -تلك المسماة بالشركات عابرة القارات -ربما تجد فى الأفيد لها أن تنقل كل أو أجزاء من صناعاتها إلى بلدان الأجور الرخيصة ليس فقط لتحقيق الارباح العالمية ، ولكن أيضا لضرب الطبقات العاملة ذات التنظيمات المتماسكة فى البلدان المتقدمة ذاتها.** ذلك صحيح ، لكن ليس صحيحا، على خلاف بعض الآراء الشائعة ، أن تلك الشركات كانت بالضرورة تسيطر على مجمل السياسات الاقتصادية لبلادها . ذلك قد يصدق فى نواح استراتيجية معينة متصلة باستغلال بعض الموارد الخارجية ذات الأهمية الاستراتيجية لها وللاقتصاد العالمى . لكن فيما عدا هذه الأحوال فإن ضخامة حجم النشاط او امتداداته في الخارج ليسا بالضرورة مقياسا لضخامة النفوذ السياسى : فقطاعا البترول المصرى وقناة السويس تسيطر عليهما مؤسسات كبرى مصرية -حتى الآن- ويكونان اثنين من أهم مصادر الدخل القومى والعملة الأجنبية فى مصر، لكن تأثير هذه المؤسسات على السياسة الاقتصادية المصرية الداخلية والخارجية جد محدود.

والحقيقة أن نفوذ الشركات عابرة القارات فى أمريكا يوازنه وفى أحوال كثيرة يتفوق عليه فى تحديد السياسات الاقتصادية قوى معادلة أخرى COUNTER VAILING Powers ، مثل الشركات التى تتعرض لمنافسة ضارية من الواردات الأجنبية الرخيصة التى تستوردها من فروعها الخارجية الشركات متعدية الجنسية ، دون أن يكون لها هى مصالح قوية فى الخارج ،ومثل مصالح الطبقة العمالية التى تخشى البطالة وانخفاض الأجور ومصالح الفئات الوسطى المرتبطة بالنشاط الداخلى، ومثل الادراك العام وفي الأوساط السياسية للنتائج الاجتماعية والسياسية الكارثية المترتبة على عملية التفكيك الصناعى DE-INDUSTRIALIZATION التى كانت تسرى كالجمر فى أمريكا وفى انجلترا أيضا.

وهناك الكثير من المؤشرات الدالة على أن تلك القوى المعادلة تلعب دورا متزايد الأهمية فى تحديد الاستراتيجية الاقتصادية للبلدان المتقدمة ،مثل القيود الخفية المتعددة التى تفرض فى الواقع على حرية التجارة مع البلدان النامية تحت دعاوى مختلفة (استغلال عمل النساء والأطفال- ساعات العمل- شروط الجودة والمعايير الصحية -البيئة.: الخ) **ومثل انتهاز صندوق النقد والبنك الدولى لفرصة الانتكاسة التى تمر بها تلك البلدان ، بما فى ذلك النمور ، لتركيعها ، وارغامها**

على الخضوع لشروطهما وقيودهما التقليدية التى تستهدف أول ما تستهدف فرض طراز لتقسيم العمل الدولى (دائم التغيرتبعاً لتغير الظروف وتقدم التنكلوجيا) **يخدم فى الاساس مصالح البلدان الرأسمالية المتقدمة ويحرم بلدان العالم الثالث من فرص التطوير المستقل الذى يحقق التنمية المستدامة.**

لقد تمكنت **اليابان** من الافلات من هذا المصير لأنها ، لأسباب تاريخية متعددة بلغت درجة عالية من القوة الاقتصادية قبل أن تتمكن بلدان الغرب من الايقاع بها. كذلك **فإن الصين والهند**، لأسباب مختلفة خاصة بكل منهما ، قد أفلتتا أوكادتا تفلتان من المصيدة لأنهما -كل منهما بطريقها الخاص- قد عمدتا قبل الأخذ بسياسة الانفتاح على العالم الخارجي ،إلى **تبنى وتنفيذ استراتيجية مصممة للتنمية المستقلة المعتمدة على الذات مكنتهما من بناء قاعدة صناعية تكنولوجية عريضة وعميقة تستطيع أن تقف فى وجه عواصف النظام الرأسمالى العالمى المحطمة للضعفاء.**

الموجة الثانية لحركة التحرر الوطنى

فقط فى ضوء هذه الخلفية يمكن تقييم **لقاءات القمة للدول الخمسة عشر**(والتى أصبح عددها الحقيقى سبعة عشر بعد انضمام **كينيا** وقبول انضمام **سرى لانكا**)التى بدأت فى كوالالمبور فى عام ١٩٩٠ بناء على مبادرة سابقة من إحدى دول عدم الانحياز ،وعقدت لقاءها الثامن فى القاهرة من ١١ إلى ١٥ مايو ١٩٩٨ .والمتابع لتاريخ هذه اللقاءات يستطيع أن يلاحظ أن أهدافها تتسع تدريجيا بين القمة والأخرى : إنها تحاول ممارسة التأمل العميق فى الأسباب الحقيقية للمشاكل الاقتصادية المتوطنة فى بلدان العالم الثالث وفى تلمس الحلول الفعالة لها. أكثر من ذلك إنها تحاول- دون نجاح كبير حتى الآن -ان تنشئ أجهزة وآليات مختلفة مهمتها وضع تلك الحلول موضع التنفيذ ،حتى لقد يحق للمرء أن يأمل أنه، بعد انهيار الموجة الأولى لحركات تحرر بلدان العالم الثالث التى بدأت فى عام ١٩٤٥ ،**فإن الحركة الجديدة التى أصبحت اجتماعات قمة الخمسة عشر تجسيدا مرئيا يرمز لها ، قد تبشر ببدء تصاعد الموجة العظمى الثانية لتحرر العالم الثالث . ولو تأملنا الأوجه المتعددة للأزمة الخانقة التى أصبحت تحيط الآن بالعالم الثالث فقد يبدو أن ذلك العالم أصبح -اذا استكملت الشروط اللازمة -مهيأ للموجة الثانية المليئة بالحيوية.**

هذه الموجة الثانية، على خلاف الموجة الأولى ،هى فى الأساس ، أو لنقل فى البداية موجة تضامن اقتصادى ،حتى ولو لم تكن تتجاهل المؤثرات السياسية التى تعمل على تفاقمها ،والتى يؤدى علاجها إلى توفير مناخ اقتصادى أفضل :عوامل سياسية مثل إعادة التفكير فى الدور الذى يمكن أن تلعبه حركة عدم الانحياز فى عالم يسوده قطب واحد ،ومثل ضرورة اعادة هيكلة الأمم المتحدة وبوجه خاص مجلس الأمن واعطاء الدول الفقيرة دورا أكثر فعالية فيه ،ومثل تحويل المؤسسات المالية والنقدية الدولية الكبرى من مجرد أدوات لتحقيق الاهداف بعيدة المدى وقصيرته التى تبتغيها الدول المسيطرة إلى أجهزة يمكن أن تستخدم ، ولو جزئيا وتدريجيا مع تغير موازين القوى فى العالم ، لصالح العالم الثالث.

إن اعطاء اهتمام أكبر للقضايا الاقتصادية وخاصة المتعلقة بتعاون الجنوب-جنوب ، قد يعكس وعيا محمودا بأن الاستقلال السياسى الشكلى لا يعنى أو يؤدى بالضرورة إلى التحرر الاقتصادى وأنه إنطلاقا من الحريات السياسية المحدودة التى أمكن انتزاعها ، فإن الطريق الأفضل لكل من الاستغلال السياسى الحقيقى والتنمية الاقتصادية الحقة هو التركيز على أهداف اقتصادية استراتيجية ذات أهمية جوهرية.

إن الحركة الجديدة تنطوى دون ريب على الاهداف الكبرى للسبعينيات ، لكنها تكسوها بقدر أعظم من الواقعية . لقد تقرر بالفعل عقد اجتماعات قمة دورية ، وإذا لم أستطع أن أتبين من الروايات المتضاربة ما إذا كان قد إنشئ بالفعل مكتب بحثى تنسيقى دائم ، فالمؤكد أن مهام بحثية محددة قد أعطيت -كواجبات -لدول بعينها ،مثل دراسة تنسيق السياسات وتكثيف التجارة بين الدول المشاركة ، ومثل إنشاء قاعدة معلوماتية للعالم الثالث ،ومثل دراسة معايير واجراءات التأكد من الجودة ، ودراسة آليات تدعيم التعاون بين رجال الأعمال وانشاء المشروعات المشتركة.

وينبغى مع ذلك أن يقاوم الاغراء الشديد الذى قد تخضع له بعض البلدان ، تحت تأثير ضغوط داخلية وخارجية مختلفة ،لتحويل اجتماعات القمة والاجتماعات التمهيدية السابقة لها إلى مجرد معارض تعرض فيها منتجاتها وتسعى إلى تصديرها وعقد الصفقات التجارية الاستثمارية بين رجال الأعمال . إن ذلك كله وارد ومحمود ، لكن ينبغى ألا يغيب عن الذهن أبدا أن الحركة الجديدة ليست أبدا تجمعا لرجال أو يقوده رجال الأعمال ، ولكنها فى الأساس مؤسسة للتفكير والبحث والتأمل فى واقع البلدان النامية وأصل مشاكلها ، ولوضع الحلول والسياسات الملائمة واتخاذ القرارات العامة الطابع وضمان تنفيذها ، وتلك كلها مهام



سياسية بالدرجة الأولى يمكن أن يكون لتجمعات رجال الأعمال الذين ينتمون إلى بلدان الجنوب دورهم فيها ، لكنهم بحكم تكوينهم وأهدافهم المحددة أساسا فى تحقيق الربح الخاص الذى لا يتفق بالضرورة مع الصالح العام ،لا للبلد المعين ولا لمجموع بلدان الجنوب ، ليسوا مؤهلين لقيادتها .إن هذه الحركة ليست مجرد سوق يسيره ويسيطر عليه رجال الأعمال.

ومما يبعث على التفاؤل في هذا الشأن أن أحد رؤساء الدول المشهورين «بالاعتدال» والحذر الشديد قد حدد فى حديث خاص مع بعض الصحفيين مهام المجموعة بأنها «**مجموعة سياسية اقتصادية تمثل بلدان الجنوب وتدافع عن مصالحها وتسعى لتنظيم التعاون بين الجنوب والجنوب وبدء حوار جاد متكافئ مع الشمال**» ،كما أنه أضاف فى خطاب آخر عام أنه ما لم يمكن المجتمع الدولى كل بلد فيه من القيام بالتحولات الاقتصادية التى تأخذ فى الاعتبار ظروفه الخاصة ، فإن لفظ التحولات سوف يفقد مشروعيته وليصبح احتكارا لمجموعة محددة من الشعوب التى تجنى ثمار تلك التحولات وتضع قواعدها ومعاييرها وأحكامها ،كما أعلن رئيس دولة أخرى تعرضت للتخريب نتيجة للمضاربات المالية غير المسئولة -**أو ربما المقصودة** -أنه بينما كانت التسعينيات عقد النمو والتطور المتواصل فى الشمال فإن تلك التطورات مثلت بالنسبة للجنوب عقد التنمية الضائع.

على أن أكثر الأمور مدعاة للتفاؤل أن مجموعة الخمسة عشرا لا تقيم نفسها كناد مغلق ، وإنما تتحدث باسم العالم الثالث وتولى اهتماما خاصا لمصالح أكثر بلدان هذا العالم فقرا ،وتسعى لكى ينضم إليها دولة الأخرى .

إن تغيب بعض البلدان ذات القيادات التاريخية الفعالة قد يثير الدهشة ، وبوجه خاص **جنوب افريقيا**. وأقل دهشة غياب النمور الآسيوية الأربع. وبالتأكيد فإننى لا أتمنى لها هذا المصير ، لكننى أعتقد أن التطورات المقبلة قد تقنعها بأن مكانها الصحيح هو مع باقى دول العالم الثالث.

والمقال الحالى يختتم فى الرابع عشر من مايو ،اليوم الذى نشرت فيه الصحف بيان اجتماع القمة الثامن. ولن يتسع الوقت أو المجال لتحليل مضمونه . لكن ثمة عدد من الملاحظات التى تبدو للخاطر ،أولها أن عباراته أقل صراحة وتحديدا فى تكييف الوضع الاقتصادى الدولى الراهن وأسبابه ووسائل علاجه من التصريحات السابقة، عليه

رونالد ريجان

أو اللاحقة له الصادرة حتى من بعض رؤساء الدول المشهورين «بالاعتدال» والحذر. ربما كان ذلك شأن المؤتمرات التى تميل عادة إلى التوافق عند الحد الأدنى الذى يقبله كل الأعضاء ، لكنه يذكر بقوة بالمقولة اللبنانية الشهيرة: إذا كان للحكومات ضروراتها فإن للشعوب احتياجاتها.

هذه المقولة هنا ليست بالأمر العارض ،فالحقيقة الكبرى فى عالمنا المعاصر، وبوجه خاص فى العالم الثالث الذى قد تكون بعض حكوماته أكثر حرصا على مراعاة خواطر القوى العظمى منها على تعبئة شعوبها وتثقيفها بمهام كل مرحلة ومتطلباتها ،هى انه ما لم تتحرك شعوب العالم الثالث بقوة وتقود حكامها -بدلا من الاستسلام لقيادتهم لها- نحو النضال من أجل تحقيق الأهداف التى عقدت من أجلها اجتماعات القمة، بل والمضى بها إلى غاياتها الطبيعية ، فإن هذه الاجتماعات الواعدة ، بدلا من أن تكون بداية لموجة عارمة ، سوف تنحسر لتتكسر فى النهاية على شواطئ المساومات الصغيرة المفرقة والمهلكة ،على نحو ما يحدث الآن لحركة التحرير الفلسطينية.

والأمر الثانى الخليق بالرصد أن بيان القمة الأخير ، ربما بحكم الضرورات العملية ،كان أكثر انشغالا بالقضايا الملحة العاجلة ،وخاصة أزمة بلدان شرق آسيا المالية والنقدية ،منه بالقضايا الاستراتيجية الكبرى المتصلة بوضع العالم الثالث داخل النظام الاقتصادى العالمى وكيف يمكن تعديله ،كما كان أكثر انشغالا بالحوار بين الجنوب والشمال منه بالاشكال المختلفة للتعاون بين الجنوب واتخاذ الوسائل الكفيلة بالخروج به إلى حيز التنفيذ . ذلك أيضا يؤكد ما سبق قوله من أنه ما لم تمسك الشعوب ، وبوجه خاص فى مثل هذه

القضية مثقفوها ورجال الاعلام الواعون فيها ، بهذه القضية الكبرى بين أيديهم فستبقى هشة مهددة بالضياع.

حزمة متوازنة من المصالح المتقابلة

إن بلدان العالم الثالث تشترك جميعا فى أسباب التخلف وفى العديد من قسماته ،وبالتأكيد فى معاناتها من القيود الحديدية التى يفرضها عليها وضعها المتدنى داخل النظام الرأسمالى العالمى لكنها رغم هذه العوامل المشتركة تتباين تباينا شديدا فى متوسط الدخل الفردى فيها ،فى مستوى تطورها الاقتصادى ونمط التنظيم وفى طبيعة ونسبة صادراتها وحجمها وموقعها الجغرافى وغير ذلك .هذا كله من شأنه أن يوجد تباينا لا يستهان به فى مصالحها ،فى علاقة كل منها بدول العالم الثالث الأخرى وبالعالم الخارجى الأوسع نطاقا.

هذه الاختلافات الهامة لا ينبغى أبدا أن يسمح لها بأن تحطم وحدة العالم الثالث، وعلى النقيض من ذلك: يجب أن تحول إلى عوامل قوة وتساند. وليس ذلك بالأمر الصعب أو المستحيل ،والمثال الحى على ذلك دول الاتحاد الأوروبى التى يوجد بينها الكثير من الخلافات سابقة الذكر(على سبيل المثال دول شمال أوروبا مع اليونان والبرتغال) ومع ذلك أمكنها من خلال التفكير العلمى السليم والخطوات العملية البناءة واتساع الأفق والجرأة على تحقيق الأحلام البعيدة المنال أن تحقق خطوات متصاعدة نحو الوحدة. بالمقابل فإن البلدان العربية التى يجمع بينها ما هو أعظم بكثير مما يجمع بين بلدان العالم الثالث الأكبر ، ويفرق بينها فى المصالح ما يفرق بين بلدان العالم الثالث ، قد بقيت فى وضعى التجزئة والتعارض المدمرين وتخلفت تبعا لذلك إلى الوراء بدلا من التقدم لأنها سمحت لما يفرق بينها بأن يتغلب على ما يجمع ،لأنها لم تنهج النهج العلمى السليم فى محاولاتها المتعددة المتعثرة لتحقيق شكل أو آخر من أشكال التعاون.

هذا النهج السليم يحتاج بيانه إلى أكثر مما تسمح به هذه الصفحات لكن يمكن ايجازه فى جانبين أحدهما اقتصادى والآخر سياسى:

*** فعلى الجانب الاقتصادى يجب أن تسعى بلدان مجموعة الخمسة عشر، وما يجاوزها إلى بلدان العالم الثالث، ومن باب أولى بطبيعة الحال مجموعة البلدان العربية، أن تبتدع فى مجالات التجارة والاستثمار والمشروعات المشتركة وتطوير التكنولوجيا وتحديد العلاقات مع كافة عناصر النظام**

الاقتصادى العالمى حزمة متكاملة متقابلة ومتوازنة فى كل مجال ، بل وبين هذه المجالات بعضها والبعض الآخر ،من شأنها أن تجعل لكل طرف مصلحة محققة في قبولها وتنفيذها.

وفى تصورى أن مجموعة الخطوط التوجيهية التى اقترحتها منذ حوالى العشرين عاما لا تزال تصلح كبداية للتحقيق التدريجي لهذا الهدف، بل أنها صممت علي هذا الأساس ، وذلك بعد أن يؤخذ فى الاعتبار التطورات اللاحقة التى لحقت بالنظام الاقتصادى العالمى، والتى ربما كان أكثرها خطورة وأصعبها فى المعالجة-إن التغلب عليها بأية حال أمر مستحيل -هى تلك الناشئة عن إنشاء «منظمة التجارة العالمية» وما أصبحت تفرضه على البلدان النامية من قيود دائمة لا تعادلها بعض التنازلات المؤقتة الممنوحة لها، وذلك موضوع متخصص ينبغى أن يتوافر على دراسته من الآن ذوو العلم والنظرة السليمة لقضايا العالم الثالث.

أما الجانب السياسى فيتلخص فى أن تلتزم كل دولة بالامتناع الكامل عن التدخل فى الشئون السياسية للدول الأخرى ، قريبة كانت أو بعيدة ، وأن تثق فى أن التفاعلات الداخلية ،طال العهد أم قصر كفيلة بأن تؤثر على الأوضاع الداخلية فى مختلف البلدان بما يوجهها إلى التناغم مع الموجة الجديدة الصاعدة لحركة التحرر.

حدود نقابية العالم الثالث

يبقى فى النهاية نقاط ثلاث لا غنى عن الإشارة السريعة إليها:

** أولها أن بلدان العالم الثالث، بحكم كونها جزء لا يتجزأ ، الجزء التابع ،من النظام الرأسمالى العالمى، لن تستطيع وحدها ،من خلال تعاون الجنوب- جنوب ، أن تحقق نتائج تفوق ما استطاعت الحركة النقابية فى البلدان المتقدمة أن تحققه لطبقاتها العاملة. وعلى الأغلب فإن إنجازاتها سوف تكون أقل لأنها تتحرك داخل بنية اقتصادية اجتماعية سياسية ، بل وعسكرية -هى بنية النظام الرأسمالى العالمى -أقل ملاءمة لحقوقها ومطالبها مما كانت عليه بنية النظم الرأسمالية القومية فى علاقاتها بطبقاتها العاملة ، حتى وإن كانت سلطة النظام السياسى والتنظيمات الاقتصادية الدولية- كالبنك والصندوق ومنظمة التجارة الدولية -أقل وضوحا وشفافية من الهيئات المماثلة داخل دول الرأسمالية القومية المتقدمة(٤).

** الأمر الثانى أن موجة التحرر الثانية المأمولة للعالم الثالث، أو ما يمكن تسميته «الحركة النقابية لهذا العالم» ، لا يمكن أن تحقق كامل، وحتى غالبية الأهداف المأمولة منها، ما لم تكن مصحوبة فى عدد كبير مؤثر فى بلدانها بتغيرات داخلية كبرى فى المجتمع والسياسة والاقتصاد تؤدى بها إلى انتهاج ما أسميه هنا على سبيل الاختصار «استراتيجية الاعتماد على الذات والمتمركزة حولها»(٥) ،وهى لا تعنى على الإطلاق تحقيق الاكتفاء الذاتى وقطع العلاقات مع العالم الخارجى أو محاربة عملية «العولمة» التى تجرى حاليا (والمتميزة تماما عن عملية التغريب)، على نحو ما يذهب بعض الكتاب الذين يتعمدون ألا يفهموا ما يقرأون، وإنما تعنى اتباع سياسات من شأنها إكساب كل بلد أو مجموعة مترابطة فى بلدان العالم الثالث هيكلا صناعيا -تكنولوجيا عميقا متكاملا لا غنى عنه لتحقيق التنمية المتواصلة ، وقدرة على اكتساب التكنولوجيا الحديثة واستخدامها وتطويرها بما يلائم ظروفها ، وملكة التصميم الهندسى التى تكون العمود الفقرى للتصنيع الخلاق(٦) والإنشاء المستقل فى مختلف المجالات ،والسيطرة الكاملة على النظام النقدى والمالى بما يحقق التحكم فى معدلات ومصادر ومجالات الادخار والاستثمار ،وكذلك السيطرة على العلاقات الخارجية التى تمكن البلد المعنى من التعامل مع العالم الخارجى ، لا أقول على قدم المساواة ، فذلك أمر بعيد المنال لأغلب البلدان ، ولكن على نحو يمكن من استخدام هذه العلاقات لخدمة أهدافه التنموية بدلا من السماح للعالم الخارجى، وبوجه خاص المؤسسات الدولية، بالسيطرة على استراتيجيته التنموية لخدمة أهداف ومصالح هذا العالم، باختصار اتباع مجمل الاستراتيجيات التى كونت فى الماضى-فى رأيى الذى عبرت عنه منذ سنوات طويلة- الأساس التاريخى التحررى والمضمون الحقيقى لما سمى على سبيل الخطأ أو الوهم الأيديولوجى بمرحلة الانتقال إلى الاشتراكية أو بنائها فى أجزاء النظام الرأسمالى العالمى الأكثر تخلفا ، ولم يكن فى الحقيقة أكثر من الاستجابة الموضوعية-وبالأساليب الخاطئة فى بعض الأحوال-لتحديات التقدم والتطور التى كانت أوضاع التبعية بدرجاتها المختلفة تلقيها على عاتق بلدان معينة مثل روسيا والصين.

قصارى ما يمتد إليه البصر

ذلك قصارى ما يمتد إليه البصر عن احتمالات المستقبل لو صح تقديرى أن النظام الرأسمالى العالمى يعيش الآن مرحلة أزمة ضارية فى شطريه المتقدم والتابع ،وأن الاستجابة سوف تكون إيجابية إذا تمثلت فى الاقتراب نحو الاشتراكية الحقيقية فى الشطر المتقدم ، واتباع استراتيجية الاعتماد على الذات والمتحورة حولها ذات المضمون المتقدم فى الشطر المتخلف من النظام العالمى.

عند هذا الحد يعجز النظر عن رؤية ما إذا كان هذين الخطين (اللذين لا يكن فى عالم يزداد تشابكاً أن يتوازيا) سوف يتقابلان على أساس التعاون أو على أساس التضاد بكل ما يؤدى إليه هذا التضامن من عواقب وخيمة .

ذلك، فى تصورى، هو ما سيحدد فى الأساس مسار القرن الواحد والعشرين إن النظرة التفاؤلية الشاملة التى سادت فى القرن التاسع عشر عن اتحاد عمال العالم ، ولم تكن فى الحقيقة تخاطب سوى عمال البلدان الرأسمالية المتقدمة، لم تعد تكفى بعد أن دلت التجربة التاريخية خلال قرن كامل على تداعى بعض الأسس والافتراضات النظرية التى كانت تقوم عليها ، وكل ما يمكن فيه قوله الآن هو الأمل فى أن يكون التقاء مسارى بلدان العالم الأول وبلدان العالم الثالث ، فى مستقبل ليس بالبعيد ولكنه لن يكون قريبا بأية حال هو لقاء التعاون لالقاء التناقض الكارثى.

*كتب هذا المقال ونشر فى الأهرام ويكلى القاهرية تحت عنوان آخر بمناسبة اجتماع القمة الثامنة للدول الخمسة عشر فى القاهرة ، وقد أدخلت عليه هنا بعض التعديلات الخفيفة ،كما أضيفت بعض الفقرات الختامية.

(١) نشرت هذه الخطوط التوجيهية أول ما نشرت فى مجلة International Development Review ، واشنطن تحت عنوان ترجمته «التعاون الاقتصادى لبلدان العالم الثالث: خطوط توجيهية لميثاق».

(٢) هذه المقاربة والنتائج المترتبة عليها فى هذا المقال ، وردت بشكل أكثر تفصيلا فى أعمال متعددة للكاتب، نشرت بالانجليزية ابتداء من عام ١٩٧٦.

(٣) «خبرات التنمية فى الدول الاسيوية حديثة التصنيع» د. ابراهيم العيسوى (الذى تولى أيضا الاشراف والتحرير) د. رمزى زكى، د. حسن الفقير، معهد التخطيط القومى ١٩٩٢.

(٤)انظر فى حدود نقابية الجنوب مقالى عن «نقابة العالم الثالث الجديدة» المنشورة فى «لموند ديبلوماتيك» الفرنسية فى عدد يونيو ١٩٧٥.

(٥) للدراسة الأكثر تأصيلا وتفصيلا عن هذه الاستراتيجية انظر بحثى المعنون «ثورة العالم الثالث واستراتيجية الاعتماد علي الذات المتحورة حولها» ، داكار ، ١٩٧٦ ، ويوجد ملخص واف له بالانجليزية أيضا فى كتاب «نحو استراتيجية جديدة للتنمية» مطبعة برجامون ، نيويورك ١٩٧٩.

(٦) حول أهمية ملكة التصميم الهندسى وغيره من استراتيجيات التصنيع الأساسية أنظر الدراسة المبدعة للأستاذ المهندس على نجيب : «كراسة فى تصنيع مصر» -القاهرة ١٨٥.



عمال العاشر من رمضان وحقوقهم المهدرة

بين استغلال الرأسمالية وغياب اليسار

خالد البلشى

وصلتنا فى" اليسار" أخبار تؤكد على وجود العديد من الانتهاكات لحقوق العمال فى عدد من شركات العاشر من رمضان ، وأن بعض الشركات قد بدأت فى اقتطاع أجزاء كبيرة من مرتبات العمال - الصغيرة - بالغائها للحوافز أو تخفيضها لأكثر من الثلثين ، أو عن طريق تثبيت لوائح جديدة تؤدى لاقتطاع مايقرب من نصف اجمالى مايتقاضاه العامل من أجر عند غيابه يوم واحد فقط . ذهبنا إلى العاشر من رمضان لنتحقق من ذلك لنجد واقعاً آخر لم نكن نتوقعه ، أنه واقع العمال وحقوقهم المهدرة فى مدينة العاشر من رمضان كبرى المدن الصناعية الجديدة.

العاشر من رمضان هى أقدم المدن الصناعية الجديدة وأكبرها وأكثرها استيعاباً للعمالة . فطبقا لاحصاءات عام ١٩٩٥ يوجد بالعاشر من رمضان أكثر من ٦٠٠ منشأة صناعية يعمل بها أكثر من ٩٦ ألف عامل ، ومن المتوقع أن يصل عدد العمال إلى ١١٥ ألف عامل مع حلول عام ٢٠٠٠ . هذا بخلاف قطاع كبير من العمالة الهامشية والعمالة غير المؤمن عليها .

وفى ظل تخلى الدولة عن دورها وتفشى حالة البطالة فى المجتمع المصرى وغياب التنظيمات النقابية عن المدن الصناعية الجديدة وخاصة العاشر من رمضان - حيث لايوجد أكثر من ١٦ لجنة نقابية فى كل شركات العاشر من رمضان والتى تتعدى ٦٠٠ منشأة وعدد من هذه اللجان النقابية خاضع لسيطرة أصحاب الأعمال - فان العامل هو الطرف الأضعف فى معادلة العمل ومن ثم لجأ القطاع الخاص والاستثمارى إلى إهدار حقوق العمال.

ففى إحدى جلسات مجلس الشعب فى مايو ١٩٩٧ فجر النائبان **حسين مجاور** **وفتحى نعمت الله** قنبلة عندما كشفا للحاضرين أن العامل فى بعض مصانع المدن العمرانية الجديدة كالعاشر من رمضان يوقع على قرار فصله قبل التعيين .

وكشف الحوار الذى دار بلجنة القوى العاملة بمجلس الشعب فى أكتوبر الماضى حول قضية التأمينات الاجتماعية . **أن الرأسمالية فى المدن الصناعية الجديدة وخاصة فى العاشر من رمضان تهدر حقوق العمال - وحق الدولة - فى التأمينات الاجتماعية عن طريق:**

التوسع فى تسجيل العمالة المؤقتة ، والزام العامل - عند بدء التعيين - على تقديم استقالة مكتوبة ، والحصول من العمال - اجباراً - على توقيعاتهم على استمارة «٦» بما يفيد حصولهم على كافة حقوقهم التأمينية.

كما كشف تقرير لمركز المعلومات بمجلس الوزراء عن أن **أكثر من ٣٣ ألف عامل يتم تشريدهم سنوياً واستبدالهم بعمالة جديدة موقتة ورخيصة فى المدن الصناعية الجديدة ومعظمهم فى مدينة العاشر من رمضان.**

الحكومة منحازة ضد العمال

وفى ظل هذه الظروف وبحجة تشجيع الاستثمار لاتترك الحكومة أية فرصة تمر بدون أن تعلن عن انحيازها الكامل لأصحاب الأعمال ضد مصالح العمال وهو ماسيؤدى إلى مزيد من التدهور فى أوضاع العمالة . ففى مايو ١٩٩٧ تم تمرير **قانون حوافز الاستثمار** فى مجلس الشعب والذى حرم العمال من أن يكون لهم تنظيماتهم النقابية حيث استثنى القانون فى المادة ١٤ الشركات - التى ستخضع لأحكامه - من القواعد القانونية المنظمة لاشتراك العمال واللجان النقابية فى هذه الشركات ، وترك طريقة وحجم تمثيل العمال فى مجلس الإدارة رهن إشارة ومزاج صاحب العمل ." وبذلك حرم العمال من أحد أهم أسلحتهم فى مواجهة الرأسمالية.

وطبقا للمادة ٤٤ من نفس القانون حرم عمال المناطق الحرة الحالية والجديدة من تطبيق أحكام الفصل الخامس من الباب الثالث من قانون العمل"**أى حرموا بجرة قلم من حقهم فى تحديد ساعات العمل والحوافز المقررة على العمل فى الساعات الاضافية وحقهم فى اللجوء لمكتب العمل وأخيراً حقهم فى الحصول على الخدمات الاجتماعية والطبية.**

وبعد تمرير القانون سئل وزير المالية " **محيى الدين الغريب**" عن حقوق العمال بعد تطبيق القانون فتجاهل السؤال تماما واكتفى بالقول " عايزين نشجع المستثمرين".

وتسعى الحكومة الآن لتمرير مشروع

قانون العمل الموحد والذى أهدر معظم الحقوق التاريخية المكتسبة للعمال فى الدورة القادمة لمجلس الشعب وذلك رغم اعتراض النقابات العمالية عليه وهو مايؤكد أن الحكومة تعمل لصالح رجال الأعمال دون النظر إلى الحماية التى كانت موجودة للعمال . حيث جاء مشروع القانون ليؤكد على زيادة ساعات العمل ، وحق صاحب العمل فى فصل العمال وذلك فى المواد ٦٩، ١١٠، ١٢٢ . كما وضع القانون شروطاً للاضراب تجعل القيام به مستحيلاً حيث اشترط موافقة ثلثى أعضاء النقابة العامة قبل القيام بالاضراب رغم مخالفة ذلك للقوانين والاتفاقات الدولية.

النشاط النقابى ممنوع

وعلى الرغم من أن الرأسمالية الجديدة فى مجتمع العاشر من رمضان تسعى فى اتجاه تنظيم صفوفها وتقنين تنظيماتها ، فأنشئت **جمعية مستثمرى العاشر من رمضان** . والتى تعمل جاهدة لضمان مصالح أعضائها عن طريق اعداد مجموعات عمل لها تشمل مقترحات محددة ودراسة القوانين واللوائح التى تؤثر فى نشاط المستثمرين ، وكذلك التوفيق والتحكيم والعمل على حل الخلافات التى تنشأ بين الأعضاء فيما بينهم وبين الجهات الحكومية أو بينهم وبين العمال .. فان الحديث - كما تقول **دينا جلال** فى رسالتها للدكتوراه عن **الرأسمالية الصناعية الجديدة فى مصر** ص ٢٢٦ - لاينقطع عن التنظيمات النقابية المحاربة فى بعض شركات العاشر من رمضان وعن مشكلة النقابيين المفصولين والمهددين بالفصل والمنقولين لوظائف أخرى متدنية أو لأماكن أخرى خارج العاشر من رمضان يترتب عليها إنهاء استخدامهم للمسكن الذى توفره الشركة بالعاشر من رمضان .

وهناك حديث عن **رفض تعامل أصحاب الصناعات مع النقابيين بوصفهم مشاغبين يطالبون بما ليس من حقهم.**

ويصل موقف الإدارة العليا لبعض المنشآت إلى رفض الاعتراف بقيام لجنة نقابية من حيث المبدأ واتباع بعض السياسات التى تتراوح بين تهديد وترغيب النقابيين ومحاولة جمع توقيعات من العمال تفيد بعدم الرغبة فى تشكيل نقابة.

وهو ماتأكد لنا من خلال مجموعة من القضايا التى نظرتها محكمة العاشر من رمضان ضد كل من شركات **ايبيكو وستارتكس وشركة بهية للصناعات القطنية.**

ففى عام ١٩٨٨ قامت شركة **ايبيكو** بفصل أكثر من ٥٦ عاملاً عن طريق نقلهم أو اجبارهم على التوقيع على استقالاتهم بسبب نشاطهم النقابى وحكمت المحكمة بعودتهم للعمل فى عام ١٩٩٦ ولكن الحكم لم ينفذ . وهو ماتكرر مع شركة **ستارتكس** حيث فصل ١٥ عاملاً لأنهم لجأوا إلى تكوين لجنة نقابية بالمصنع . كما قامت **شركة بهية لتصنيع القطنيات** بالعاشر من رمضان بفصل العامل **محمد حسن عبد الحكيم** وقد جاء فى حكم المحكمة بعودة العامل ، أن الشركة قد دأبت على مضايقته عن طريق نقله لوظيفة تختلف جوهرياً عن عمله الأصلى وقد حاولت الشركة قبل ذلك فصله دون مبرر غير محاولته هو وزملائه تأسيس لجنة نقابية للعاملين بالشركة.

ويؤكد **ابراهيم حسيب** المحامى ببلبيس أن النشاط النقابى ممنوع فى شركات العاشر من رمضان فبمجرد أن تعرف إحدى الشركات أن هناك عاملاً قد قرر أن ينضم للنقابة أو يشكل لجنة نقابية تبدأ محاولات مضايقته وفصله لدرجة الاعتداء بالضرب فى شركة الشنطى على وفد النقابة العامة وضرب **جعفر عبد المنعم** رئيس النقابة ، وهى الواقعة التى تداولتها الصحف بل وقامت **شركة ايبيكو** بفصل ٥٦ عاملاً واجبارهم على الاستقالة تحت التهديد أو عن طريق نقلهم إلى فرع الشركة فى أسيوط أو الاسكندرية والمرتب وقتها لايكفى السفر وحده ، وهو ماحدث مع **سمير عجمى** والذى تم نقله ١٥ يوماً فى الشهر إلى أسيوط و١٥ فى الاسكندرية . أما **سيف الدين ميره** فلقدأرغم على كتابة استقالته وكذلك **محمد جاد** والذى حصل على حكم بالعودة للعمل ولكنهم رفضوا عودته وهو ماتكرر مع عمال **ستارتكس** .

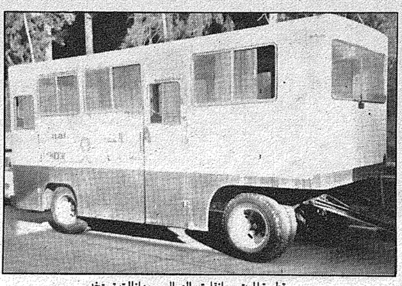
ويقول **ابراهيم حسيب** انه بعد هذه الواقعة فان كل أعضاء اللجنة النقابية فى **ايبيكو** تم انتخابهم بالتزكية أو تعيينهم من قبل أصحاب العمل.

أما **حمدى الشربينى** محامى بالعاشر من رمضان فيقول للأسف أن ماقاله الأستاذ ابراهيم هو الحقيقة وهو مايتكرر ، فى كثير من الشركات يومياً لدرجة أن مدير أمن إحدى الشركات - وكان ضابطاً سابقاً فى مباحث أمن الدولة - كان يستخدم أساليب بوليسية لارهاب العمال مثل الحبس لفترات طويلة داخل غرفة مغلقة أو التهديد بالكلاب البوليسية . حتى أنه بعد أن كسبنا القضية لمجموعة من العمال هددنى بأنه لن يدخلنى العاشر من رمضان ثانية على الرغم من أننى جئت إلى المدينة منذ بداية العمل فيها ولى منزل خاص بها وأولادى ولدوا وتربوا فيها.

جولة داخل المدينة

عموماً فلقد كانت آخر الأخبار التى وصلت الينا من العاشر من رمضان تفيد بأن **شركة جوهر للبلاستيك** قد رفضت صرف منحة عيد العمال للعاملين بها وعندما اعترض العمال على ذلك عاقبتهم بخصم ربع الحافز وتهديدهم بالطرد من الشركة .

أيضا قامت **شركة لاشين** بخصم أكثر من ٧٠٪ من الحافز مع العلم أن أساسيات المرتب فى شركة لاشين تبدأ من ٦٥ جنيهاً ولاتتعدى ٩٥ جنيهاً للعامل الذى عمل فيها لمدة خمس سنوات . واعترض العمال على استلام الحوافز ولم تحسم القضية بعد . كما اتخذت الشركة عدداً من الاجراءات فى سعيها لتخفيض



مقطورة الموت .. انقلبت بالعمال .. ومازالت تستخدم حتى الآن فى بعض الشركات فى العاشر من رمضان



حمدى الشربينى



ابراهيم حسيب

أجور العمالة بها لم تكن قد اتضحت لى حتى وصولى إلى المدينة.

ومدينة العاشر من رمضان مدينة جميلة مليئة بالحدائق والأشجار ولدى وصولى لها نزلت فى موقف العاشر من رمضان بالأردنية لأسأل عن مساكن العمال فى الأربعين الموجود بها مساكن لاشين فأخبرنى أحد الناس أنه يتعين على أن أسير فى الطريق المؤدى إلى بلبيس حتى أجد الصحراء وهناك سأجد مساكن العمال فى الأربعين.

وصلت إلى مساكن الأربعين لأجد عمارة لاشين . ويبدأ حوارى مع عمال الشركة داخل شقق العمال فى العمارة . كل شقة عبارة عن حجرتين وصالة يقطنها عشرة عمال والشقق لايوجد بها إلا الأسرة وبعض الدواليب لكل عامل من العمال مكان بها . ومن ثم لجأ العمال إلى صنع سخانات محفورة فى نوع من الحجر الأبيض لطهو طعامهم عليه وذلك رغم كثرة مخاطرها وتسببها كثيراً فى انقطاع الكهرباء عنهم اعترضت الشركة على هذه السخانات فى البداية ولكنها اضطرت إلى قبول هذا الوضع أخيراً وخصوصاً وأنه لاسبيل أمام العمال غير ذلك . وعندما سألت العمال عن حال السكن فى بقية شركات العاشر قالوا لى أن أغلب العمال فى شركات العاشر يعيشون بنفس الطريقة.

وبدأ العمال فى الحديث..

أخبرنى أحدهم أنه فى شهر مايو فوجئ العمال بتخفيض الحوافز بنسبة أكثر من ٧٠٪ وتبعه قرار آخر خاص بالخصم من المرتب فى حالة الغياب . القرار ينص أنه فى حالة غياب العامل الذى يكون قد استنفذ الأجازات العارضة الخاصة به - ودى عندنا ٣ أيام فى السنة - سيخصم من راتبه نصف بدل المواظبة - يعنى ١٥ جنيه - ونصف بدل النول - ٣٥ جنيه - بالاضافة لربع الحافز الأسبوعى وربع يوم من أساسى المرتب أى حوالى ٤ جنيه . ويعلق أحد العمال .. معرفش ازاى بيحسبوا ربع اليوم بأربعة جنيه لأن أنا بقالى ٥ سنين فى الشركة واجمالى مرتبى بالحوافز والبدلات بيوصل ٣٠٠ جنيه بالعافية وأحيانا لايتعدى ٢٥٠ جنيه - المهم فان كل ده بيخصم فى حالة غياب العامل يوم واحد ودا غير الخصم فى السركى - يعنى **اليوم الواحد** يقف من ٦٠ إلى ٧٠ جنيه وفى اليوم التالى يتم خصم كل بدل المواظبة وكل بدل النول ويتم تصعيد الخصم من المرتب إلى نصف يوم - يعنى لو غبت يومين يخصموا مرتبك.

القرار اعتبر أن الأجازة المرضية حتى ولو كانت بجواب من وزير الصحة تعتبر غياباً وكذلك **يعامل الاستدعاء للجيش معاملة الغياب فى خصم بدل المواظبة وبدل النوال والحوافز.** يعنى لو الواحد منا تعب يومين العملية ترسى على أصل المرتب يعنى ٨٠ جنيه أول عن آخر.

واعتبر القرار أن غياب السبت أو الخميس يحتسب غياب فى كل الحالات حتى ولو كان رصيدك من الأجازات العارضة يسمح لك بالغياب.

ويقول العمال أن **السبب الحقيقى فى تخفيض المرتبات هو أن الشركة افتتحت خط انتاج جديد وعندما تحدث أى تجديدات فى المصنع يتم تحميلها للعمال عن طريق الخصم من المرتبات . لو ركبوا بلاط جديد للمصنع الحوافز تقل . فأصحاب الشركة يقومون بتحميل كل التكاليف للعمال.** وحتى أيام الحادثة اللى حصلت من شهرين ومات فيها ٣ عمال احنا اللى دفعنا التعويضات من جيوبنا بعد مالموا من كل واحد منا ٣ شهور اشتراك اجبارى فى التكافل الاجتماعى.

عموماً فلقد انتقلت مع العمال إلى داخل المصنع لأجد العامل ص .ى من الزقازيق يعمل على النول بذراع مكسور لأنه " خايف يغيب يوم يتخصم فيه كل اللى بيقبضه ».

نزلت إلى قسم التجهيز فى المصنع لأجد أن العمال الذين يعملون به هم من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ١٢ ,١٧ سنة حيث تم استبدال عمال قسم التجهيز كلهم بهؤلاء الأطفال لقلة أجورهم . وعندما سألت أحدهم عن التأمين قال لى " مفيش حد من العيال اللى فى قسم التجهيز متأمن عليه وفى يوم بتوع التأمينات مبيجوا المصنع بيحبسونا فى أوضه فى المصنع لحد مايمشوا."

أثناء عودتى مع أتوبيس الوردية من المصنع تكلمت مع العمال عن ظروف العمل . كل العمال غير راضين عن ظروف العمل بالمصنع ويشكون ضعف المرتبات وخصوصاً الأساسى والذى يبدأ بـ ٦٥ جنيهاً . وأكد لى العمال أنهم يعملون فى ظروف غير آمنه وأن حقوقهم غير مضمونة وخصوصاً وأن هناك عدداً من الحوادث التى حدثت داخل المصنع ولم يحصل العمال على حقوقهم.

يقول أحد العمال فى يوم شبت حريقة فى قسم اللحام فى المصنع . العمال جريوا يطفوها واحد من العمال اسمه **سعيد الجحلوف** مسك خرطوم الميه يطفى الحريقة وقع على دماغه من الدور الثانى مات عملوا له محضر اهمال لأنه مكنش واخد فرقة اطفاء والمفروض ميطفيش الحريقة . وكده طلعوه من غير ولاحاجة علشان كان خايف على المصنع لا ومش بس كده خلوا مراته تسيب الشقة اللى كان واخدها تبع المصنع .

ويقول عامل آخر أن أصحاب



المصنع اتسببوا فى موت ٣ عمال غير المصابين الكلام ده كان من حوالى أربع شهور علشان الشركة توفر فى الأتوبيسات ركبوا مقطورات ورا كل أتوبيس فى مرة الأتوبيس وهو بيلف ملف بسرعة المقطورة انقلبت ومات ٣ عمال غير اللى أصيبوا ومن يومها رفضنا نركب المقطورات دى ثانى فركنوها ورا الجامع فى الشركة: (هذه المقطورات مازالت تعمل فى احدى شركات الملابس الكبرى فى العاشر من رمضان)

عمال لاشين لم يجربوا الاعتراض إلا مرة واحدة عندما قررت الشركة زيادة ساعات العمل فاعترض العمال وطالبوا بزيادة المرتبات وجلسوا مضربين عن العمل . مدير المصنع استدعى المباحث لارهابهم بحجة أنهم يخربون فى المصنع لكن ضابط المباحث **النقيب خالد عثمان** حضر فوجد العمال يجلسون فى هدوء فانصرف . ساعتها وقف مدير المصنع وقال لهم " اللى مش عاجبه . البوابة تفوت جمل وان مسعتش أهدلكوا السور علشان تخرجوا منه" فعاد العمال إلى العمل خوفا على أعمالهم.

يعلق أحد عمال شركة لاشين على هذه الواقعة ويقول **الحكومة هى السبب فى كل ده لأنها هى اللى مرخصانة ومخليانة مرطرطين فى الشوارع فلازم يتحكموا فينا وفى أهالينا.**

تركت عمال **شركة لاشين** فى أحزانهم وسط حقوقهم المهدرة وأنا أعتقد أننى لن أجد مثيلاً لها فى العاشر من رمضان ولكن ماصادفنى كان أكثر من ذلك.

فى محكمة العاشر من رمضان وأثناء ذهابى لمقابلة الأستاذ / **ابراهيم حسيب** المحامى قابلت **محمد عبد الرحمن أحمد والسيد محمد سليمان** من شركة مصر لصناعة الكباسات . وكانوا يعملون كأفراد أمن فى الشركة وتم تلفيق جريمة سرقة لهم وتم فصلهم تعسفياً وبعد مرور أكثر من أربعة أيام ذهبوا لتحرير محضر بالواقعة وعندما تساءل **النقيب خالد عثمان** عن سبب تأخرهم فى البلاغ كل ذلك الوقت وخصوصاً بعد أن اكتشف **النقيب خالد عثمان** أن السرقة قد تمت فى يوم راحة كل من محمد عبد الرحمن والسيد سليمان اضطرت الشركة إلى سحب البلاغ واتهامها لهم ولكنها أصرت على استقالتهم وبعد عرضهم على اللجنة الثلاثية أمرت بعودتهم للعمل واستلام جميع مستحقاتهم ولكن الشركة رفضت الانصياع للجنة الثلاثية فتم تحويل القضية للمحكمة

هذه هى كل أدوات المطبخ فى مساكن العمال

والتى أقرت بصرف المرتب لحين الفصل فى الدعوة ولكن الشركة مازالت تماطل حتى الآن.

عموماً فخلال الأربع سنوات الماضية قامت الشركة بفصل أكثر من ٢٥ عاملاً منهم خالد السيد وحسين فهمى عريان وأحمد محمد أبو سريع وعبد العاطى محمد النجار وسلوى عبد الفتاح ومحمد السيد ووجدى حمدى والسعيد محمود السعيد وخالد أبو المواهب ..

تسعة من هؤلاء العمال فصلوا عقب حدوث اضراب عن العمل قام به العمال للمطالبة بحقوقهم المهدرة فى الشركة ورأت الشركة أن هؤلاء هم قادة الاضراب وفصلتهم وأوصت اللجنة الثلاثية بعودتهم للعمل ، ولكن الشركة رفضت التنفيذ وتحول الأمر للمحكمة.

وكان آخر المفصولين من شركة الكباسات هو **ايهاب مردن** حيث تعرض لحادث أثناء توجهه للعمل فى الشركة نتج عنه إصابة فى قدمه اليسرى والعمود الفقرى وعجز جزئى فى الكلام وأحضر شهادات مرضية بذلك ولكن الشركة رأت أنه يتمارض وتم فصله وأوصت اللجنة الثلاثية بعودته ولكن الشركة لم تنفذ.

استمارة «٦»

وفى نقابة المحامين بمحكمة العاشر من رمضان الابتدائية كنت على موعد مع الأستاذ ابراهيم حسيب ودار حوار موسع بين المحامين داخل النقابة عن أوضاع العمال فى المدينة.

أكد لى عدد من الأساتذةأن **فرص العمل أصبحت محدودة جدا فى غالبية شركات العاشر من رمضان** وأن الواسطة هى الطريق الوحيد المتبقى للعمل بالمدينة . وأن الشرط الأساسى للالتحاق بأى عمل بالمدينة هو **التوقيع على استمارة«٦» أو كتابة استقالة قبل الالتحاق بالعمل** وأن ظاهرة عدم التأمين على العمال ظاهرة منتشرة فى مدينة العاشر من رمضان.

وأكد لى **حمدى الشربينى** المحامى أن عدداً من موظفى مكتب العمل والتأمينات يتقاضون مرتبات ثابتة من أصحاب الأعمال مقابل سكوتهم على أحوال العمال . وقال أن المثال الصارخ على ذلك هو **شركة جيماتكس للمنسوجات فهى معقل للعمال غير المؤمن عليهم ففيها حوالى من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ عامل غير مؤمن عليهم.**

أحد عمال **جيماتكس** قال ليس هناك شئ اسمه تأمين فى شركتنا ولايوجد لدينا إلا أتوبيس واحد لنقل العمال إلى القاهرة والشركة تعمل بنظام الورديتين كل **وردية عبارة عن ١٢ ساعة من ٨ صباحا إلى ٨ مساء والعكس.**

أما **ابراهيم حسيب** فقال إن العامل فى العاشر من رمضان أمامه مجموعة من البدائل أما أن يعمل بدون عقد وبدون تأمينات ، ولعل أحد الأمثلة على ذلك هى شركة ستارتكس للمنسوجات فيناء على محضر محرر فى ١٩٩٦/١١/٢٠ " محضر ضبط ٥" تبين أن فى الشركة **أكثر من ٤٧ عاملاً غير مؤمن عليهم** أما بقية العمال فهم غير مؤمن عليهم بالأجور الحقيقية أو بالتواريخ الحقيقية لالتحاقهم بالعمل.

وأما أن يعمل بعقود محددة المدة – سنة أو ستة شهور – ويتم تجديد العقد بعد أن يفصل بين العقد القديم والعقد الجديد بفترة زمنية حتى لايصبح العقد القديم غير محدد

المدة فيتسنى للشركة التخلص من العمال بسهولة حال انتهاء مدة العقد وهو ماتقوم به كثير من شركات العاشر . **فالشركة المصرية للخرسانة سابقة التجهيز** تتعامل بعقود محددة المدة - ٦ شهور - ولكن هذه الشركة بها لجنة نقابية قوية تقاتل من أجل حقوق العمال.

وفى القضية التى رفعها **اسماعيل زكى** ضد **الشركة المصرية للبلاستيك** تبين أن الشركة تقوم بالتعاقد مع العامل لمدة سنة وفى البند الثالث من العقد يتكلم عن أن العقد يصبح غير محدد المدة إذا استمر التعاقد مع العامل دون انقطاع ، وبناء عليه تقوم الشركة باحتساب اليوم الأخير من العام غيابا وتمنع العامل من التوقيع فى كشف الحضور فى اليومين التاليين ثم بعد ذلك يتم توقيع عقد جديد مع العامل حتى يسهل التحكم فيه.

أما البديل الأخير أمام العامل لكى يتم قبوله فى إحدى الوظائف فهو أن يوقع على استقالة أو استمارة ٦ مع أوراق التحاقه بالعمل أو يوقع على ايصال أمانة أو شيك على بياض قبل التوقيع على العقد وهو مايحدث فى احدى شركات الملابس الكبرى

وعموماً فمن أكثر الظواهر الموجودة فى العاشر من رمضان - الكلام مازال لابراهيم حسيب - قيام الشركات بفصل العمال تعسفيا عن طريق تلفيق قضايا سرقة لهم سواء قطعة قماش أو أى شئ حتى يتم اجبار العامل على توقيع الاستقالة.

ومن القضايا التى عرضت فى محكمة العاشر من رمضان بخصوص ذلك كانت القضية رقم ٤٢٥ لسنة ٩٧ والتى حكمت المحكمة فيها على **حسن الصباحى** المدير الادارى لشركة ستارتكس للمنسوجات بالسجن لمدة عام لأنه أكره العامل **جمال محمد محمد خضر** على التوقيع على استقالته وايصال استلام مستحقاته بعد أن احتجزه بغرفة أمن المصنع وهدده بتحرير محضر سرقة وهو ماكتشفه **النقيب خالد عثمان** ضابط المباحث أثناء تحقيقه مع عمال أمن المصنع . الغريب فى الأمر أن المدير المذكور نفذ الحكم وخرج فى شهر أبريل الماضى وعاد لشركته ليكرر نفس الموضوع مع عامل آخر بعد أسبوع واحد من تاريخ خروجه من السجن وخصوصاً أن الشركة كانت تصرف له مرتباً كبيراً أثناء فترة سجنه ولكن الأمر تم تسويته ودياً بين العامل وأصحاب الشركة.

« يوجد بالمدينة مكتب واحد للعمل وكذلك للتأمينات الاجتماعية تخدم أكثر من مائة ألف عامل يعملون فى أكثر من ٦٠٠ منشأة صناعية و مكتب العمل فى المدينة ملئ بمشاكل من كافة الأنواع لدرجة ناء بها الموظفون العاملون به على الرغم من أن نسبة لاتتجاوز ٢٥٪ من المشاكل فقط هى التى يتم تبليغ مكتب العمل بها."

فك العامل

ويقول **امام الخطيب** المحامى الظاهرة الغريبة فى مصانع العاشر هو ما يعرف هنا " بفك العامل" حيث تلجأ بعض شركات العاشر إلى التخلص من العمالة القديمة ذات الأجور المرتفعة الموجودة بالشركة واستبدال العامل الواحد منهم بأكثر من عامل من العمالة المؤقتة صغيرة السن ذات الأجور المنخفضة.

وأثناء جولتى فى المدينة قابلت أحد العمال الذين يعملون باحدى شركات الملابس النسائية الكبرى والذى تم تسريحه بعد ماوصل مرتبه إلى ٦٠٠ جنيه وتم احلال ٣ عمال محله أجر كل منهم لايتعدى ١٥٠ جنيهاً . وعندما ذهب هذا العامل للشكوى فى مكتب العمل قابله أحد الموظفين وقال له" **روح بوس رجل أسيادك اللى كانوا بيشغلوك واتنازل شوية يا أخى»** وهو الآن فى سبيل تسوية الأمر مع شركته.

اتضح لى أن النقيب خالد عثمان والذى ظهر اسمه كمساند للعمال المظلومين فى كثير من القضايا تم نقله من المباحث إلى وحدة تنفيذ الأحكام حتى يتم ابعاده عن التعامل مع العمال بسبب مواقفه المساندة لحقوقهم.

.كما ظهر أن أحد أبناء مدير مكتب العمل السابق - يعمل الآن كموظف فى المكتب - التحق بأحد مصانع العاشر كفرد أمن ثم تم ترقيته إلى مساعد مدير شئون العاملين بالشركة وهو لايزال طالب انتساب فى كلية التجارة جامعة الزقازيق.

.. وهذه غرفة نوم العمال فى ١٠ رمضان

وعاملات العاشر أيضا

العاشر من رمضان بها عدد كبير من العمالة النسائية وغالبية العاملات من النساء داخل مصانع العاشر من رمضان لايخضعن لنظام التأمين الاجتماعى ومرتباتهم أقل بكثير من مرتبات نظرائهم من العمال على الرغم من عملهم لفترات طويلة وهو ماظهر ل د. **دينا جلال** فى رسالة الدكتوراه عن الرأسمالية الصناعية فى العاشر من رمضان وأنها تلجأ إلى العمالة النسائية لقلة أجورها.

عموماً فالعاملة المقيمة بمدينة العاشر من رمضان تعانى الأمرين بين ضغوط العمل والظروف المهينة له وبين نظرة الناس فى المدينة لهن فهن دائما محل شك وريبة بسبب تركهن لأهلهن ومعيشتهن فى المدينة فالعاملات دائما محل اتهام ولذلك فعندما حاولت الحديث معهن عن ظروف عملهم فى مصانع المدينة كن يهربن من أمامى بل كن يسارعن إلى الجرى منى حتى لا ترى إحداهن وهى تقف معى.

غالبية عمالة النساء تتركز فى **مصانع المنسوجات والحلويات أو الأطعمة والمناديل الورقية** بشكل عام وتمتد فترات العمل فى بعض المصانع التى يعلمن بها إلى ١٢ ساعة مثل مصنع جيماتكس ومصنع رنجو للكاراتيه وهنى ويل وبدون تأمينات وأحد مصانع الكاراتيه بالمدينة يقوم بتشغيل العاملات فى الفترة المسائية أى من ٨ مساء و حتى الثامنة

صباحاً.

سوق العمال

الظاهرة الملفتة للنظر فى العاشر من رمضان هى ظاهرة " سوق العمال" والتى لفت نظرى اليها عدد من المحامين بالمدينة فتوجهت لأستطلع أخبار هذا السوق.

يوجد فى العاشر سوقان للعمال واحد فى **الأردنية** والثانى أمام **شبكات المياه** ويتجمع العمال فى السوق منذ السابعة صباحاً فى انتظار من يأتى لتشغيلهم . وهم يتعرضون للكثير من المخاطر فما بين الموت تحت عجلات السيارات وعربات المصانع أو الموت والاصابة أثناء العمل دون أية حقوق والعامل فى سوق العمل يحمل مصيره على كتفه فى سبيل لقمة عيشه.

وصلت إلى سوق العمال الموجود أمام محطة المياه وكانت الساعة قد تعدت الواحدة ظهرا فلم أجد فيه غير" عاملين" بمجرد وصولى سألونى " عايزين عمال تشتغل يابيه " وعندما عرفتهم بنفسى جلست لأتحدث مع **محمد ديدى** من أبو كبير شرقية.

- بتشتغل إيه يامحمد؟

* أى حاجة يابيه.

- انت ساكن هنا يامحمد ولابتروح بلدكم؟

* لأ ساكن فى" الكير هاوس" - منطقة فى العاشر - فى شقة مع جماعة من العمال عند راجل اسمه أبو عمرو.

- وساكن بكام؟

* بخمسين قرش فى الليلة

- وانتم ساكنين كام واحد فى الشقة؟

* حوالى ٢٥ كل عشرة فى أوضة غير اللى فى المطبخ.

- بتناموا على الأرض؟

* لا على حصيرة وكل واحد بيجيب غطاه معاه

- بتلاقى شغل كل يوم يامحمد؟

* حسب الظروف.

- ايه نوع الشغل اللى بتلاقيه ؟

* فى العتالة أو المسلح وساعات بنروح نشتغل فى شركات لما يكون معندهمش عمال أو عندهم نقص فى العمال.

- وبتشتغل إيه فى الشركات؟

* فى النظافة ولاتحميل العربيات.

- ايه الشركات اللى اشتغلت فيها يامحمد؟

* اشتغلت فى طعمه وحلوانى اخوان

- يوميتك بكام يامحمد؟

* عشرة جنيه

- معاك شهادات يامحمد؟

* لأ يابيه معييش

- فيه ناس معاهم شهادات بتيجى السوق؟

* أيوه فيه ناس معاهم دباليم.

- طيب السوق بيبقى فيه كام واحد الصبح؟

* بيجى ١٠٠ أو ١٥٠ نفر حسب مايكون فيه مواسم شغل فى الزراعة

- محصلتش حوادث لحد وانت هنا؟

* مرة كان فيه واحد بلدياتنا وهو بيجرى ورا عربية شركة علشان يروح يشتغل وقع تحت عجل العربية فرمته ولميناه وروحناه البلد . ومره كان فيه واحد بيشتغل معانا فى الخزانات وكان فيه بندوزر بيردم حوالين الخزان الأرض زنقت عليه ومات.

- بتوع الشرطة بيتعرضوالكم؟

* لأ .هى مرة واحدة الظابط خدنا قعدنا فى القسم ساعتين وروحنا علشان زميلى مكنش معاه بطاقة بس أنا كان معايا بطاقة.

- عندك كام سنة يامحمد؟

* ١٧ سنة.

- فيه سوق تانى للعمال غير هنا ؟

* أيوه فى الأردنية.

وعندما توجهت للأردنية تجمع حولى أكثر من ١٠ من الشباب من محافظات المنيا والفيوم وسوهاج والشرقية وسألونى " عايزين عمال يابيه ؟"

وأثناء الحديث معهم قالوا لى أنهم مستعدين للعمل فى أى حاجة . واتضح لى أن **عدداً كبيراً منهم حاصل على دبلومات تجارة وزراعة وصنايع** وأنهم يسكنون عند " أبو محمود" فى الكير هاوس . ولكن بعضهم قال لى أنهم يستأجرون شقة بـ ٧٠ جنيه فى الشهر ويفرشوا حصيرة يناموا عليها.

صورة عقد" محدد المدة"

الأحزاب غائبة تماماً عن العاشر من رمضان فلا يوجد مقرات لأى من الأحزاب الا مقر الحزب الوطنى . وماتعجبت له بالفعل أن الأحزاب اليسارية والتى من المفترض انها تدافع عن العمال غير موجوده تماماً بالمدينة . مما فتح الباب أمام الجماعات الاسلامية للسيطرة على أعداد من العمال لكن بيئة العمل ومايعانيه العمال فى المصانع تجعلهم لايتحملون التعامل مع هذه الجماعات أو قبولها بسهولة .

العمال هنا لايعرفون حقوقهم وخصوصاً فى ظل غياب أى دور للنقابات أو اليسار فى المدينة . فعندما سألت عدداً كبيراً منهم عن سبب عدم انضمامهم للنقابة ردوا على .. بأن عمال العاشر من رمضان والمدن الصناعية الجديدة ممنوع اشتراكهم فى النقابات".

الظاهرة الغريبة فى المدينة هى كثرة عدد المساجد بشكل كبير فما بين كل مسجد ومسجد يوجد مسجد ثالث وتسيطر الجماعات الاسلامية على عدد كبير منهم. فى حين تغيب عن المدينة أية أماكن للترفيه باستثناء نادى الرواد والذى وصل اشتراك الفرد فيه إلى ١٥٠٠ جنيه فى السنة.

أحد العمال قال لى " احنا هنا زى اللى عايشين فى السجن عربية الترحيلات تيجى تخدنا على الشغل وترجعنا ناكل وبعدين ننام وكل يوم على دا الحال"

العمال فى المدينة يبحثون عمن يهتم بهم يعرفهم حقوقهم فلقد اهتم عدد كبير منهم بى لمجرد أنهم أحسوا أن هناك من بدأ فى النظر اليهم والتعرف على أحوالهم.

عموماً فلقد كانت هذه الأحداث هى حصيلة يوم واحد من التواجد داخل عالم العمال وحقوقهم المهدرة فى مدينة الأشباح العاشر من رمضان . ولكن ماخفى كان أعظم.

نعتذر لعدم وجود صور للعمال لأنهم رفضوا اعطاءنا صوراً لهم خوفا من بطش أصحاب الأعمال.



المعركة ساخنة حول «شروق»

بينما التنمية الحقيقية للريف.. فى «غروب»

عريان نصيف

أكدنا في العدد الماضى من« **اليسار** » ، أننا لسنا طرفا فى المعركة الساخنة الدائرة فى العديد من المؤسسات العليا- برلمانيا وتنفيذيا -حول **مشروع« شروق »** وأن الذى يحظى باهتمامنا حقا هو قيام تنمية حقيقية فى الريف ، عمق مصر . وأوضحنا -بالأرقام والبيانات الموثقة- أنه فى نفس الوقت الذى تعلو فيه أصوات الاتهام أو الدفاع عن هذا المشروع القائم لتنمية الريف ،فإن **هذا الريف ليس فقط لا يحظى بهذه التنمية المفترضة ، بل -وللأسف- تتدهور به وبسكانه كافة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وأنه يعيش فى إطار المثلث الأسود -القديم المتجدد- الفقر والجهل والمرض.**

وسنحاول في هذا العدد-استكمالا للموضوع -أن نلقى الضوء على هذا الواقع المتردى للفلاحين وللقرية المصرية ،مع محاولة تقديم مشروع قومى -نطرحه للحوار بين كل القوى المدركة للبعد الوطنى الرئيسى للفلاح فى حاضر ومستقبل مصر.

في عام ١٩٩٣ ، أعلن **د. يحيى مسعود** -عميد زراعة المنصورة- أن «قطاع فلاحى مصر قطاع عريض يعانى مشاكل عديدة منها الفقر والجهل ورفع الدعم عن مستلزمات الانتاج من تقاوى وأسمدة .. بما جعل من الزراعة مصدر تعب وعبء ،ومشاكل على

المزارعين .. بما يدفعهم إلى ترك الأرض ليعملوا -كعمال -خارج مواقعهم».

ولا شك أنه منذ ١٩٩٣ وحتى اليوم قد تضاعفت عدة مرات نسبة هذه المعاناة على الفلاحين وعلى العمالة الزراعية التى كثر عرضها عن طلبها -كما أوضحنا سابقا- للدرجة التى أوصلت الأجر (الحقيقى) للعامل الزراعى إلى **٣٠٢ جنيه** سنوياً وفق الأرقام الرسمية.

ولعله من المهم فى هذا الشأن طرح الخطوط العريضة لواقع هذه العمالة بالنسبة للنساء والأطفال فى ريف مصر.

الفلاحة المصرية.. عمل شاق دون أجر.

*المرأة تمثل **٤٨٪** من حجم العمالة الريفية ، ولا تحصل **٧١٪** من هؤلاء العاملات على أجر».

-د. فتحى البيلاسى (المسئول عن تنمية المرأة بوسط الدلتا).

* «تقدم المرأة بين **٧٠-٧٥٪** من حجم العمل فى الريف ، ولا تحصل سوى على ١٠٪ من الدخل.

-د. نجلاء والى (رئيس قسم بزراعة مشتهر).

.. هذا هو واقع المرأة الفلاحة الحقيقى -بالنسبة للأجر والدخل بالاضافة إلى واقعها الصحى والتعليمى المتردى الذى أوردناه فى العدد السابق -فى الوقت الذى تؤكد فيه بحوث مؤتمر «المرأة فى القطاع الزراعى» المنعقد بالاسكندرية فى سبتمبر ١٩٩٧ ،**أن الفلاحات المصريات يساهمن بأكثر من ٤٠٪ فى إنتاج الحاصلات الزراعية اللازمة لغذاء الشعب أو للصناعة الوطنية.**

أطفال القرية.. يمتصهم الفقر وتقتلهم التراحيل.

فى أقل من ثلاثة شهور، وفى سطور قليلة فى صفحات الحوادث بالجرائد المصرية ، تتجسد مأساة أطفال الفلاحين الفقراء:

***مصرع ٢٩ شاباً وفتاة وإصابة ٥٤ آخرين من عمال التراحيل اثر انقلاب لورى كان يحملهم ،فى مصرف بكفر الشيخ.**

١٧-٩-١٩٩٧

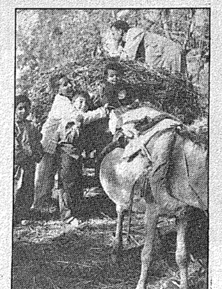
*** مقتل ١١ وإصابة كثيرين من أبناء وبنات قرية طنبول الكبرى / دقهلية ،بعد انقلاب الجرار بهم.**

٨-١٠-١٩٩٧

*** وفاة واصابة العشرات من عمال الزراعة من قرى الجيزة.**

١٠-١٢-١٩٩٧

*** مصرع العشرات من أطفال التراحيل**



من قرية ميت الديبة عام ١٩٩٦.

*** انتشار الربو والسل بين الأطفال الذين يعملون فى جنى الياسمين.**

.. وبعد ذلك

ومع استمرار -بل تضاعف- التدهور الاقتصادى للفلاح المصرى **(من معدمين وعمال زراعة ومستأجرين وصغار ملاك)** .. ستستمر وتتضاعف هذه المآسى والجرائم فى حق هذه الزهور البريئة من أبناء الفلاحين ،حيث تضطر أسرهم إلى تسريبهم من التعليم والزج بهم- كعمال تراحيل- فى أسوأ ظروف عمل وتشغيل وبأقل أجر وفى إطار أحط الأوضاع الصحية والاجتماعية ووسائل النقل وإمكانات المعيشة.

تقوم أسرهم بذلك، وهى تعلم مدى ما يتعرض له أطفالها وبناتها من مخاطر تصل إلى حياتهم نفسها .. ولكنهم مرغمون، وإلا فكيف سيواجهون:

-اختلال العرض والطلب بالنسبة للعمالة الزراعية ، بعد اتساع جيش البطالة والعاطلين فى الريف.

-طرد المستأجرين من الأرض -مجال عملهم ودخلهم الوحيد -وفقا للقانون ٩٦ لسنة ١٩٩٢ ، أو تجديد العقود بشروط إذعانية شديدة الاستغلال للدرجة التى وصلت فيه القيمة الايجارية للفدان الواحد فى السنة ما بين ١٨٠٠ - ٢٨٠٠ جنيه.

-الارتفاع المتوالى فى أسعار مستلزمات الانتاج (الذى وصل بالنسبة لبعضها إلى حوالى ١٠٠٠٪ فى أقل من عقدين) ،مع المغالاة فى سعر الفائدة بالنسبة للقروض المالية اللازمة للزراعة.

.. وفى الاسكان

الفلاحون -فقط -هم الذين تطبق عليهم القوانين

فى الوقت الذى يؤكد فيه كبار المسئولين على أن مصر قد خسرت فى العشرين عاماً الأخيرة ما بين **٧٥٠ ألف -مليون فدان** من أجود الأراضى الزراعية الخصبة ، لحساب مافيا التجريف ،والبناء واقامة الكازينوهات والفنادق السياحية.. فإن سيف القانون وعصا الحزم الادارى ، لا يتم رفعهما إلا فى مواجهة الفلاحين.

فمع التحسن النسبى للأحوال الاقتصادية فى الخمسينيات والستينيات ومع ثمن الغربة والاغتراب للكثيرين من الفلاحين الذين اضطروا إلى العمل خارج مصر فى السبعينيات استطاع البعض منهم أن يقيم مساكن بسيطة على عدة أمتار- اقتطفها من الأرض متألما كأنه يقتطعها من جسده- لتعيش أسرته بعيدا عن الكهوف الطينية التى اغرقتها المياه الجوفية.

..هنا فقط- وليس عندما اقيمت «الفيلات» والعمارات على الأرض الزراعية- قامت القيامة ، واتهم الفلاحون بتدمير وتقليص المساحة الزراعية للدرجة التى استفزت جريدة الاهرام« القومية» التى لخصت أزمة الفلاحين -بهذا الشأن- بمقولة **«الفلاحون محصورون الآن بين طوفان المياه الجوفية وبين منعهم قانوناً من البناء .. فأين يذهبون؟»،**

ليس هذا فحسب ، بل يتم أيضا محاسبة الفلاح ومجازاته بأثر رجعى ، فلقد صدر قرار بحصر المبانى المقامة بالطوب الأحمر أو الحجارة فى كل قرى الجمهورية ،حتى يتم تحصيل غرامة تقدر بنسبة ١٦٪ من قيمة المبنى عن كل سنة منذ بنائه وبأثر رجعى اعتبارا من عام ١٩٧٥.

نحن- باليقين- مع حماية الأرض المنزرعة ، بل بحّت أصواتنا منذ أكثر من عشرين عاما محذرين من مخاطر إهدارها فى التجريف والبناء ، ولكن هذا التعسف غير المبرر تجاه الفلاحين وحدهم رغم أنهم أكثر من يحرص على الأرض الزراعية، وعدم وضع أى امكانات أو بدائل لحل تلك المشكلة الهامة، يؤكد أن **التنمية الريفية .. تمارس ..فقط على الورق وليس على أرض الواقع** .ولعل ما أكدته الأحداث الأليمة عام ١٩٩٤ -نتيجة نكبة السيول- وضحاياها من آلاف البشر والبيوت والأراضى .. يثبت ذلك.

..الأتوبيسات طبقات!

إذا كان شر البلية ما يضحك كما يقولون ، إلا أنه -بالنسبة للواقع الاجتماعى للفلاحين- لا يمكن أن يضحك.

فمن القواعد «العجيبة» المطبقة في شركات نقل الركاب في مصر، أنه **قبل أن تقوم أي شركة بتكهين أي أوتوبيس -انتهى عمره الافتراضي- تقوم بنقله للخدمة في المحافظات** .. وبما أن الأمور لابد أن يراعى فيها التدرج الطبقي يكون موقع عمل هذا الاتوبيس حسب درجة تكهينه.. عواصم محافظات أو مراكز بحرى.. ثم قرى بحرى .. ثم .. الصعيد للعربات الشديدة التهالك!.

.. **أما القطارات -التى تقف على محطات القرى -فهى تستحق بكل الصدق، أضخم جوائز عالمية بصفتها «أنتيكات أثرية» .. بلا أبواب ، أو شبابيك .. أو حتى مقاعد.**

ولعل آخر حادث مأساوى كبير عند مزلقان قويسنا منذ عامين -والذى راح ضحيته أكثر من سبعين مواطناً- يعطى صورة حقيقية للنقل والمواصلات بالريف.

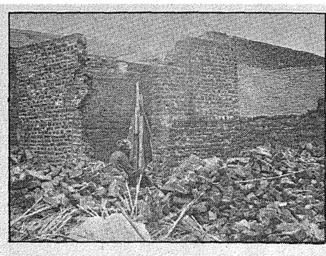
.. شباب القرية
مراكز شباب بلا أنشطة ، وثقافة تعانى من «القصور».

لعل التقرير الأخير الذى نوقش فى مجلس الشعب يوم ٩ مايو حول الشباب والأندية الريفية ، يبين جانبا من الصورة الخاصة بالتعامل مع شباب الريف .. الشكلية ، ضعف أو ندرة الاعتمادات ، انعدام الأنشطة.. إلخ.

والحال بالنسبة للثقافة فى القرية ليس أقل تدهورا من ذلك..

ليس فقط داخل القرى -فهذا بكل أسف أمر مفروغ منه- ولكن حتى فى عواصم المراكز والمحافظات. **.فقصور وبيوت الثقافة -فى غالبيتها- مبان وموظفين دون أى استيعاب حقيقى للطاقة الفنية والأدبية للشباب..** والادارات الاقليمية للثقافة ليس لديها وقت لذلك فهى غارقة فى مشاكل وصراعات قياداتها بين بعضهم البعض.. وكمثال للثقافة خارج العاصمة- ولا أقول فى الريف أو القرية المصرية- أن مسرح مدينة طنطا- الذى كان من أعظم المسارح فى مصر، حيث أنشئ على نفس نمط مسرح الأوبرا القديمة- كان يشع إضاءة ثقافية وفنية عالية طوال الستينيات من خلال فرقة اقليمية جادة(فنانين وفنيين وكتاب) ، وبرعاية مخرجين كبارس ومسئولين مهتمين بهذا المنفذ التنويرى الهام .. هذا المسرح قد تحول لسنوات طوال إلى مجرد صالة للأفراح ، ثم أغلق تماما فى السنوات الأخيرة للاصلاحات (كما يعلن) وللتنافس على الاختصاص بين الجهات الادارية (كما يقال).

**



فى الاسكان: الفلاحون فقط يطبق عليهم القانون

وأخيرا
التنمية الريفية الحقيقية
كيف؟ .. وإلى أين؟.
بعيدا عن قضية «شروق».

وعلى الرغم من الأرقام الهائلة التى يعلن أنها- وهى بمليارات الجنيهات- مخصصة ومعتمدة لتنمية الريف..

ومع احتفائنا بالمؤتمرات والندوات ودروس العمل ، وكل الوسائل التى توحى بالاهتمام بالريف وسكانه.

..فإننا نرى أن الجدية المنتجة تجاه هذه القضية المجتمعية الرئيسية ، تستلزم أول ما تستلزم- رؤية وحركة منهجية على ثلاثة محاور:

أولا -إنسانية القضية:

بمعنى أن الفلاحين- وسكان الريف عموما- هم الهدف الأساسى للتنمية .والذين يجب أن توجه-من أجل تحسين أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية والانتاجية- كل طاقة الحركة وامكاناتها المتاحة.

ثانيا: شمولية القضية

فهى تحيط بمختلف جوانب حياة الفلاحين -وسكان الريف- الصحية والتعليمية والبيئية والاسكانية والثقافية.. إلخ .حيث لا يمكن -واقعيا- الاهتمام باحدى النواحى واهمال الاخرى فكل منها مكمل-ومؤثر ومتأثر -بالأخرى .

ثالثا: قومية القضية

فهى ليست قضية حكومية ، أو قضية معارضة.

وهى لا يمكن تحقيق انجاز هام فى شأنها دون التعاون الجاد بين العديد من الوزارات والمؤسسات.

وهى-أساسا- لا يمكن التحرك المسئول تجاهها بالأجهزة الادارية فقط دون المشاركة الحقيقية للجماهير أصحاب المصلحة الحقيقية فيها.

.. ومن هنا

فإننا نقترح تشكيل لجنة قومية حقيقية- بمعرفة د. **محمود شريف** وزير التنمية الريفية، وهو رجل يحظى من مختلف الاتجاهات بادراكهم لجديته فى التحرك من أجل الصالح العام- تتشكل من مندوبين وممثلين على أعلى مستوى من كل من:

* **الوزارات المعنية**
* **الأحزاب السياسية**
* **العلماء والخبراء ومراكز البحوث**
* **المنظمات الديمقراطية الفلاحية والتعاونية.**
* **الجمعيات والمؤسسات الأهلية التى تتحرك فى هذا المجال.**

ويكون أمام هذه اللجنة القومية ، ثلاث مهام متوازية -وليست متوالية -أى تتحرك من أجل إنجازها فى وقت واحد:

(١) رصد الواقع الميدانى للفلاح وللقرية المصرية ،بما يمكنها من وضع خطط حقيقية للتنمية الريفية.

(٢) العمل- بالامكانات البشرية والمادية المتاحة- على طرح وتيسير حلول المشاكل القائمة ومتابعة تنفيذها.

(٣) الرقابة على العديد من المشروعات الأجنبية -التى انتشرت بالعمق والاتساع فى ريف مصر فى السنوات الأخيرة- تحت دعاوى« التنمية الريفية» ،المزارع الصغير و«البحوث الزراعية والمائية» ، والاعلام الريفى» .. إلى آخر هذه المسميات التى تمكنت من خلالها- ومن خلال التيسيرات الكبيرة التى تقدمها لها بعض الأجهزة التنفيذية -من التسلل إلى أعماق الريف المصرى .. بل إلى أعماق المجتمع المصرى بأسره.

ولعل أول -وأخطر -مهمة للتنمية الريفية.. هى« طفل القرية -ابن الفلاحين الفقراء- الذى سيشكل بعد عدة سنوات مجمل وجه مصر وحياتها والذى يعيش الآن..

.. تنهشه الأمراض
.. وتخربه الأمية
.. وتستنزفه التراحيل.

نحو المواطنة

الاقباط فى الخطاب الفكرى المعاصر

سمير مرقس

احتل الاهتمام بالاقباط على مدى الربع قرن الماضي مساحة كبيرة في الواقع الاجتماعي- السياسي المصري وأنتج حصيلة كبيرة من الكتابات أتخذت أشكالا عدة تدرجت من الإشارة العابرة ،مروراً بالمقال الصحفي ،والدراسة إلى الكتب المتخصصة . ولا شك أن الحصيلة بعد هذه الفترة الزمنية الممتدة وكثرة المعالجات في مستوياتها المتعددة تحتم أن تكون هناك وقفة لتأمل مضمون هذه الكتابات وذلك لاعتبارات ثلاثة هي:

* **اعتبار بحثى وتأصيلى**
* **اعتبار سياسى**
* **اعتبار تاريخى**

أولا: الاعتبار البحثى والتأصيلى

فرغم الزيادة الكمية المتصاعدة من الكتابات حول الشأن القبطي إلا أن نسبة الكتابات التي اهتمت بالبحث الجاد والتأصيل العميق تكاد تكون نادرة.

ثانيا: الاعتبار السياسى

حيث نجد كل من تصدى للكتابة فى هذا الموضوع تقريبا قد عالجه في إطار **معالجة المسألة الدينية فى مصر ككل** ،بما تحمله هذه المسألة من تعقيدات وأبعاد وملابسات وما يترتب علي ذلك من تبني ما يمكن تسميته «بمنهج المقابلة» وهو أمر سوف نجده كثيرا في غالبية الكتابات،**فلم تعد المسألة ينظر إليها في سياقها الخاص بقدر ما ينظر إليها باعتبارها إشكالية صراع بين أنصار كل دين** وبالطبع لا يخفى على أحد مدى خطورة هذه النظرة في تكريس الصراع الطائفي الذي من المفترض أن يتم تجنبه.

ثالثا: الاعتبار التاريخى والحضارى

حيث أهمل كل من تصدى لموضوع الأقباط- تقريبا- **خصوصية أقباط مصر** من جهة أنهم يمارسون دورهم في الواقع المجتمعي ليس باعتبارهم أقلية عرقية أو دينية أو جماعة وافدة بل باعتبارهم مصريين.

للاعتبارات الثلاثة السابقة ربما يكون من المفيد الاقتراب من الخطابات الفكرية المتنوعة التي أفرزتها جملة الكتابات التي تناولت الأقباط على مدى ربع قرن والتي يمكن حصرها في ستة خطابات وذلك كما يلي:

*الخطاب المراوغ المزدوج

ونعني به الخطاب الذي يتعامل مع الأقباط طبقا للظروف التي تطرأ أو المستجدات السياسية التي تحل على الواقع من حين لآخر .**فتارة ينظر للأقباط باعتبارهم شركاء في الوطن عند مواجهة مع الخارج مثلا ، وتارة ينظر لهم باعتبارهم أقلية لا تستحق أن تشارك في الهياكل المؤسسية المتنوعة.**

*الخطاب الاجترارى

وهو ذلك الخطاب الذي لا يتجاوز في مضمونه الا اجترار الماضي عند النظر للشأن القبطي ببعديه السياسي / الاجتماعي. **فنجده يجتر مواقف تاريخية بارزة ومضيئة تخص مسار الأقباط في الحركة الوطنية دون النظر إلى الواقع بافرازته الجديدة** .أو نجد هذا الخطاب يجتر نصوصا أو وضعا للأقباط في لحظة تاريخية معينة تجاوزتها الحركة الوطنية ويلح على أن تمارس مرة أخرى على أرض الواقع.

*الخطاب الطائفى:

وهو الخطاب الذي شرع يعيد النظر في الموقف من الأقباط من حيث طرح التعامل معهم على أساس أنهم «أهل ذمة» .**وهو خطاب يحمل ضمنا تمجيداً لقيم طائفة على حساب أخرى ، كذلك وعيا ذاتيا طائفيا لفريق يتجاهل الآخر** ويحمل هذا الخطاب تراجعا عن المواطنة التي مورست على أرض الواقع ووصلت إلى ذروة ما من خلال العمل الوطني المشترك ،كذلك نقضا للمبادئ والنصوص المقررة التي صاغتها معا مكونات الجماعة الوطنية كمحصلة للنضال المشترك حول المواطنة والمساواة.

* الخطاب الأقلوى:

وهو الذي ينظر إلى **الأقباط باعتبارهم أقلية عددية / دينية** ويستدعي وثيقة حقوق الأقليات ويحاول تطبيقها على الأقباط .كذلك النظريات السوسيولوجية الخاصة بالاثنيات .**فالأقباط لدى أصحاب هذا الخطاب جماعة مستقلة /كتلة واحدة صماء مما يعني ضمنا عزل الأقباط عن الجماعة الوطنية المصرية** . ويعكس هذا الخطاب محاولة تضخيم التباين والاختلاف بين مكوني الجماعة الوطنية . ويلاحظ ان هذا الخطاب تتزايد حصيلته مواكبا بذلك النشاطات الدولية في مجالي حقوق الإنسان /الأقليات.

* الخطاب المبتذل

ويتمثل هذا الخطاب في هذه النوعية من الكتابات السطحية والجزئية التي تخلط بين الحقائق والوقائع والمعلومات .كذلك تعمل على توظيف بعض الأمور لمصالح جزئية ضيقة . أو التي تتسم بالفضائحية لأسباب ترويجية.

* خطاب المواطنة في ضوء الخبرة المصرية:

وهو خطاب يسعى بدأب إلى توخي الدقة والحرص على الغوص في أعماق التاريخ، **ويتتبع الحركة الوطنية والاندماج الوطني بين مكوني الجماعة الوطنية المصرية، بحيث يصب ما ينتج في اتجاه المواطنة ، آخذا في الاعتبار خصوصية أقباط مصر كونهم« مصريين» وليسوا أقلية وافدة أو عرقية** ويعمل على حل الاشكاليات التي قد تطرأ في إطار رؤية وطنية شاملة مبدعة دون الحاجة إلى الارتداد على ما تم إنجازه أو بالاستعانة بالخارج.

وبعد ،حاولنا في عجالة أن نرصد الخطابات الفكرية المتعددة التي تتناول الأقباط ولعل النظرة المتأنية لردود الأفعال المتنوعة لموضوع قانون التحرر من الاضطهاد الديني الأمريكي والسعي لتطبيقه على دول عدة من ضمنها مصر، تعكس بدرجة أو أخرى الخطابات الستة التي تم رصدها.

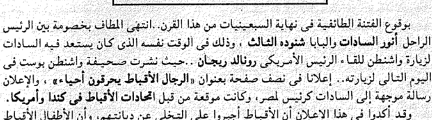
النخبة والمجتمع فى مصر

اقباط المهجر أسئلة من بعيد



هانى لبيب

البابا شنوده



بوقوع الفتنة الطائفية فى نهاية السبعينيات من هذا القرن..انتهى المطاف بخصومة بين الرئيس الراحل **أنور السادات** والبابا **شنوده الثالث**، وذلك فى الوقت نفسه الذى كان يستعد فيه السادات لزيارة واشنطن للقاء الرئيس الأمريكى **رونالد ريجان**..حيث نشرت صحيفة واشنطن بوست فى اليوم التالى لزيارته.. إعلانا فى نصف صفحة بعنوان «**الرجال الأقباط يحرقون أحياء**»، والإعلان رسالة موجهة إلى السادات كرئيس لمصر، وكانت موقعة من قبل **اتحادات الأقباط فى كندا وأمريكا**.

وقد أكدوا فى هذا الإعلان أن الأقباط أجبروا على التخلى عن ديانتهم، وأن الأطفال الأقباط يقذف بهم من الشرفات، وإن الديانة المسيحية تتعرض للسخرية فى وسائل الاعلام، ثم ختموا الاعلان بسؤال للسادات يقولون فيه: **لماذا لا تضع حدا لهذا الجنون؟**.

ومن الملاحظ ،إن ما حدث مع السادات قبل اغتياله بعام يحدث الآن مع الرئيس حسنى مبارك كلما زار الولايات المتحدة الأمريكية.. وأقباط المهجر يهاجمون ويستنكرون.

ونؤكد-نحن- إن قضية« **أقباط المهجر**» تعد من أهم القضايا التى يتداخل فيها السياسى والدينى معاً من جانب، وبين موقف الكنيسة هنا فى مصر (الداخل) وبين أقباط المهجر (الخارج) من الجانب الآخر.

ولابد أن نتفق أيضا أن مصطلح «**أقباط المهجر**» به نوع من الإبهام على مستوى الإعلام المصرى كما وكيفاً..

كماً: لأننا لا نملك إحصائية دقيقة عن تعدادهم أو فئاتهم أو تخصصاتهم.

كيفاً: لأننا نطلق مصطلح «**أقباط المهجر**» على من يثيرون حملات التشهير ضد مصر، وعلى الرغم من أن الذين يثيرون كل هذا هم «**الهيئة القبطية**» ،فأنهم لا يمثلون سوى عدد ضئيل جدا من الأقباط المهاجرين.

ولكى نتعرف على الأسباب الرئيسية التى دفعت هذه الهيئة لكل ذلك.. دعونا نلقى عليها لمحة تاريخية سريعة.

لقد تأسست هذه الهيئة سنة ١٩٧٤ بولاية **نيوجرسى الأمريكية**، وحددت أهدافها على النحو التالى:

١-خلق مجتمع قبطى دولى متحد.

٢- المساهمة فى دعم كيان الأقباط فى مصر.

٣- المطالبة برفع الظلم الواقع على الأقباط فى مصر.

٤- إشعار المجتمع الدولى بقيمة وقوة الفكر القبطى والتراث المصرى.

٥- تأسيس معهد للدراسات القبطية.

٦- إصدار مجلة باسم «الأقباط».

وقد انصب نشاط الهيئة منذ تأسيسها على انتقاد النظام الحاكم المصرى فى عهد السادات بسبب سياساته التى اعتبرت -لدى الأقباط فى الداخل والخارج- موجهة ضدهم، ووظفت الأحداث الطائفية خلال الفترة من سنة ١٩٧٤ إلى سنة ١٩٨١، لكى تشن حملة ضخمة فى الولايات المتحدة ضد النظام المصرى،**وساعدها فى ذلك شيوع حالة من الاحتقان الطائفى التى أفرزت بعض ظواهر الشقاق على أسس دينية وطائفية فى مناطق مختلفة، سقط خلالها بعض الاقباط قتلى وجرحى،كما وقعت العديد من عمليات الاعتداء على الكنائس.**

ومع مجئ **الرئيس مبارك**وعودة الهدوء فى علاقة الكنيسة بالدولة، واستجابة معظم أقباط المهجر والكنائس القبطية فى المهجر لدعوات **البابا شنودة** الثالث بالترحيب بالرئيس مبارك فى أولى جولاته الخارجية، وإشادة البابا بجهود الرئيس الوطنية .. بدأ نشاط الهيئة يتوزع ما بين الهجوم على النظام المصرى والكنيسة المصرية. وفى مقال لرئيس الهيئة فى يوليو سنة ١٩٨٩، **هاجم ما أسماه «الديكتاتورية» السائدة بالكنائس المصرية والنفوذ الاجتماعى لرجال الكنيسة، وإتهم الكنيسة المصرية بأنها تفتقد لشجاعة الدخول فى مواجهة مع النظام المصرى للدفاع عن مصالح الأقباط**، وشن حملة ضد اشتراك أساقفة من الكنيسة المصرية فى استقبال الرئيس مبارك لدى زيارته لأمريكا ، ورأى فيها تواطؤاً من الكنيسة مع النظام المصرى من أجل التغطية على«عنصرية **النظام المصرى ضد الأقباط**».

على هذا النحو ، تعرضنا لأقباط المهجر والهيئة القبطية تاريخيا .. وسوف نتعرض الآن لهذه القضية بشكل مغاير بعد أن ربط البعض بينهم وبين حملة الكونجرس الأمريكى لتطبيق الحماية الدينية على بعض الدول، ومن ضمنها مصر التى يضطهد الأقباط فيها كما يزعمون.

ففى حوار مع **البابا شنودة** الثالث أجراه رجب البنا ، قال البابا: أقول لأقباط المهجر .. أحب أن تكون صورة الأقباط بإستمرار فى المستوى الروحى الذى كان لنا فى كل العصور، وأقول لهم: إننا نقف مع الرئيس **حسنى مبارك** بكل محبة وإخلاص، ونصلى من أجل أن ينصره الله فى معاركه من أجل بناء وتنمية وحماية أمن مصر.

وأقول لهم: كونوا إلى جانب وطنكم الأم.. قابلوا الرئيس بكل ما يليق به من توقير كرئيس لدولتنا التى تنتمى إليها الكنيسة الأم، وأيضا كقائد يبذل جهداً كبيرا فى قضايا السلام والرخاء،كما أنه يحارب الارهاب بكل قوة لأجل سلام بلدنا.. وقد أرسلت إليهم بياناً قلت فيه ذلك سيتلى فى جميع كنائس المهجر فى أوروبا وأمريكا.

ويستطرد فى حوار آخر له مع رجب البنا حيث يقول: إن الذين يتحدثون هنا عن أقباط المهجر لا يعرفون أقباط المهجر.. **فهم مئات الالاف فى كل منطقة منتشرون فى ولايات أمريكا، ومدنها وقراها، وفى دول أوروبا.. لم يخرجوا من مصر فى رحلة منظمة، ولا يعيشون فى معسكرات أو مستوطنات حتى يمكن الحديث عنهم جملة واحدة.**

ويقول البابا: موقف الكنيسة كما أعلنته فى مصر،وفى كل مكان فى الخارج: نحن **نحب أن نحل مشاكلنا داخل بلادنا..** ونرفض تماما وبقوة أى تدخل خارجى.. الأقباط مصريون، وفى مصر منابر وقنوات للتعبير عن الرأى، والأقباط يلقون الرعاية من الرئيس مبارك شخصيا، وهذا دأب الأقباط فى كل زمان ومكان، ومشاكلنا دائما نسعى إلى حلها داخل بلادنا، ولا نقبل إطلاقا عرضها خارج نطاق أسرة الوطن.

وقال: «**لا نقبل إطلاقا أن يكون البعض فى الخارج قوامين على الكنيسة والوطن،** أو يدعون أنهم يعرفون مصلحة الكنيسة أكثر مما تعرفها هى، وليتهم يأتون هنا إلى مصر وينشرون أفكارهم فيها بدلا من أن يتكلموا من بعيد، ومناخ الحرية فى مصر يعطى لكل صاحب رأى فرصة التعبير عن رأيه، والصحافة المصرية مليئة بالآراء الصالحة والفاسدة.

وقال البابا أيضا: إن الكنيسة تهاجم التطرف، ولكن لا تقبل أن يوجه الهجوم إلى الدولة.. لأن الدولة هى التى تتصدى للتطرف، وترفضه وتقضى عليه.. فكيف نقبل أن نكون نحن والمتطرفون ضد الدولة..؟!.

ومن جانبى- يستطرد رجب البنا- أقول إنه ليس هناك صوت يمكن أن يعلو على صوت الكنيسة المصرية الوطنية، وليس هناك من يستطيع أن يزايد على موقف قداسة البابا، وهو موقف وطنى يحسب له فى التاريخ، ولابد أن توزن الأمور بقدرها، ويوجه العقاب إلى من يستحقه.

وفى موضع آخر، يؤكد البابا(٤) على مجموعة من المحاور.. كما يلى:

الأول: إن بعض أقباط المهجر يتناولون شئون الأقباط بالمبالغة الشديدة، ويتصورون أن المبالغة تعكس الحماس والمحبة لمصر وأهلها.

ثانيا: إن بعض أقباط المهجر يحملون الحكومة مسئولية الارهاب، وهذا ظلم للحكومة، لأن الحكومة تطارد الارهاب وتحاكم العناصر الارهابية.

ثالثا: إننى أرفض تماما فكرة إدخال الأجانب فى شئوننا الداخلية تحت أى إدعاء وبأى حجة، وهذا موقف قبطى قديم وقفته الكنيسة، ووقفه أقباط مصر حين أرادت بريطانيا التدخل تحت ستار حماية الأقليات.. فكان الأقباط أول الرافضين للتدخل الأجنبى.

رابعا: إن بعض أقباط المهجر ينشرون كلاماً لا نوافق عليه، ونرى أنه يضر ولا ينفع، وهم يفعلون ذلك دون استشارة الكنيسة أو الرجوع إليها.

خامسا: إن بعض أقباط المهجر يهاجمون الكنيسة، وعلى سبيل المثال دخل بعض الأقباط فى منازعات قضائية مع الكنيسة المصرية، لأن البابا أصدر قرارا بنقل راعى الكنيسة.

كما طالب البابا شنودة الثالث بضرورة البحث عن مصطلح بديل لأقباط المهجر باعتباره يمثل إهانة لقطاع كبير من أبناء مصر الذين يتحملون أعباء الغربة للبحث عن فرص الرزق خارج الوطن.

وقال البابا: إن إطلاق هذا المصطلح يصنف جميع الأقباط المقيمين فى الخارج تحت فئة تعمل ضد مصالح مصر، وهذا ليس حقيقيا.

وطالب البابا- كرد فعل لموقف أقباط المهجر- أجهزة الدولة الرسمية بدراسة مشاكل / مطالب الأقباط المقيمين فى الخارج ومحاولة تحقيقها بدلا من التخلى عنهم ليقعوا فى أيدى بعض القوى الخفية التى تسعى لتوظيف مواقفهم واستغلالهم لتحقيق أهداف خبيثة للإضرار بمصالح الوطن.

وبعد أن استعرضنا موقف البابا شنودة الثالث من دور «أقباط المهجر».. سوف نتعرض الآن لبعض الآراء من المفكرين والمثقفين، بالاضافة إلى نماذج من آراء «أقباط المهجر».

ففى رسالة مفتوحة لأقباط المهجر نجد **د. فؤاد إسكندر** وزير الهجرة السابق يكتب: أيها الأخوة الأعزاء.. نحن نعيش فى مصر، ومصر تعيش فينا وفيكم، فأنتم أولا وأخيرا أبناء مصر، ونحن دائما حريصون على أبناء مصر مسلمين وأقباطا، ندعو لهم بالعزة والنجاح، ونفتح للجميع صدورنا من أجل مستقبل نبتغيه،ومن أجل مصر ننتمى إليها.

وكتب **د. سليمان نسيم** فى مقال له بعنوان (الأقباط فى المهجر. سفارة ورسالة) حيث يؤكد على عدد من الملاحظات.. منها:

١- لقد كنت أود أن يلجأ الأستاذ البنا لقداسة البابا ليضع أمامه- كما يقول-حيرته أن يضع فى عدالة الكاتب الصحفى المنصف صاحب الرسالة مجموعة من الأسئلة التى اعتقد أنها لو أجيب عنها بشئ من الصراحة والشجاعة فى مواجهة النفس لأغنتنا عما تنفعل به عواطف الأقباط سواء فى مصر أو فى الخارج ،ومن هذه الأسئلة **الخط الهمايونى إلى متى ،وهل يتفق تطبيقه الخاطئ مع ما وصلنا إليه من حضارة وفكر رائد بين الشعوب العربية وغيرها؟.**

٢-خانة الديانة فى كل أوراقنا الرسمية لماذا وألم يحن الوقت الذى يكون فيه التعامل مع المصريين بلا تفرقه على أساس المواطنة والكفاءة المطلقة بدلاً من التعامل على أساس الدين؟.

٣- تاريخنا القومى كيف تسقط منه حقبة كاملة لا تدرس ،وكيف لا يخصص لهذه الحقبة مع أنها كانت رداً وطنياً على الاحتلال الأجنبى قسما فى بعض جامعاتنا؟.

٤-وإعلامنا كيف به يتجاهل أقباط مصر فلا يقدم لهم سوى خمس وأربعين دقيقة يتيمة كل يوم أحد؟.

٥- ثم مع تداعى الأفكار يأتى تجاهل البعض للأعياد المسيحية والتراث القبطى.

أقول- **يؤكد د. نسيم** -لو كان الاستاذ البنا تفضل بالاجابة عن هذه الأسئلة لكان المقال قد أخذ شكلا يريح كل الأطراف سواء فى مصر أو فى المهجر.. ذلك أن **هذه الأسئلة هى المثارة حاليا على ساحة الحوار المصرى كما أنها الأسئلة التى لن ينقطع التفكير فى إجاباتها ما لم يشعر الأقباط بل والمخلصون المسلمون من قادة الرأى فى مصر أنها موضع اهتمام قيادتنا السياسية والتنفيذية والتشريعية،** وفى الوقت نفسه يجب أن أعود إلى إجابة عملية عن السؤال هل كل أقباط المهجر يستعدون الرأى العام الأجنبى على مصر؟، وإن **أمامنا أمثلة عملية من هؤلاء الأقباط.. يعتبر أصحابها رسالة وسفارة لمصر بما قدموه من علم واكتشاف، بل وبما أدت إليه اضافاتهم العلمية من رفع لأسم مصر عامة، وليس لأسم الكنيسة المصرية فقط.**

ومن الولايات المتحدة الأمريكية يجئ صوت رئيس الهيئة القبطية الكندية **د. سليم نجيب** الحاصل على درجة الدكتوراة فى القانون والعلوم السياسية والقاضى بمحكمة مونتريال فى بعنوان «**مسعورة مضللة**» حيث كتب يقول: نتعرض نحن أقباط المهجر عامة والهيئات القبطية خاصة- فى الآونة الأخيرة- لحملة شرسة مسعورة مضللة من بعض

الصحفيين المصريين الأفاضل يتهموننا بأننا ننشر أخباراً كاذبة لما يتعرض له أقباط مصر من اضطهادات وانتهاكات لحقوق الإنسان ، وإننا نقف وراء الضغوط الأمريكية والأجنبية فى هذا الخصوص، وبذلك نسئ إلى سمعة مصر.

ونود أن نسأل- يستطرد د.مجيب- هؤلاء السادة الأفاضل:

هل لا يزال فى مصر خط همايونى، وهل هذا من اختراع أقباط المهجر والهيئات القبطية أم أنه موقف رسمى من الدولة؟، وهل **هناك فى مصر حرية لبناء الكنائس أو حتى إصلاح دورة مياه بها؟ وهل يوجد محافظ قبطى أو رئيس جامعة أو عميد كلية قبطى؟وهل يذاع القداس الألهى فى التلفزيون يوم الأحد ؟. وهل تخصص مساحة للبرامج الدينية المسيحية مثل البرامج الاسلامية فى التلفزيون المصرى ؟ وهل يتم تدريس الحقبة القبطية فى كتب التاريخ فى المعاهد والجامعات المصرية؟، وهل هناك أعضاء منتخبين فى مجلس الشعب؟، وهل أعيدت الاوقاف القبطية المستولى عليها إلى الأقباط؟ ،وهل النص على الديانة فى استبعاد الاقباط وجواز السفر لا زال معمولا به فى مصر حتى الآن؟ ،وهل يتم استبعاد الأقباط من المناصب العامة والقيادية؟.**

أيها السادة الصحفيون الأفاضل إن الضمير الوطنى المحب لمصر يحتم عليكم الرد بالايجاب.

ويواصل د. مجيب : إن هذه الحملة الشرسة المسعورة المضللة إنما يراد بها ارهابنا واخماد صوتنا واسكاتنا وقصف اقلامنا الحرة.. لكى لا نطالب باحترام حقوق الاقباط الانسانية ، ولكن هيهات فستظل الهيئات القبطية **تطالب بأعلى صوتها المسئولين فى مصر باحترام الدستور المصرى وكافة المواثيق الدولية لحقوق الإنسان ،كما أن الهيئات القبطية سوف تستمر فى رفع صوتها العالى فى كافة المحافل الدولية المعنية بحقوق الإنسان لكى تحترم مصر حقوق مواطنيها الأقباط بالمساواة الكاملة مع إخوتهم المسلمين.**

وسنتناول هنا أيضا قضية د.**نسيم عبد الملاك** *رئيس مستشفى الأمراض العقلية الذى* إتهم بالرشوة والتسهيل لخروج **صابر فرحات** المتهم بارتكاب جريمة قتل السياح أمام المتحف المصرى في سبتمبر سنة ١٩٩٧ حيث أصدر أقباط المهجر بياناً بعنوان: «هل من عدالة لأقباط مصر» .. طبيب قبطى يحكم عليه ظلماً بالمؤبد فى مصر ؟!».

وسوف نعرض هنا لبعض ما جاء بالبيان : عندما تصدر قوائم التعيينات والترقيات فى الوظائف العليا فى مصر مثل الوزراء ووكلاء الوزراء والمحافظين ورؤساء المدن وعمداء الكليات نكاد لا نرى أسم قبطى واحد ضمن القوائم.

ولكن من سخريات القدر أن أقباط مصر الذين دائما يشكون من عدم تمثيلهم بعدالة -فى القطاعات المرموقة فى الدولة- قد وجدوا أنفسهم مؤخرا ممثلين فى قوائم المحكوم عليهم فى جرائم لا صلة لهم بها من قريب أو بعيد.

هذا الحكم الجائر على هذا الطبيب القبطى الذى يبلغ من العمر -٣٦ عاما -وهو متزوج وله طفلان (٥ و٧ سنوات من العمر) .. هذا الحكم هو مثل صارخ على هذه الممارسات الظالمة للقضاء المصرى.

إن د. **نسيم عبد الملاك** ،رجل كريم الخلق ، متدين ، ويواظب على الكنيسة ، وليس من أخلاقياته قبول الرشوة أو الاشتراك فى الأعمال غير القانونية، وهو بصفته رئيسا للمستشفى ليس الشخص الذى يعطى التصاريح بالخروج للمرضى ، ولابد أن هناك من هم أقل مستوى فى الوظيفة ممن يقومون بهذا.

وهو ما اعتبرته مجلة **روزاليوسف** قنبلة يراد بها تمزيق جسد الوطن الواحد وتحويله إلى أشلاء.

وكتب **جمال أسعد** بعد ذلك- تعليقاً على هذه القضية- بعنوان «ماذا يريد أقباط المهجر» ، يقول عنه: أصدر بعض أقباط المهجر الموتورين المتعصبين بياناً يعترضون فيه على الحكم الصادر بالأشغال الشاقة المؤبدة ضد د. نسيم عبد الملاك مدير مستشفى الأمراض العقلية في جريمة الرشوة والاهمال التى راح ضحيتها السياح فى حادث المتحف المصرى ، **ثم ما هو الاضطهاد الواقع على الأقباط عند محاكمة قبطى مرتش ومنحرف ومهمل؟** ،وهل تتصورون وتتوهمون أن الأقباط ليسوا بشرا يخطئون ؟،وهل تغالطون حتى تلصقوا الانحراف بغير الاقباط فقط ، أم أصبحت لعبة اضطهاد الاقباط لعبة المراد منها لوى الذراع . ثم أخيرا ما الموقف السياسى الصحيح لكم أيها الموتورون فى استفزاز مشاعر المصريين خاصة المسلمين، فهل تتصورون أن هناك حلاً لمشاكل الأقباط بدون مشاركة المسلمين ؟، فاذا كان كذلك فلابد من المشاركة وعدم الاستفزاز وإذا كان غير ذلك فأنتم تحرثون فى البحر وتعيشون فى الأوهام الأمريكية مما جعلكم مرضى عقليين تتعاطفون مع مدير الأمراض العقلية الشئ .. الذى جعل بعضكم يحلم بأن تعود مصر مسيحية ، ربنا يشفيكم يا متأمريكين ، ولتظل مصر للمصريين.

ولمحاولة صد حملات الهيئة القبطية . درس مجموعة من الاقباط البارزين اقتراح من أجل السفر إلى الولايات الأمريكية لعقد لقاءات مع أقباط المهجر بحيث يترأس الوفد المسافر **د. ميلاد حنا وأمين فخرى عبد النور** ،كما يضم الوفد بعض الشخصيات الاسلامية البارزة .. على الا ينضم للوفد أى مسئول حكومى أو كنسى ،وحتى كتابة هذه الكلمات .. لم يحدث أى تطور أو تنفيذ لهذه الفكرة.

على هذا النحو ، لابد أن نؤكد أن مشاكل الأقباط هى جزء من مشاكل المجتمع المصرى ، وحلها يجب أن يكون على أرض مصر وعلى المائدة الوطنية.

وهذه التحركات فى الخارج لا تمثل مجتمع أقباط المهجر بقاعدته العريضة. فتلك التصريحات للمطالبة بحقوق الأقباط تسئ إلى مصر والمصريين فى الداخل والخارج.

ونقول فى هذا الشأن ما قاله البابا شنودة الثالث: ليس كل موتور فى أمريكا يمثل أقباط المهجر» ،وللفصل بين نوعيات أقباط المهجر يقول البابا: إن التعامل مع أقباط المهجر يتجاهل مسألة مهمة، وهى أن ثمة فئات غير منضبطة ولا تلتزم بتعليمات الكنيسة ،**فأقباط المهجر فريقان ، أغلبية مندمجة فى الكنائس القبطية وتعيش على طاعتها ويمكن للكنيسة أن تنصحها ، وفريق آخر لا علاقة له بالكنيسة ، ولا يدين بالطاعة لرجال الكهنوت ويسلك بحرية فى بلاد تعطيه هذه الحرية ، ولا مانع لديه من محاربة الكنيسة.**

وفى النهاية ، نورد هنا الملاحظات التى لابد من تسجيلها:

-أن من يثير هذه الأزمات فى الخارج هم **أقلية قليلة لا تمثل أقباط المهجر...** الذى لا توجد إحصائيات محددة تقدر عددهم بالتحديد.

-أن الكنيسة القبطية وعلى**رأسها البابا شنودة الثالث** يرفض بشكل قاطع كافة الممارسات والتصرفات التى تصدر عن هذه الجماعات فى الخارج.

-إن الاقباط فى مصر مقتنعون تماما بضرورة مناقشة مشاكلهم وقضاياهم داخل مصر ، وعدم اللجوء لطرحها أو إثارتها إلا من خلال القنوت الرسمية والشرعية والدستورية مع الدولة وأجهزتها.

-إن أقباط المهجر ليسوا الهيئة القبطية الكندية بأمريكا ، وهناك خلط متعمد إلى حد ما بينهما.

-إن تضخيم أقباط المهجر لما يعانيه الأقباط فى مصر.. **لا ينفى وجود مشاكل تتمثل فى صور متعددة للاضطهاد وتجلياته ، فالأجدى البحث عن المشاكل وحلها قبل أن نقوم بتضخيم الدور الذى يلعبه أقباط المهجر.**

هموم

رؤية أخرى فى أزمة الصحافة

حاولت أن أفهم كمواطن مهموم بأوجاع الوطن لماذا أغلقت **صحيفة الدستور**؟ وأقيل **عادل حمودة ، ودخل مجدى أحمد حسين** واخرون السجن؟ وتحذير الادارة السياسية للصحفيين من حالة الانفلات الصحفى؟.. وتعيين الاستاذ **محمد عبد المنعم** بالذات فى رئاسة مجلس ادارة روزاليوسف ، لماذا كل هذا؟.

نتفق بداية أن الدستور وروزاليوسف ليستا صحفا صفراء ، وهؤلاء الصحفيون الذين نقلوا أو سجنوا ، ليسوا من تجار الاثارة، بل يجمع بينهم حرصهم على مواجهة أوجاع الوطن كل بطريقته.

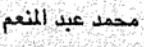
إذن ماذا حدث هل بسبب انتشار صحافة الفضائح والجنس، كما تقول الحكومة التى شجعتها وما زالت على الأرصفة تحت السمع والبصر تنشر حكايات الدعارة والجنس والفضائح والشياطين والجن والعفاريت ، والتهكم على الأديان وهى معروفة بالاسم للجميع ؟! هل بسبب نقد سياسات الحكم والحديث عن الفقر والفساد؟ هل بسبب الحرب بين رجال الأعمال ، وصراعات داخل الحكومة؟.

وأثناء محاولتى للفهم ، قرأت للأستاذ **محمد حسنين هيكل** فى كتابه القديم الجديد «**حديث المبادرة**» الصادر أخيرا وصفا دقيقا للعلاقة بين الرجل والسلطة فى المجتمعات الشرقية ،وكأنه يشخص بدقة أسباب الأزمة الأخيرة بين الحكومة المصرية والصحافة ،كتب الرجل يقول:

«فى المجتمعات الشرقية عموما والعربية بصفة خاصة ،يحدث خلط فى فهم القوة ، ويسود الالتواء فى ممارسة السلطة،**ومع غيبة الدستور والقانون فكرة وروحا ، فإن أى اختلاف فى الرأى يجرى تصويره على أنه خروج على الوطن ، ثم إن أى اجتهاد إنسانى يمكن تحويله عصيانا ضد الدولة، ويرجع ذلك إلى بقايا موروث قديم لفهم مغلوط للجانب السياسى فى التاريخ الاسلامى . أن السلطة الشرقية لا تضيق أحيانا بنشر الآراء ، وقد تعتبرها تنفيسا ، ولكن ضيقها كله ينصب على نشر المعلومات والوقائع**،فالدولة الشرقية لا يزعجها أن يضرب الناس أخماسا في أسداس، لكن هذه الدولة الشرقية يفزعها أن تتاح لمواطنيها فرصة الحصول على المعلومات أو الاطلاع على الوقائع، وهى تصل فى ذلك إلى حد الاعتقاد بأن حدوثه نوع من الانتهاك لنوع من المقدس. وبدون المعلومات وبدون الوقائع فهناك رأى واحد فى النهاية يتحول إلى حملة تعبئة لا تسمح بنقاش وبالتالى لا تسمح بحرية».

«وإذا كان حديث **هيكل** أقنعنى بتفسير واقعى للأزمة الأخيرة، فإن السؤال المطروح **لماذا الصحافة الصفراء؟**.

إن صحف الإثارة الصفراء هى إحدى الوسائل الهامة لتدمير روح المواطن ، وزرع الشك فى مجتمعه والكفر به، وجعله عاجزا عن عمل أو فعل أى شئ ، كذلك تعويد الناس الخسة. والعيش بلا كرامة فيعتادون الذل والهوان، فينشغل الناس بأخبار الدعارة والجنس والعفاريت والفضائح ،حتى لا يجدوا وقتا لشئ آخر.


محمد عبد المنعم




محمد حسنين هيكل

وتشجيع الصحافة الصفراء نوع من التضليل الإعلامى ،كأداة لقهر المواطن، وهى إحدى الأدوات التى تسعى من خلالها النخبة السياسية أو النخبة الاقتصادية أو جماعات التأسلم للسيطرة والهيمنة الاجتماعية على المجتمع وتطويع الجماهير، والتأثير المتراكم لتلك الصحف يكون فى النهاية بنية الثقافة الشعبية ويشكل الوعى العام. فالكيفية التى يتأثر بها بما يقرأ أو يشاهد أو يسمع تتحدى التفسير المباشر البسيط. لكن يكفينا ما أوضحته دراسات الإعلام بأن الصحافة الصفراء فى اقتصاديات السوق رغم ادعاءاتها انها تملك توجهات ترفيهية المضمون والشكل، فضلا عن إفلاسها القيمى ، فهى فى الأساس تعزيز لوجهات النظر وأنماط السلوك المؤسسى السائد فى المجتمع.

أما كيف يمكن تحجيم تاثير الصحافة الصفراء، فلا سبيل أمامنا ، سوى حل واحد هو الديمقراطية الكاملة، والتمسك بها والحرص عليها ، فهى تجربة انسانية تصحح نفسها بنفسها.

د. أحمد محمد صالح

فرسان الزمن الجميل

الصدفة وحدها جعلتنى أشاهد تسجيلاً لبرنامج مساء الخير الذى تذيعه القناة الخامسة للتلفزيون من الاسكندرية، وكان ضيف الحلقة الدكتور **حمزة البسيونى** ، أمين حزب التجمع بالاسكندرية، واكتشفت أنه البطل الحقيقى لفيلم« **لا وقت للحب**» بطولة **«رشدى اباظة وفاتن حمامة» وإخراج صلاح أبو سيف** عن قصة للدكتور **يوسف ادريس**.

وشاهدت الرجل وهو يحكى فى حماس الشباب،كيف سجن مع الدكتور يوسف فى زنزانة واحدة كسجناء سياسيين يساريين وهما على أعتاب الثلاثين من العمر، وكيف استمع **يوسف إدريس** لحكاية **حمزه البسيونى** وحولها إلى رائعة أدبية تعكس المناخ العام السائد فى المجتمع المصرى وقتها،ثم تحولت إلى فيلم سينمائى مع التصميم على اسم **حمزة** فى الفيلم.

واستمعت للرجل وهو يحكى كيف كان النضال الوطنى هو الهم الشاغل لكل المصريين ، وان الشعب المصرى وقت الخطر على الوطن يتوحد بتلقائية، وهنا تكمن خطورة هذا الشعب الذى قد يتظاهر باللامبالاة ويصبر ويصبر إلى أن تأتى لحظة الغضب.



السياسية بعد عبد الناصر وحتى الآن وباستثناء فترة حرب اكتوبر ١٩٧٣ فى تجميع المصريين حول قضية وطنية ؟!.

أزعم هنا أن الشعب أدرك بوعيه ان النخب الحاكمة المتعاقبة عليه كانت تسعى دائما *لحماية مصالحها* ، فابتعد الشعب عن الوطن وأنغمس فى *البحث عن لقمة العيش*.

كم كنت أتمنى أن أعيش هذا الزمن الجميل! ولكننى واحد من هؤلاء الذين ينتمون لجيل النكسة ،فى وطن تسيطر عليه المبالغة والتضخيم الاعلامى الفج بفوز مصر بكأس الأمم الافريقية، والاستغلال السياسى لها، لدرجة الاستقبال الرسمى والشعبى للفريق العائد فى المطار كأنه جيش من الفاتحين ،حل كل مشاكل مصر. هنا لابد أن نقف ونقارن بين الهم الوطنى فى الزمن الجميل ، وبين هم رجل الشارع في مصر ٩٨ ، الذى خرج يستقبل فريقاً رياضياً.

نتفق أولا أن الموضوع أولا وأخيرا مجرد انتصار رياضى فى منافسة إقليمية ،فما سر هذا التوحد والفرح الشعبى ؟ **ببساطة شديدة الناس في الشارع المصرى لم تجد انجازاً حقيقياً طوال قرابة الثلاثين سنة الماضية** ، سلسلة من الكوارث الطبيعية ،ومن قضايا الفساد والقهر السياسى والارهاب، والقهر الفكرى ، والهزائم الرياضية ،والازمات الاقتصادية والاجتماعية ،وعندما شعرت الناس بانتصار رياضى غير متوقع تشبست به، قبل أن يتم تلويثه *فى هذا الزمن القبيح*.

ترى ما هو الهم الشاغل لكل المصريين الآن فى هذا الزمن القبيح حيث الفساد والقهر والفقر؟ لماذا لا يشعر المصريون الآن بالخطر على الوطن فيتوحدوا حفاظا عليه ؟ هل ماتت إرادة الرفض فى الوطن ؟ لماذا فشلت جميع الادارات

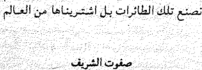


د. يوسف ادريس

الإنسان .. والنظام

الضجة الاعلامية والسياسية هذه الأيام حول ما يسمى إطلاق القمر الفضائى المصرى **نايل سات**، والاستغلال السياسى بالاحتفال بذلك ووصفه بأنه مشروع قومى ،وبأنه تحقيق لإرادة أمة، ونجاح مصرى ، أذهلنى وشل تفكيرى وأعتقدت أننا فعلا صنعنا هذا القمر بأيدى وعقول مصرية .والحقيقة أننا اشترينا هذا القمر وهو صناعة فرنسية متقدمة ، وحمله صاروخ أوروبى وأنطلق من أرض فرنسية .**يعنى الموضوع أننا اشترينا حزمة تكنولوجية على المفتاح ، مثل مترو الانفاق**،ومع التسليم بأهمية هذا القمر وأنه تفاعل إيجابى مع عالم المعلومات والاتصالات والعولمة ، إلا أن ذلك لا يجب أن ينسينا **أننا لا نشارك فى صنع حضارة اليوم بل مجرد مستهلكين لها ، فعلام كل هذه الضجة وتصوير الأمر على أنه إنجاز وطنى . لماذا لا نسمى الأشياء بمسمياتها الحقيقية؟. لماذا لا نعترف أن تكاليف هذا القمر (حوالى ١٠٠ مليون دولار) تكاليف باهظة على دولة فقيرة ، ٥٠٪ من سكانها *تحت خط الفقر* ، ودينها الداخلى حوالى ١٧٠ مليار جنيه ، وتحتل الموقع ١١٤ فى مؤشرات التنمية على مستوى العالم؟!.**

ويذكرنى هذا منذ عدة شهور صباح يوم السبت ٧-٦-١٩٩٧ ،وفى برنامج **صباح الخير يا مصر** هنأت السيدة **فريدة الزمر** المشاهدين وكل مصر بتحديث أسطول الطائرات المصرية بمناسبة وصول طائرات جديدة لشركة مصر للطيران . وتعجبت لتلك التهنئة المنافقة الواهمة فى مستقبل الوطن، لأننا لم نصنع تلك الطائرات بل اشتريناها من العالم



صفوت الشريف



زوجتى والكمبيوتر

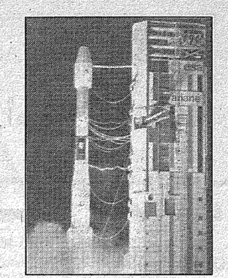
حملت لنا وكالات الأنباء نتائج بحث بريطانى تبين فيه أن ٥٪ **فقط من العاملين فى تكنولوجيا المعلومات من النساء**، وان هناك طالبة واحدة بين كل ٥ طلاب يدرسون علوم الكمبيوتر والتكنولوجيا المتعلقة به، وان عدد الفتيات اللاتى يدرسن مناهج علمية متعلقة بالكمبيوتر فى انخفاض مستمر بمؤسسات التعليم.

وأثناء تدريسى لتطبيقات الكمبيوتر فى الاحصاء وتحليل البيانات لطلبة الدكتوراة والماجيستير لاحظت بوضوح أن **الطلبة أكثر انجذاباً** للكمبيوتر **من الطالبات، اللاتى كن أسرع استيعابا للدرس من الطلبة الذين انصرفوا للجهاز نفسه محاولين اكتشافه.**

ولاحظت أيضا فى أسرتى أن ابنى(**١٤ عاما**) أكثر انشغالا بالكمبيوتر من ابنتى (**١١ عاما**)، أما زوجتى فهى وان كانت لم تعلن العداء العلنى للكمبيوتر، إلا أن اتجاهاتها السلبية الضمنية واضحة تماما،ولكنها لم تعلن عنها حرصا على المصالح العليا للوطن ، وذات يوم أفرطت فى نسيان نفسى أمام الجهاز وهنا **أعلنت زوجتى كلمتها المأثورة (خللى الكمبيوتر ينفعك ويوكللك ويشربك) تماما مثل الحكومة التى تقول لى دائما خللى المعارضة تنفعك ، وتزيد من عطاياها للمصفقين والمهللين.** ولكنى مسالم جدا ومهادن ومؤمن تماما اننى لا أستطيع أن أقف ضد زوجتى والحكومة فى نفس الوقت، ولكنى لا استطيع الاستغناء عن زوجتى ، لكن يمكن الاستغناء تماما عن حكومتى وأعلن عليها العصيان المدنى من خلال الانترنت.

وفى منزلنا عقدنا معاهدة سلام وتطبيع بين زوجتى والكمبيوتر، اتعهد بمقتضاها بفك أجهزة الكمبيوتر من مكانها حين يأتى الموعد الدورى لتنظيف الشقة تماما كما يتعهد العرب الآن بفك القدس من مكانها لحين تنظف اسرائيل ما تحتها استعداد لنقل السفارة الأمريكية فيها واعلان القدس عاصمة لإسرائيل.

والتزمت زوجتى تماماً بتلك المعاهدة، لكن أفكر هذه الأيام أن أترك رسالة حب لزوجتى على جهاز الكمبيوتر، لعلها تكتفى بالنظافة حول الأجهزة دون فكها ونقلها،مع تعهد منى بعدم الافراط بالانشغال أمامه ، تماما مثل ما يفعل العرب هذه الأيام، فهم يكثرون من تصريحاتهم السيادية التى تعلن حبهم للسلام لعل أمريكا وإسرائيل ترضى عنهم.



لحظة انطلاق نايل سات

المتقدم،**فعلام التهنئة ؟!، فما الذى فعلته مصر؟!.**

وحتى لو كانت تلك التهنئة المنافقة على وصول طائرات جديدة من الخارج ، فالمهم ليس الطائرات الجديدة بل الأهم إدارة تلك الطائرات، فأنت فى مطار **هيثرو** بلندن تندهش من مواعيد الطائرات المنضبطة تماما، ويأتى المذيع الداخلى للمطار وينادى على الطائرة المصرية ويقول : على المسافرين على الطائرة المصرية المتوجهة للقاهرة والمتأخرة ٨ ساعات كالعادة ، عليهم أن يتوجهوا إلى بوابة رقم كذا وكذا.

فالمهم ليس عدد الطائرات أو مدى حداثتها المهم الإنسان الذى سيقوم باداراتها والنظام الذى ستعمل فيه الطائرة ، والنظام الذى يعيش فيه الإنسان. فالدكتور أحمد زويل عاش فى نظام ومناخ اقتصادى وثقافى وسياسى وقيمى أتاح الفرصة لعبقريته العلمية. ولى صديق أستاذ جامعى عاش فترة فى ألمانيا كان يقول دائما: إن المصرى فى المانيا يشعر بالاطمئنان الشديد عند السفر بالأتوبيس بين المدن الالمانية أو بين العواصم الأوروبية، ويصبح وقتها السفر متعة حقيقية لأنه ببساطة مطمئن للنظام كله، فهو مطمئن وواثق تماما انه تم الكشف والفحص الدقيق على حالة الأتوبيس قبل السفر، مطمئن على كفاءة السائق، واحترام إشارات المرور، مطمئن على نعومة وسلامة الطريق، وحتى لو وقعت حادثة بعد ذلك، فهو مطمئن تماما إلى الرعاية الصحية التى سوف يتلقاها، فهو مطمئن على سلامة النظام كله الذى يحترم ويقدر الإنسان، **أما فى مصر فأنت مطمئن تماما لشئ واحد انه لا يوجد نظام لأى شئ فى حياتنا ، وان الحياة نفسها فى هذا الوطن نوع من المخاطرة الشديدة ، وأنت هنا مطمئن تماما انك ميت ميت نتيجة رخاوة وفساد وميوعة النظام.**

حضارة مدبلجة

من يشاهد المحطات الفضائية العربية التلفزيونية (الدراما، الاعلانات، برامج الحوار ، الأغانى الخ) يشعر **أن العرب أصبحوا مثل الفيلم المدبلج، ملابسهم ، وأدوات حياتهم، وسياراتهم ، ومظهرهم كلها لها الطابع الغربى ما عدا تفكيرهم وسلوكياتهم ،حتى اصواتهم تنطق بلغة غريبة تكاد تكون عربية.**

وتتفق جميع القنوات العربية الفضائية فى عدم تناول الأحداث والمشاكل الحقيقية الموجودة فى الدولة التى تمثلها المحطة، بل تتناول مشاكل الدول الأخرى بالأخص المشاكل المصرية، ومن يشاهد الأخبار والبرامج الحوارية (**التوك شو**) يتحسر على قنوات التلفزيون المصرى الحكومية، التى لا يراها إلا الغلابة ، لكن هذه الأيام هناك انفراجة فى التلفزيون المصرى وبدأنا نسمع الرأى الآخر المعارض فى برامج مثل **دائرة الحوار، والمواجهة**، وخاصة الحلقة الناجحة التى قدمتها برنامج **حق الجماهير** الذى تقدمه السيدة **فريال صالح**، وكان نجمها الاستاذ **مكرم محمد أحمد** نقيب الصحفيين وضيوفه من الصحفيين ، وأتيحت الحرية الكاملة فى مناقشة أزمة الصحافة المصرية ، وأعتقد -وقد أكون مخطئا- أننا شاهدنا رأى الأستاذ **صلاح عيسى** كاملا بدون مونتاج.

الواهمون

يبذل الانسان جهداً ووقتا لكى يحضر اجتماعاً حزبياً هاماً استعدادا للمؤتمر العام ،فيتوقع أن يكون هذا الاجتماع على مستوى مسئولية المأزق العميق والمتعثر للحزب،**وهناك فى الاجتماع يصطدم بالواقع المؤلم ، ويكشف أن البعض لا يتكلمون لغة العصر ، بل يمارسون الغوغائية ، ويسعون إلى التربيطات والمؤامرات الشخصية لتحقيق مصالح على حساب المتطلبات الحقيقة المطلوبة للمستقبل ، أنهم ما زالوا يعتقدون أن هناك عمالاً وفلاحين ، ويتوهمون أنهم فى تنظيم مؤسسى حقيقى، رغم استمرارهم فى تكسير لوائحه بطريقة ريفية ، اشباعا لسلطة وأملا فى زعامة واهمة** ، أنهم لا يدركون المأزق، ولا يفهمون ماذا يفعل ويتكلم العالم اليوم؟ ان تلك الاجتماعات خسارة شديدة فى الوقت ، وهى اجتماعات عفى عليها الزمن، وكانت تصلح للثورة الصناعية الأولى، وقت أن كان العمل متغيراً جدياً فى معادلة الانتاج ، لكنها لا تصلح فى زمن أصبحت المعرفة هى العامل الحدى للانتاج ، والآن هل تفهمون؟!.

عماليات

معاناة الأمهات العاملات.. وأطفال المفاتيح

الخيار الصعب بين رفاهية الاسرة والاشباع الوظيفى ومستقبل الاطفال

محمد جمال إمام

ارتبط عيد العمال فى أول مايو عن غير حق بنظم الحكم الشيوعية والاشتراكية لما كانت تحتفى به، أيام كانت هناك نظم تسمى بالشيوعية أو الإشتراكية، احتفاء بالغا. ولما انهارت المنظومة الشيوعية، وأخذت الأحزاب الاشتراكية الأوروبية تسارع، الواحدة تلو الأخرى، إلى تسمية نفسها بأحزاب الوسط الجديدة، بدأ العمل بجدية على التنصل من هذا العيد الذى يذكر بعصر غابر لم يعد البعض يود أن ينتمى اليه، والذى ينكأ جراح الرأسمالية الأمريكية ويذكرها بتعسفها الدموى مع جماهيرها العمالية ،وهكذا انطوت أعلام عيد العمال الخفاقة فى كثير من الأماكن وأصبحت لا ترفع الا بتردد وعن خجل.

حتى فى بلادنا التى وإن كان نظام الحكم فيها لا يدعى بأنه ينتمى بأى شكل من الأشكال إلى أى نوع من أنساق الاشتراكية،حتى ولو كانت «الاشتراكية العربية» ،فإنه لا يزال حريصا لسبب غير أصيل على الاحتفال بهذا العيد، ولكن بطريقة فريدة على النسق المصرى . وهذا العام، توافق العيد مع يوم جمعة، وهو يوم راحة وتزاور عائلى ، لذا تقرر أن يكون الاحتفال فى اليوم السابق، غير أن القائمين على أمور الاحتفال أبوا أن يحرموا الجمهور- وصلة الجمهور العمالى وغير العمالى بالعيد أصبحت قاصرة على مشاهدة الاحتفال به على شاشات التلفزيون- من متابعة المسلسلات التلفزيونية المسائية،**فقرروا أن يقيموا الاحتفال فى الساعة العاشرة صباحا من يوم عمل.**

فهل كانوا يتوقعون من الجمهور أن يترك عمله ليتابع الاحتفال على شاشات التلفزيون، أم كانوا يتوقعون أن الجمهور المتلهف على متابعته لن يجد غضاضة فى مشاهدة تسجيل له فى المساء بعد أن يفرغ من متابعة مسلسلاته الأثيرة؟.

أم أن المسألة مقصودة حتى ينسى الناس الاحتفال بهذا العيد ، فيموت وحده دون تدخل من السلطة يثير عليها بعض الذين لا يزالون يتمسحون بذكريات الماضى غير التليد.

وربما يكون التوقف عن مثل هذا الاحتفال الخالى من أى محتوى أصيل أفضل من إنفاق أموال العمال فيما لا معنى له سوى التمسك بتقليد ينتمى إلى عهود غير العهد!.

• والشئ بالشئ يذكر، فهذه الأوسمة التى أصبحت تغدق فى هذا العيد على من لا تاريخ له يستحق أن يمنح عليه وساما. بل وأصبح توزيعه بهذا الشكل يبخس قدر الوسام وحتى أصبح مثل «غطيان الكازوزة» الشهيرة ، ذكرنى ذلك بالقائد النقابى الأصيل **فتحى كامل** رحمه الله الذى كان أحد أول ثلاثة يمنحون وسام العمل فى عيد العمال ، فلما منح الوسام فى العام التالى إلى قائد نقابى كان يتمتع بقدر غير قليل من النفور فى الأوساط العمالية،قال **فتحى كامل** «الآن أصبحت أشعر بالخجل من منحى نفس الوسام الذى منح لفلان »، فما باله لو كان لا يزال حيا ورأى الوسام يمنح بدافع المجاملة إلى زملاء سابقين فحسب لأصحاب الحل والعقد فى الحركة النقابية الآن؟!.

ما علينا ، وليس مقصودنا أن ننكأ جراحا مضى وقتها ،أو نشغل أنفسنا بتصرفات قيادات نقابية لم يعد يشغلها سوى مصالحها الشخصية.

عودة إلى عمل المرأة

وربما يكون من الأفضل لقراء«**اليسار**» وجماهير العمال المصرية أن نتابع معهم التعرض لمعاناة المرأة العاملة والتى كنا قد تناولنا طرفا منها فى عدد شهر أبريل. وما يدعونا إلى العودة إلى هذه القضية ما وجدناه من اهتمام بالغ بها فى الصحافة الأمريكية خلال شهر أبريل الماضى نتيجة لحادثين أليمين قام فيهما بعض التلاميذ ممن لا يتجاوز عمر أكبرهم ١٤ عاما باطلاق النار على مجموعة من زملائهم فأردوهم ما بين قتيل وجريح . وربما يقول قائل ومالنا ومال أمريكا؟ ونقول **أولا أن النموذج الأمريكى ، وان لم يكن النموذج الغربى السائد فانه النموذج الأكثر تأثيرا فى أنحاء العالم اليوم** ، وأنهم فى الولايات المتحدة الأمريكية،**ثانيا**: مغرمون بتناول الأحداث البارزة بالتحليل والاحصاء مما يقدم مؤشرا جيدا عما يمكن أن يحدث فى أماكن أخرى نتيجة للتأثر بهذا النموذج ، وأننا **ثالثا** ، لسنا خالين تماما من الظواهر المشابهة التى يمكن أن تفرخ بمرور الزمن نتائج مماثلة. فضلا، أخيرا وليس آخر،عن **أن جزءا ليس بالقليل من مجتمعنا مغرم بهذا النموذج أشد الغرام ويغذ الخطى للحاق به بتشجيع كبير من وسائل إعلامنا**. ومن يدعى مثلا أنه فوجئ بالقتال الذى دار أمام احدى المدارس النموذجية فى مدينة نصر واستخدمت فيه قنابل المولوتوف والسلاح الأبيض. إما أن يكون ساذجا أو مخادعاً للنفس.**فمظاهر العنف وتعاطى المخدرات والكحوليات والاستهتار البالغ بالقانون والنظام شائعة إلى درجة كبيرة وسط الشباب سواء من أبناء الأسر المتوسطة وما فوق أو ما دون.** ومن



الصورة العليا : ينهض أحد أعضاء مجلس الادارة ليقول لزملائه «إننى مضطر لمغادرة الاجتماع كى أعود بطفلى من مدرسته إلى المنزل» فيعلق زميل له «مدهش» وآخر» ان هذا لنوع جديد من الآباء حقا».

الصورة السفلى : تقوم العضوة الوحيدة فى نفس مجلس الادارة لتقول لزملائها: «آسفة ، ولكننى مضطرة لمغادرة الاجتماع لكى أعود بطفلى من مدرسته للمنزل» فيقول نفس الزميل الأول فى نفسه «هيه فاكرة نفسها إيه» ويقول زميل ثان لنفسه«ياله من تصرف مهنى!» أما الثالث فيقول لنفسه «هل تريد هذه السيدة أن تظل تعمل فى هذه الشركة حقا؟!.

المحتمل إلى حد كبير أن تكون هذه المظاهر نتيجة لنفس الأسباب التى تفرخ عنفا متزايدا بين الاطفال الأمريكيين.

أطفال المفاتيح

تقول مجلة« **نيوزويك** » الأمريكية فى عدد ٢٧ أبريل الماضى نقلا عن أحد ضباط الشرطة باحدى المدن الأمريكية الصغيرة أن أخطر أوقات اليوم بالنسبة للأطفال هى الفترة ما بين الساعة الثالثة بعد الظهر والثامنة مساء عندما يعود تلاميذ المدارس إلى بيوتهم ليقضوا هذا الوقت بدون إشراف حتى يعود والداهم من أعمالهم. وتقول المجلة أن البحوث التى أجرتها كشفت عن أن نسبة الوالدين الذين يخشون إلى حد كبير من أن ينغمس أطفالهم خلال هذه الفترة مع الأشخاص الخطأ قد ارتفعت بأكثر من الثلث منذ عام ١٩٩٠، وهناك فى الوقت الحالى **زهاء ١٧ مليون أب وأم أمريكيين يعملون طول الوقت** ويشغلهم البحث عن أماكن مأمونة يقضى فيها أطفالهم هذه الفترة الخطرة. وتضيف المجلة أنه بعد أكثر من عشر سنوات من اختراع وسائل الاعلام الأمريكية لتعبير « أطفال المفاتيح » فإن المشكلة لا تزال حائرة تبحث عن حل، على الرغم من النشاط المحموم لتحويل بعض المدارس والكنائس إلى مراكز لرعاية الأطفال والتلاميذ خلال هذه الفترة.

وتشير المجلة الأمريكية إلى أنه على مدى سنوات عديدة كانت الاعلانات الحكومية المذاعة فى محطات التلفزيون تقول «الساعة الآن العاشرة مساء، فهل تعرف أين يوجد طفلك»؟ غير أنّ هذا السؤال لم يعد له محل من الاعراب ، إذ أن الاجابة حينئذ كانت بنعم فى معظم الأحيان، فلا يسمح إلا للقليل جدا من الأطفال بالبقاء خارج بيوتهم حتى ذلك الوقت ! وسبع الجرائم التى يرتكبها الأحداث تقع خلال الليل أو ساعات الصباح الباكرة ، ولكن اذا وضعت الساعة الرابعة بعد الظهر مكان العاشرة مساء فى هذا الاعلان، فستكون اجابة الملايين من الوالدين بالنفى. وتقول المجلة أن **ستين في المائة من الأمراض التى تنقل بواسطة الاتصال الجنسى فى أمريكا تصيب المراهقين**، فغياب الوالدين عن البيوت فى فترة بعد الظهر سهلت للمراهقين ممارسة الجنس، وأكثر من ثلاثة أرباع الاتصال الجنسى الأول بالنسبة لكثير من الأطفال تحدث فى هذه الفترة وفى منزل الصبى فى أغلب الأحيان. وتؤكد المجلة **أن جرائم الأحداث التى تقع بدءا من الثالثة بعد الظهر تزايدت ثلاث مرات**،وأن الجرائم التى تقع فيما بين الثانية ظهرا والثامنة مساء تمثل ٥٠ فى المائة من إجمالى جرائم الأحداث.

وتنقل المجلة عن بحث أجرته جامعة كاليفورنيا الجنوبية أنه **من الأسهل على الأطفال الذين يتركون وحدهم دون إشراف أو رعاية أن يدخنوا السجائر ويتعاطوا الكحوليات والمخدرات**، وأن الطفل الأمريكى يقضى فى المتوسط ٩٠٠ ساعة فى المدرسة سنويا بينما يقضى ١٥٠٠ ساعة فى مشاهدة التلفزيون. ومن هنا كان الاهتمام الكبير بانشاء مراكز لشغل أوقات الفراغ بعد انتهاء الدراسة، ومعظم المدارس الأمريكية تغلق أبوابها فى الثانية والنصف ظهرا ، غير أن المشكلة أن معظم هذه المراكز يتقاضى رسوما

لا يقدر عليها سوى أسر الطبقة المتوسطة فما فوق ، أما الأسر العاملة الفقيرة التي لا تستطيع تحمل نفقات تلك المراكز فان أطفالها يتركون لأنفسهم لينتهي بهم الأمر في النهاية إلى الجريمة والمخدرات وحمل المراهقات.

الأمهات العاملات

مجلة «**نيوزويك**» تقول إنه يوجد في الولايات المتحدة في الوقت الحالي ثلاث أمهات عاملات من بين كل أربع أمهات في البلاد. أما صحيفة«**واشنطون بوست**»، والتي نشرت في عددها الأسبوعي الصادر في ٢٠ ابريل تحقيقا طويلا من ثلاثة أجزاء عن عمل المرأة واتجاهات الرأى العام ازاءه، فانها تشير إلى أن الاحصائيات الحكومية تبين أنه في الفترة من عام ١٩٧٠ إلى ١٩٩٥ ارتفعت نسبة النساء العاملات في المجموعة العمرية ٢٥ ،٥٤ سنة من ٥٠ بالمائة إلى ٧٦ في المائة، بينما تشكل المرأة زهاء نصف عدد الداخلين الجدد إلى سوق العمل وإلى صفوف الادارة الوسطى في الشركات الأمريكية بعد أن كانت هذه النسبة تبلغ ١٧ في المائة في عام ١٩٧٢. وفي بداية التحقيق تقول الصحيفة أن مسحا على المستوى الوطني شاركها فيه باحثون من **جامعة هارفارد ومؤسسة هنرى كايسر لشئون الأسرة** وجد أنه بعد جيل من المشاركة المتزايدة للمرأة في سوق العمل وتقسيم المسئوليات العائلية بين الزوجين ، ورغم تسليم الطرفين بأن ذلك قد أثرى حياة كلا الجنسين، فانهما **يقران بمرارة بأن ضغوط هذا النسق الجديد من الحياة جعل من بناء زواج ناجح وتنشئة الأطفال وممارسة حياة مشبعة أمرا بالغ الصعوبة .والمسألة التي يتفق عليها الطرفان هي«نقص الوقت الذى يستمتع فيه المرء بحياته»**.

وتقول الصحيفة إن الأغلبية الكبيرة من ٤٠٠٠ رجل وامرأة شملهم المسح تولى أهمية كبيرة لاقامة زواج ناجح وأسرة سعيدة، إلا أن هذه الأغلبية (رجالا ونساء) تتفق أيضا على أنها لا تستريح إلى اضطرارها لترك أطفالها في رعاية الآخرين وتود لو كان بإمكانها أن تكرس مزيدا من الوقت لأسرها ولأنفسها. وتضيف المجلة أما مما يشير الدهشة أنه على الرغم من اتفاق الرجال والنساء على ضرورة توفير فرص عمل متساوية للجنسين، وأن الرجال يوافقون على عمل المرأة خارج المنزل. أن غالبية الجنسين يقولون إنه من الأفضل لو استطاعت المرأة بدلا من ذلك أن تبقى في البيت لرعاية المنزل والأطفال!.

وتشير نتائج المسح إلى **أن الرجال في الولايات المتحدة لا يزالون يتمتعون بميزات أكبر في بيئة العمل، وأنهم لا يتفهمون بعد طبيعة المصاعب التي تواجه المرأة العاملة**، وأنه على الرغم من ترسخ واقع الأسر ذات الدخلين. فان الرجال لم يستوعبوا بعد ما ينطوى عليه ذلك من تغير في الاتجاهات . فرغم أن معظم الرجال أعربوا عن سعادتهم بالمشاركة في أداء الواجبات المنزلية ، إلا أن واقع الأمر يقول بأن **أعباء المنزل لا تزال مقسمة بحسب نوع الجنس ، وأن المرأة العاملة لا تزال تؤدى من الأعمال المنزلية ضعف ما يؤديه زوجها**،وتقول امرأة عاملة أمريكية تشغل منصبا اداريا رفيعا أنه على الرغم من تقدير زوجها لضرورة مشاركته في تحمل أعباء الأسرة، فإنه لا يفهم مبرر شكواها المستمرة من أنها تعمل طوال الوقت في المكتب والمنزل، وتضيف بأنها هي التي تتحمل بعد عودتها من عملها حتى المسئولية عن متابعة أحوال أطفالها والتأكد من تناولهم لطعامهم وأدائهم واجباتهم المدرسية وما شابه.غير **أن الاحصائيات تكشف عن أن المرأة العاملة تعمل ٢٠ ساعة في الأسبوع في منزلها بعد أن كانت جدتها تعمل ٣٠ ساعة، بينما يعمل الرجل ١٠ ساعات أسبوعيا ، أى ضعف ما كان يعمله جده.**

وتقول امرأة عاملة أمريكية أخرى : «إننى أعمل وزوجي يعمل ، غير أننى أعود إلى المنزل فأعمل أيضا فأنظف المنزل وأغسل الملابس والبياضات .ومن الضرورى أن أعمل ذلك، فلوجاء غريب إلى المنزل ووجده في حالة فوضى فانه لن ينظر إلى الرجل ويقول في نفسه «ياله من رجل قذر» ولكنه سينظر إلى المرأة ويقول «يا لها من امرأة مهملة قذرة»» . وتضيف امرأة أخرى «المرأة العاملة تترك أطفالها في دار حضانة أو في رعاية بعض الأقارب ، وعندما يحين موعد انتهاء عملها فإنها تسرع إلى المنزل لإعداد طعام العشاء والقيام بالأعمال المنزلية الأخرى . ويكون المرء محظوظا لو تبقى له في نهاية اليوم ساعة أو ساعتين يقضيهما في هدوء مع أفراد أسرته».

وتعترف واحدة من كل خمس نساء عاملات أنها ستكون سعيدة لو استطاعت ترك عملها والتفرغ لأسرتها لو كان هذا بمقدورها من الناحية الاقتصادية،وتقول احدى العاملات ممن شملهن المسح إنها قضت السنتين الأوليين من عمر طفلتها الأولى في المنزل ، ولكن ذلك كان شاقا على أسرتها ، وهي تبحث الآن عن عمل رغم أنها حامل في طفلها الثاني ، وتضيف بأن ذلك سيكون شاقا على أسرتها أيضا، فلن تجد وقتا كافيا تقضيه مع أسرتها ولن تستطيع أداء جميع الأعمال المنزلية المطلوبة ،مما يجعلها تشعر بأنها لا تنهض بمسئولياتها على الوجه الأكمل. وعندما سئلت إن كان زوجها يساعدها في أداء الأعمال المنزلية ، قالت «إنه يساعدنى ، غير أن هذه مسئوليتي . انني مسئولة عن رعاية الداخل بينما هو مسئول عن أمور الخارج».

وفي مواجهة هذه الضغوط العصبية المتزايدة على حياة جميع الاطراف ، يتزايد عدد المطالبين بالعودة إلى نظم الحياة الماضية **،فأربعة من كل عشرة ممن شملهم المسح يعتقدون أنه من الأفضل العودة إلى أدوار الجنسين في الخمسينيات** . فتقول امرأة عاملة في الأربعين من عمرها «إنني أعتقد تماما بأنه من الأصلح الرجوع إلى ما كان سائدا من قبل . فالأطفال لا ينشأون كما ينبغي ، إنهم يكبرون فحسب . ولم يعد الناس يتزوجون ، ولم يعد ثمة احترام متبادل بين الرجل والمرأة أو من قبل الأطفال تجاه والديهم».

اختلاف المنظور العام

كما يكشف المسح عن وجود اختلافات حتى في منظور كلا الجنسين إزاء القضايا العامة،فالرجال أكثر ميلا إلى تأييد زيادة نفقات الدفاع بينما تميل المرأة إلى زيادة الاهتمام بالتأمين الصحى للأطفال، وفي حين أن من المحتمل أن تكون المرأة أكثر تدينا وتقديرا لأهمية الصداقة، فإن الرجل أكثر ميلا إلى الحرص على النجاح الوظيفي وتكوين الثروة.

وردا على سؤال عما إن كان المرء يختار ألا يعمل لو كان باستطاعته مع ذلك أن يحيا بنفس مستوى حياته الحالية، أجاب ٣١ في المائة من الرجال و٣٠ في المائة من النساء بنعم. ورداً على سؤال يقول« قد يكون من الضرورى للأم أن تعمل لأن الأسرة تحتاج إلى النقود ، ولكن قد يكون من الأفضل لها أن تمكث في المنزل لترعى الأطفال وشئون الأسرة ، فهل توافق على ذلك؟ كانت نسبة الموافقين من الرجال ٦٩ في المائة بينما كانت نسبة الموافقات ٦٨ في المائة . أما عن الدافع إلى العمل ، فإن ٤٩ في المائة من الرجال و٤٥ في المائة من النساء كان دافعهم المال ، بينما كان دافع ٢٤ بالمائة من الرجال ٢٦ في المائة من النساء الاشباع الشخصي.

هذه صورة موجزة لواقع الصراع الأبدى بين الرجل والمرأة في المجتمع الأمريكي الحديث .والمفاهيم الأساسية لهذا الصراع مشتركة بين البشرية وإن اختلفت المظاهر والأغلفة ، فهل نستطيع أن نرفع الغطاء عما يدور في مجتمعنا وننظر إلى أين وصل الأمر . وإلى أي مدى يمكن أن يصل في القريب العاجل مع تطور التنمية الاجتماعية والاقتصادية والمؤثرات الخارجية والصراع الداخلي المحتدم والحراك الاجتماعي والخصخصة والعولمة ، وهلم جرا ، لنعرف ان كنا نحيا حياة سعيدة أو شبه سعيدة حتى ، وان كنا نستطيع أن نغيرها إلى الأحسن وبأى ثمن ، قبل أن تدهمنا الأحداث والنتائج . واذا كانت صحيفة «**واشنطون بوست**» تقول إن المسح الذي أجرته يشير إلى أنه لا يزال يتعين علينا أن نبحث عن أنماط جديدة للحياة تأخذ في اعتبارها أعباء العمل الحقيقية للزوجين العاملين ذوى الأطفال» ، فما بالك بما يتعين علينا نحن أن نفعله؟.



إلى عميد هندسة عين شمس

خليل عبد الكريم

بتاريخ ٢٤ أبريل ٩٨ نشرت الأهرام خبراً عن احتفال بيت الزكاة الكويتي بوضع حجر الأساس لمسجد (جديد) بهندسة عين شمس وحضره وزيران ومحافظ مصريون وسفير الكويت ومساحة المسجد ٤٠٠ متر ويتسع ل ٥٠٠ مصل ويتكلف ربع مليون جنيه- ولقد أمدني هذا الخبر بعدة معطيات يهمنا إشراك القارئ في الإطلاع عليها ولكن قبلها نضع تحت باصرتيه توصيف الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام للزكاة فهي حسب تعبيره (أوساخ المسلمين) وحظر تناولها على بني هاشم- رهطه الأدنين وفي مرة رأى الحسن أو الحسين يلوك تمرة صدقة فقال له : كخ كخ (لا زلنا حتى الآن نستعمل هذه اللفظة أ. هـ) وأخرجها من فيه بل حرمها على موالي بني هاشم لأن(مولى القوم منهم) وقد رافق أحد مواليهم مصدقا (جابي صدقة) فأعطاه نصيبه المفروض منها باعتباره من (العاملين عليها) فاستفتى الرسول عليه السلام فقال لا تحل لك.

هذه نظرة الاسلام إلى الصدقة أو الزكاة.

أما المعطيات فهي:

١- ان الاخوة الكويتين- أكثر الله مالهم وولدهم- يزكون على المصريين ويتلقى الزكاة واحد من أكبر المعاهد التعليمية ويشهد قبولها مسئولون أماجد في الحكومة السنية للحزب الوطني المحظوظ الدلوع (في المعجم الوسيط ل مجمع اللغة العربية / ناقة دلوع: تتقدم الإبل والعامة في القاهرة تقول مدلع وفي الصعيد مجلع أ. هـ).

وتزكية الكويتيين على المصريين ذكرتني بالحديث الذي رواه العرباض بن سارية رضي الله عنه(من يعش منكم بعدي يرى اختلافا كثيراً) رواه إبن أبي داوود وابن ماجة وأحمد ابن حنبل والدارمي - وهناك مثل شعبي يقول(اللي يعيش ياما يشوف).

٢- قبل أن يسمح ببناء المسجد في الكلية هل أخذ عميدها المهاب رأي جهاز الأمن القومي في (بيت الزكاة الكويتي) وعما اذا كانت له صلات ب المنظمات الاسلاموية العالمية مثل تنظيم الاخوان المسلمين العالمي وأضرابه من التي لا تكن لمصر خيراً ولا تبغيها إلا شراً خاصة وأن الكويت حصراً وتحديداً به هيئات إسلاموية قوية مخترقة لكافة أجهزته حتى مجلس الأمة وليس ببعيد محاولة إسقاط وزير الاعلام لأنه سمح بعرض مؤلفات المفكرين الإسلاميين المستنيرين التجديديين وهم (البعبع) الذي ترتعد منه فرائص الظلاميين من المحيط إلى الخليج (في قواميس اللغة/ البعباع = صوت الهدير).

٣- ألم يقرأ العميد المهيب تاريخ جماعات العنف تلك التي فعلت الأفاعيل في مصر وكبدتها الخسائر الفوادح وكيف أن استخدام (المسجد) كانت له اليد الطولى في تجنيد الأعضاء وتجييش الاتباع وتخزين السلاح والكراع؟.

٤- ألم يفكر العميد الموقر ولو لحظة : لماذا اختار بيت المال الكويتي - الميمون كلية الهندسة بالذات؟.

ألم يطالع سطوراً معدودة في كتابات البحاث الذين تناولوا (الجماعات) وكيف أن طلبة الكليات العملية أشد تأثراً وأكثر إنصياعا وأسرع استجابة لدعاة العنف والتكفير من زملائهم في كليات العلوم الإنسانية.

٦- أهي مصادفة بحت أم أنها من سخرية القدر أنه في الأسبوع الذي تم فيه التوقيع على معاهدة محاربة الارهاب بين الدول العربية (استمرت مراوضاتها خمسة أعوام أ. هـ) .. أن يتمكن (صندوق الزكاة الكويتي) المبرور من أن يتسلل من النافذة إلى إحدى أهم الكليات ويؤسس في قلبها مركزاً لتوليد واستنساخ من يزاولون ما تعاهد العرب الأماجد على مكافحته وحظره..

٧- لو أن (بيت الزكاة الكويتي) المعجب (بلهجة المصرين المعجباني) يبغي وجه الله وصالح الإسلام وقلبه على مصر لخصص الربع مليون جنيه لشراء معامل مختبرات وآلات حديثة وزود مكتبتها بالمراجع التي لابد أنها تحتاج إليها وإدخال النظم العصرية عليها. هذا هو الفهم المستنير للإسلام أما المساجد فسبق أن كتبنا حتى جفت أحبار أقلامنا المتواضعة أن الهدف من بنائها فجر الدعوة كان هو:

تثبت الديانة الاسلامية وفشوها ونشرها بين شعوب البلاد التي دعكوها بسنابك خيولهم المبروكة واستعمروها واستوطنوها ولم تعد هناك حاجة لكل ذلك.

هذا من جانب:

ومن جانب آخر فان طالب كلية الهندسة أو غيرها من الكليات والمعاهد .. يستطيع أن يصلي في أي مكان فقد جعلت له الأرض مسجدا وطهوراً.

ولكن أنى له الحصول على المراجع والمعامل و المختبرات والالات الحديثة؟ وهل مهمة كلية الهندسة تخريج مشيخة ودراويش أم مهندسين..؟.

وما هي إذن مهمة الجامع العتيق المشهور إعلاميا بالأزهر؟

أليس كذلك (مش كده والا إيه) يا سعادة العميد!!.



الأفكار الأمريكية لا تقدم حلا

■ المبادرة الأمريكية نسخة مطورة -بعض الشئ من أفكار نتنياهو

■ هل تعيد السلطة الوطنية النظر فى «دبلوماسية النسب المئوية» وتعلن تخليها عن الأفكار الأمريكية؟.

جندى اسرائيلى يطلق النار على المتظاهرين فى الخليل

مسيرات الذكرى الخمسين للنكبة فى المناطق الفلسطينية، التى تشارك فيها عشرات الالوف فى كل مدينة ،جسدت ممارسة الشعب الفلسطينى لسيادته على أرضه ،كما أعادت تذكير أولئك الذين يحاولون اختصار قضيته فى بعض النسب الصغيرة من إعادة الانتشار، أن بامكان هذا الشعب أن ينهض دائما، ليؤكد أن أحدا لا يستطيع، احتلال مكانه الطبيعى على الخارطة السياسية، أو أن يستدرجه لقبول ما لا يريد ،من خلال ما بات يعرف **بدبلوماسية النسب المئوية** ،ومحاولات فرض حل عليه، يقل كثيرا عن صيغة الحد الأدنى، التى قبل بها عندما وافق على الدخول فى عملية التسوية الحالية.

وأكدت هذه المسيرات، أن بامكان السلطة الوطنية الفلسطينية تعزيز دورها ومكانتها بالاعتماد على الشعب ،وعلى طاقاته ومخزونه النضالى الكبير وحتى لا تتكرس آثار النكبة ،فى إطار مشروع جديد، تسعى حكومة الليكود لتثبيته بجرافات الاستيطان ،وما تسميه بمصالحها الحيوية والابقاء على سيطرتها الاحتلالية على معظم مناطق الضفة والقطاع. كما برهن هذا الاندفاع الكبير للجماهير ان طريق الاعتماد على الشعب، يفتح أمام السلطة آفاقا واسعة ورحبة، فى مواجهة السياسة العدوانية التوسعية لحكومة نتنياهو، ولممارسة دورها بالاستناد لتعهداتها التى قطعتها لجماهيرها، التى فوضتها للدفاع عن حقوقها الشرعية غير القابلة للتصرف.

ونستطيع القول، بأن هذا التجاوب الجماهيرى الواسع، قد عبر من حيث مضمونه وشعاراته عن رسالة واضحة ومحددة عنوانها: لا لمشروع نتنياهو، وانه لن تكون هناك قيادة فلسطينية، يمكنها أن توافق على هذا المشروع الاحتلالى التوسعى، دون أن تراهن بمصداقيتها وتعرض مجرد وجودها وبقائها للخطر.

المسيرات وهبة أيلول

يضاف إلى ذلك، أن هذه المسيرات فى ذكرى النكبة، التى تعتبر الأوسع من حيث أعدادها منذ استقبال السلطة والرئيس عرفات قبل ٤ سنوات، قد عادت وأكدت مجددا ،ما أكدته هبة أيلول عام ١٩٩٦، ضد حفر النفق تحت المسجد الأقصى

رسالة القدس

حنا عميرة

،**بأنه لا مجال لايجاد حالة من التعايش الدائم ،بين سلطة فلسطينية وطنية تطمع لاستكمال مهمة التحرر ،وبناء دولة مستقلة ذات سيادة ،وبين سلطة احتلال تحاول توسيع وتكريس سيطرتها العسكرية والاستيطانية** .وان الوضع الانتقالى الراهن، لا يملك مقومات البقاء والاستمرار، وأن سياسة التنصل من تنفيذ الاتفاقات التى يتبعها نتنياهو ،والتى تستهدف فرض المزيد من القيود والاشتراطات الأمنية، لن تنجح فى تحويل السلطة الوطنية، إلى «وكيل أمنى» وإنما ستمهد

إلى المزيد من ردود الفعل المعاكسة ،والتحركات والانفجارات الشعبية.

ماذا يعني ذلك؟! إنه يعني **أن عامل القوة الرئيسي في الموقف الفلسطيني ، يكمن في علاقة الارتباط العميقة ، بين مستوى الحالة النضالية للجماهير ، واستعدادها للتضحية والعطاء من ناحية ،وبين خطة السلطة الوطنية وموقفها السياسي ،ومدى وضوح وصلابة هذا الموقف ،اضافة إلى أدائها الداخلي وطبيعة تمثيلها للمصالح الاقتصادية والاجتماعية لهذه الجماهير ،من الناحية الثانية.**

موقف السلطة الوطنية

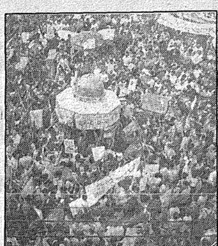
ومن هنا فإن موقف السلطة الوطنية ،من الأفكار الأمريكية المطروحة حاليا ، أو من أية أفكار وعروض أخرى ، يجب قياسه بمدى خدمته أو عدم خدمته ، لتعزيز علاقة الارتباط المذكورة ،وبالتالي الابتعاد عن أية خطوات قد تؤدي إلي عكس ذلك ، أو تزيد من حالة الاغتراب بين الجماهير وواقعها السياسي والاجتماعي .وهذا يتطلب تقويم هذه الأفكار على أساس معيار محدد: هل تخدم أو تعرقل الوصول إلى هدف الاستقلال الوطني؟!.

فما يجري الان من مساومات حول النسب المئوية لاعادة الانتشار ،حتى ولو قبل بها بنيامين نتنياهو ، لن تقدم مخرجا لاعادة إحياء عملية السلام ،ما دام هدفه المعلن هو إلغاء إعادة الانتشار الثالثة ،وما دام يحاول أن يضمن سلفا ،من صيغة الاتفاق الذي يسعى إليه مع الولايات المتحدة ،جميع المستلزمات والآليات التي تقود لحل دائم وفق خارطته السياسية القائمة على **ضم القدس والابقاء علي المستوطنات وتوسيعها ، وإبقاء المناطق الاستراتيجية والحيوية في الضفة الغربية، تحت السيطرة الاسرائيلية** ،وهي تشكل أكثر من ٦٠٪ من مساحتها.

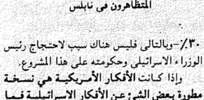
إذن فإن القضية لا تكمن فقط، في إعادة انتشار الجيش الاسرائيلي من **١٣ر١ ٪ من مساحة الضفة** ،كما تقترح الولايات المتحدة ،وإنما أيضا **في الخطوات اللاحقة التي ستلي ذلك**والتي يبدو أنها تشكل المرتكزات الأساسية التي يبني عليها **نتنياهو** موقفه؛ ويمكنه أن يجند حولها جميع أطراف ائتلافه الحكومي ،التي يتذرع بتهديدات بعضها لاسقاط حكومته ، لتبرير رفضه للمشروع الأمريكي!.

نسخة مطورة عن الأفكار الاسرائيلية

لقد ردت وزيرة الخارجية الأمريكية **مادلين أولبرايت** ،على مماطلات **نتنياهو** عندما أبلغت أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي الذين يؤيدون موقفه ، ويعارضون ما يسمونه بانذار الادارة الأمريكية له، بأن الأفكار الأمريكية المطروحة ،هي أقرب إلى الموقف الاسرائيلي -أي اعادة الانتشار من٩٪ -منها إلى طلب **الرئيس عرفات** ،بأن يكون إعادة الانتشار **من**



المتظاهرون في نابلس



٣٠٪-وبالتالي فليس هناك سبب لاحتجاج رئيس الوزراء الاسرائيلي وحكومته على هذا المشروع.

وإذا كانت **الأفكار الأمريكية هي نسخة مطورة بعض الشئ عن الأفكار الاسرائيلية فما الذي يريده حقيقة نتنياهو؟!.**

ماذا يريد نتنياهو

إنه يريد البدء فورا بمفاوضات مع السلطة الوطنية الفلسطينية حول حدود الحكم الذاتي الفلسطيني وصلاحياته ،وهذا ما يسميه بمفاوضات المرحلة النهائية .مع تأجيل باقي الموضوعات المؤجلة أصلا مثل القدس والاستيطان واللاجئين والمياه إلى مرحلة لاحقة قد تأتي أو لا تأتي.**كما أنه يريد أيضا التنصل ،من تنفيذ جميع استحقاقات المرحلة الانتقالية ،ودمجها للتفاوض حولها في إطار صلاحيات الحكم الذاتي.**

وهو يريد التوصل إلى تفاهم استراتيجي جديد ،مع الولايات المتحدة حول **دور إسرائيل الاقليمي في منطقة الشرق الأوسط** ،بما في ذلك ضمان تأييدها الكامل لموقفه ،في مفاوضات المرحلة النهائية ،والحصول على مساعدات عسكرية غير محدودة ، قدرها بعض الخبراء بحوالي **٢٠٠ مليون دولار** لتغطية تكاليف اعادة الانتشار ، التي تشمل حسب ادعاءات **شارون** نقل احدى محطات الانذار المبكر ، التي اقامها الجيش الاسرائيلي في الضفة الغربية.

وهو يريد تعهدا فلسطينيا واضحا وضمانات امريكية ،تحول دون اتخاذ اية خطوات باتجاه اعلان دولة فلسطينية في المناطق الفلسطينية ،مع انتهاء فترة التسوية المرحلية في ايار ١٩٩٩.

اتفاق جديد يتجاوز أوسلو

وهو يريد في غضون ذلك، وحتي يحين موعد التفاوض حول الاستيطان ،ولا أحد يعلم متى سيحصل ذلك، الاستمرار في مخططاته الاستيطانية في طول الضفة وعرضها.

انه يريد باختصار ، اتفاقا جديدا ، أكثر انسجاما مع مخططاته الاستراتيجية ، يخلف



نتنياهو

اتفاق أوسلو ويتجاوزه، ويخفض سقف التوقعات الفلسطينية ، إلى أقل منه بكثير ، ليعلن بعد ذلك رسميا بأن أوسلو مات؟ وأننا الان في مرحلة مشروع نتنياهو.

وإذا تم له الحصول علي ذلك، فإنه على استعداد لتقديم ٢ أو ٣ بالمائة زيادة في مساحة إعادة الانتشار ،وحتى ١٣ر١ ٪ حسب الافكار الأمريكية، والتخلي عن الكثير من تحفظاته الحالية، وحتى عن بعض اشتراطاته الأمنية.

المشروع الأمريكي لا يقدم حلا

لهذه الأسباب فان الافكار الامريكية ،لا تقدم حلا .. وإنما **تضع المقدمات لأزمة جديدة قادمة أخطر من الازمة الحالية** ،ولهذه الأسباب أيضا ، على الجانب الفلسطيني أن يفكر مليا ، قبل أن يقدم على خطوته التالية .وان يراجع موقفه الحالي من الأفكار الأمريكية ويعلن عن تخليه عنها . هذا إذا اردنا التأكيد ، بأن السقف الفلسطيني يتجاوز هذه الأفكار ،وخاصة على ضوء محاولات **نتنياهو** ادخال تعديلات عليها للحصول على المزيد من التنازلات الفلسطينية واستعداد واشنطن للتعامل مع هذه التعديلات.

التحرك لاعلان الدولة

وإذا ما أعلنت السلطة الوطنية موقفها هذا ، فانها وهذه الحالة ستكون أكثر قدرة واستعداداً ،للتحرك علي جميع الاصعدة ، داخليا وعربيا ودوليا ، من أجل تجنيد الدعم المطلوب ، وبلورة قاعدة سياسية تمهد لتعزيز وحدة الجبهة الداخلية، وللتعاون والتنسيق مع جميع الحلفاء والاصدقاء ، **لفرض واقع يؤدي** إلى إعلان الدولة الفلسطينية ،**ومواجهة مشروع نتنياهو وضغوطه بجبهة واسعة ومتماسكة ،والتحرر من جميع القيود التي يفرضها المشروع الأمريكي-وهي كثيرة جدا-على حرية التحرك الفلسطيني في هذا الاتجاه.**



نتنياهو: هل هو عاجز.. أم رافض؟!



خلال السنتين الماضيتين ، تمكن **بنيامين نتنياهو** من الظهور أمام العالم ، كزعيم سياسى محير ، أسلوب عمله ، تصريحاته ، ممارساته ، وعوده ، نكثه للوعود ، كلها أمور لاتصدق .. صفاته لم تجتمع فى قائد سياسى قبله فى التاريخ الحديث . ومع ذلك ، ولأن الأمر يتعلق بفرصة ذهبية لاتعوض ، ويتعلق بمصائر عدة شعوب فى منطقتنا ، فان المحللين مشغولون فى تفسير تصرفاته هذه . **فهل هو انسان عاجز ، لايستطيع تمرير قرار شجاع ، خوفا على مستقبله السياسى؟ أم أنه انسان رفضى، يتلاعب بعقول كل مستقبليه** من الزعماء والرؤساء العرب والغربيين بمن فيه ذلك الرئيس الأمريكى ، الذى يقف داعما له اقتصاديا وعسكريا ؟!

فى هذه الأيام ، يتمم **بنيامين نتنياهو** أصغر رؤساء حكومات إسرائيل سنا وهيبة ، سنتين من ممارسته مهامه كرئيس لحكومة اليمين .خلال هذه الفترة ، تمكن من زرع الحيرة فى نفوس كل الزعماء الذين التقاهم فى العالم ، وهم كثيرون جميعهم تورطوا فى مديحه مثلما أكثروا من مهاجمته وانتقاده والتعبير عن الامتعاض والاشمئزاز منه . وجميعهم شكوا من الحيرة إزاء مواقفه وتصرفاته.

وحتى يومنا هذا ، لم يحسم الموقف منه . مازال يستقبل فى أهم عواصم العالم ، استقبالات رسمية مثل كل رؤساء الحكومات . ويحظى بأكبر تغطية إعلامية ، فى أبرز صحف العالم . ويزوره العديد من الرؤساء والملوك .

البعض يرى أن **نتنياهو** عاجز ، ويحتاج إلى دعم وتشجيع . والبعض يرى أنه قادر لكنه رافض ويجب التعامل معه" بحنكة" ومسايرته حتى لايدمر كل شئ . والطريف **،أن نتنياهو يعرف بالضبط مايقال عنه ويستغل ذلك جيدا.**

ومع هذا ، فلا بأس من الاجابة عن السؤال : ماهى حقيقة **نتنياهو** . رافض أم عاجز؟

ولنبدأ **بالعاجز** ، إذ أن **نتنياهو** حاول كثيرا أن يظهر أمام العالم أنه عاجز عن تمرير المبادرة الأمريكية داخل حكومته . وكان يقول للأمريكان وكذلك للقيادة المصرية والأردنية أنه يريد أن يروض المعارضة اليمينية المتطرفة التى تهدد باسقاطه وكان يقدم لهم معادلات حسابية لاثبات عجزه ، مثل **"لديه ائتلاف من ٦٦ نائبا من مجموع ١٢٠ ، وفى ائتلافى ١٧ نائبا يهددون باسقاطى مقابل أى انسحاب ".** وعندما استقال وزير الخارجية **،دافيد ليفى،** وانسحب من الليكود مع نوابه الأربعة ، بقى فى ائتلافه ٦١ نائبا (أى بأكثرية ضئيلة من صوت واحد).

لكن هذه الحجة سقطت عدة مرات.

أسقطتها أول مرة أحزاب المعارضة الإسرائيلية حين قالت إنها ستصوت إلى جانب **حكومة نتنياهو** فى كل مشروع يقدم للكنيست ، ينطوى على إعطاء دفعة لعملية السلام.

وأسقطتها ثانيا بعض أحزاب الائتلاف مثل **"الطريق الثالث" و"شاس"** ، اللذين هددا بترك الحكومة وائتلافها إذا تدهورت عملية السلام ، فيما هدد وزير الدفاع ، **اسحق مردخاى،** بالاستقالة من الحكومة إذا لم ينفذ الانسحاب الثانى من الضفة خلال ثلاثة أشهر (وقد مضت على ذلك التهديد خمسة أشهر).

ولكن السقوط الثالث لهذه الحجة ، تحقق بفضل اعتراف أحد أشد زعماء اليمين تطرفا **،رحبعام زئيفى،**زعيم حزب **" موليدت"** ، الرافض لاية تسوية سلمية مع الفلسطينيين . فهو يرى أن الحل الوحيد يكون برحيل الفلسطينيين عن وطنهم ، إلى الدول العربية **.زئيفى راح يتفاوض مع نتنياهو لكى ينضم لائتلافه** (له نائبان فى المعارضة اليمينية المتطرفة) . فانتقده بعض المتطرفين اليمينيين واتهموه بأنه يرضخ لاغراءات السلطة ويذهب لتقوية **نتنياهو** فى الوقت الذى يتنازل فيه هذا عن أرض إسرائيل للعرب. فذهب لمواجهتهم . وقال :

"هل تصدقون أننا جادون فى **التهديد باسقاط حكومة نتنياهو . نحن نضغط عليه حتى يشتد عوده أكثر ويصمد أمام الضغوط الخارجية . وهو يستغل ضغطنا هذا بذكاء . لكن ، لن نكرر خطأ الماضى . لن نسقط نتنياهو لأن اسقاطه سيعنى الذهاب لانتخابات جديدة وفوز حزب العمل بالحكم . وهذا يعنى خسارتنا كل شئ."**

من هنا لم تعد هذه الحجة ناجعة . بل عرفنا أنه خلال لقاء**نتنياهو**مع وزير الخارجية المصرى،**عمرو موسى** ، قال له الأخير رداً على تلك الحجة: **غير الائتلاف** . فالحديث عن قضية هامة وخطيرة كهذه يستحق أن نقيم ائتلافا آخر وتنجح عملية السلام.

الغريب ، أنه بعد سقوط هذه الحجة وانكشافها راح**نتنياهو** يظهر عكسها . ففى زيارته الأخيرة للندن وكذلك فى زيارته للولايات المتحدة ، حرص على أن يبرز قوته فى تمرير أى قرار . فقال:" **أنا لاأخشى الائتلاف . فأنا هو الائتلاف . إذا اقتنعت بأية مبادرة تتلاءم مع أمن إسرائيل ، أستطيع تمريرها بكل سهولة .. فى الحكومة وفى الكنيست ".**

وبالمناسبة ، فان حجة الأمن أيضا سقطت . فقد زعم **نتنياهو** أن الانسحاب من ٩٪ من الضفة يخلق بعض الأخطار الأمنية لإسرائيل ، لكنها تستطيع تحملها . لكنها لاتستطيع تحمل انسحاب أكبر . ومعروف أن

رسالة حيفا

نظير مجلى

الإدارة الأمريكية طلبت ١٣٪، وقالت إنها فحصت الأمر مع مسئولى الأمن الأمريكان والإسرائيليين، فلم يشعرها أحد بأن هذا الرقم يهدد أمن إسرائيل. غير أن الموقف **الحازم الذى أسقط ورقة التوت عن هذه الحجة المعوجة، جاء من المدير العام السابق لوزارة الخارجية الإسرائيلية، أورى سفير** (من حزب العمل المعارض) فقال(١٨ مايو / أيار ١٩٩٨)

رابين كان قد خطط للانسحاب فى المراحل الثلاث عن ٢٣٪ من أراضى الضفة الغربية وقد اعتمد فى موقفه على خرائط أمنية أعدت له فى رئاسة أركان الجيش الإسرائيلى، المسئول الأول والأخير فى إسرائيل عن الأمن.

إذن، من هذا العرض يبدو أن نتنياهو ليس عاجزاً. وإن أراد، يستطيع تمرير أى قرار. وهذا صحيح لكنه ليس كل الحقيقة.

ولكى نفسر هذا. لابد من مراجعة مواقفه الرفضية أيضا. ورفضيته تبدو مرضية (نسبة إلى مرض) بعض الشئ. **فهو مصاب بانفصام شخصية، مابين جذوره وطبيعته اليمينية، وبين مركزه كرئيس حكومة إسرائيل فى ظروف عالمية واقليمية جديدة لايستطيع التهرب منها.**

فهو قادم من حزب الليكود، صاحب نظرية أرض إسرائيل الكاملة. وهذا هو نفسه حزب **مناحم بيجين**، الذى انسحب من سيناء حتى آخر شبر أرض. **وبيجن**، كان قد اعترف فى اتفاقيات كامب ديفيد بحق تقرير المصير للشعب الفلسطينى فى إطار حكم ذاتى واسع على كل الضفة الغربية وقطاع غزة بشكل لايقل عن اتفاقيات أوسلو. لكن **بيجن**، كما هو معروف، لم يستمر. وقد تورط فى حرب لبنان سنة ١٩٨٢ التى استهدفت تصفية منظمة التحرير الفلسطينية، ليصفى بالتالى حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى، فلا يكون هناك من يحظى بالحكم الذاتى المقرر فى كامب ديفيد.

وكما هو معروف، فان مساعدى **بيجن**، خصوصا الوزير **أرئيل شارون**، ورطوا بيجن فى حرب لبنان. وبسبب هذه الورطة أصيب بصدمة نفسية فتاكة أدت إلى اعتكافه فى البيت حتى وفاته. وقد حل محله أحد أكثر المتطرفين فى حزبه، **اسحق شامير** واضطر **شامير** للذهاب إلى مؤتمر مدريد للسلام، بضغط الولايات المتحدة، بعد حرب الخليج (سنة ١٩٩١)، التى أصبحت الزعيمة الوحيدة للعالم فى أعقاب انهيار الاتحاد السوفيتى. **وقد حاول شامير إجهاض مؤتمر مدريد، فأسقطه الأمريكان**، نتيجة الخلاف المباشر معه والامتناع عن تحرير الضمانات الأمريكية بقيمة ٥ مليارات دولار.

وفى حينه نجح حزب العمل فى انتخابات ١٩٩٢ وأقام حكومة سلام، مدعومة من اليسار والعرب فى الكنيست. فكانت اتفاقات أوسلو المرحلية. وقد قتل **رابين** بأيدى متطرف يمينى. ولم يفلح حزب العمل فى لملمة نفسه. فسقط فى الانتخابات، بفارق ١٥ ألف صوت. وفاز **نتنياهو**.

الشعار الذى رفعه نتنياهو كان:" سلام آمن". وشدد كثيرا على شعار السلام، لكى يكسب فوق الوسط. واضطر خلال الانتخابات إلى تبنى اتفاقيات أوسلو.

وبعد انتصاره، بدأت شخصية الانفصام تتجلى. فمن جهة تعهد بتنفيذ الاتفاقيات. ومن جهة كانت تشده أصوله اليمينية المتطرفة إلى الوراء. فاستعمل الكذب واللف والدوران والخداع، مع الجميع. وطابت له هذه اللعبة، فأصبح أسلوبه المخادع هذا مزمنا.

واعتبره أسلوبا دبلوماسيا محنكا راح يتباهى به أمام المقربين له، المقربين الموسميين بالطبع. لأنه لم يبق حوله مقربين مخلصين. إذ كان يستسهل الطعن بأقرب المقربين منه. على سبيل المثال الوزير **شارون**. فهو أحد أهم أسباب نجاحه فى الانتخابات، لأنه أقنع منافسيه من اليمين **(دافيد ليفى ورفائيل ايتان)** بالانسحاب من منافسته على رئاسة الحكومة. ولكن عندما شكل حكومته، أخرج**شارون** منها. ولولا أن **دافيد ليفى** هدد باسقاط الحكومة، لما دخلها **شارون**.

وبعد فترة، احتاج نتنياهو **لشارون** مرة أخرى. فتجنيد هذا يقنع المستوطنين بالبقاء إلى جانبه. ورفض اسقاط**نتنياهو** بعض انكشاف فضائحه. ولكن ما أن تجاوز أزماته الداخلية حتى رأيناه يعود إلى عزل **شارون** والتآمر عليه لكى يبعده عن منصب وزير الخارجية، مما أدى لأن يقاطعه **شارون** ويرفض التقاءه فى واشنطن (رغم أنهما تواجدا معا فى الولايات المتحدة) ويرفض مشاركته اللقاء مع وزيرة الخارجية الأمريكية **مادلين أولبرايت**.

وهذا نموذج واحد فقط، يمكن أن نضيف إليه نماذج أخرى مثل: الوزيران **دان مريدور وبينى بيجن**، اللذين استقالا من الحكومة، ومدير عام مكتبه وأخلص المخلصين له **ايفيت ليبرمن**، وغيرهم. **وبنفس الأسلوب تعامل مع الحلفاء ومع الفلسطينيين ومع القادة العرب ومع الأمريكان.**

الخداع دينه وديدنه. المناورة أهم سلاح عنده. وهدفه الأول والأخير واحد، هو: البقاء فى الحكم. وهذا أهم من السلام والأمن والأخلاق والعلاقات الخارجية والعلاقات الداخلية. فى سبيله مستعد لأن يعمل كل شئ.

وهو يؤمن أن مصدر قوة البقاء هو فى أحزاب اليمين. لذلك يناور مابين اليمين واليمين المتطرف. هم يحبون أن يروه شجاعا فى مواجهة الإدارة الأمريكية، فيواجهها فى عقر دارها ويحاول تحريض اليهود الأمريكان، واليمين الجمهورى ضدها. علنا وعلى المكشوف. يريدونه مساندا للاستيطان، فيعطى لهم الميزانيات والأراضى ويغض الطرف عن مخالفاتهم ويحميهم ويجتمع بهم باستمرار للتفاهم حول طلباتهم.

يعمل كل مافى وسعه على تأجيل الانسحاب بكل ماأمكن من مناورات وألاعيب. للعرب وللأمريكان يقول:"٩٪ **تضر بالأمن، لكننا مستعدون للتضحية من أجل السلام"**. لكنه يقول للمستوطنين:" عندما بدأنا المفاوضات كانوا يتحدثون (العرب والأمريكان)، عن انسحاب بنسبة ٩٠٪ والآن يكتفون بـ ١٣٪، ومازلنا نحاول تخفيض النسبة أكثر.

بهذه الطريقة يجهض الاتفاقيات التى وقعتها حكومة إسرائيل رسميا، بعد أن أقرت فى الكنيست بالأكثرية. وبهذه الطريقة يجهض اتفاقية الخليل التى وقعها هو بنفسه. وبهذه الطريقة ينكث بوعوده إلى الزعماء الذين التقاهم ولايكترث. المهم أن يظهر أمام الجمهور اليمينى الذى ينتخبه، بقامة منتصبة.

وفى هذه الأثناء تدفع البلاد ثمنا باهظا. ففى ظل حكمه، خلال السنتين، انخفض الناتج القومى **(٢٪ فى كل سنة)** والاستثمارات الأجنبية **(١٠٪ فى كل سنة)** ومستوى المعيشة**(٥ر١ ٪ كل سنة)** وتضاعف عدد العاطلين عن العمل**(٨ر٦٪ من القوى العاملة، أى حوالى ١٩٠ ألف عامل)** وضرب فرع السياحة وانخفضت نسبة البناء وزاد الركود الاقتصادى وهكذا..

وهذه السياسة تجر المناطق الفلسطينية إلى انفجار، وصدامات وقتلى.. من العرب ومن اليهود.

وهذه السياسة تضع إسرائيل فى عزلة أمام العالم وتعيدها إلى أيام شامير.

وكل ذلك لايهم نتنياهو.

قد يقول صاحب تفكير حضارى، أن **نتنياهو** لايملك الشجاعة فى الانطلاق إلى طريق غير عادى، فيصبح شخصية تاريخية فى حياة إسرائيل، يكون بفضلها زعيم السلام. وهذا صحيح. فانه أعجز من أن يتخذ موقفا شجاعا. ولكن، المسألة ليست فقط مسألة عجز. فهو أضعف من أن يتغلب على ماضيه اليمينى المتطرف.

من هنا، فان نتنياهو عاجز ورافض معا، ولايمكن فصل الصفتين عنه.



تحرير المـرأة..

في الأرض المحتلة..

قدر لى أن أشترك في مداولات **البرلمان النسائى الصورى** عندما انعقد مؤخرا فى **غزة** ، فكانت هذه بالنسبة لى فرصة امتعتني واحيت فى روحى أملاً انتعش بعد أن أطفأ واقع الحال المرير فى الأرض المحتلة معظم الآمال .

توج انعقاد هذا البرلمان فى المدينة الفلسطينية الجنوبية حركة انتظمت على مدى ثمانية شهور قبله واستهدفت تعزيز المطالبة بحقوق المرأة وجعل هذه الحقوق مساوية لحقوق الرجل ،أدار الحركة شخصيات من النساء والرجال ممن يمثلون أطياف الرأى العام المستنير ، فتشكلت لجنة تحضيرية استعانت بآراء خبراء فى شئون الشريعة الاسلامية والقوانين المدنية والعلوم الاجتماعية وغيرها من شئون . وتبلور الجهد في عدد من الدراسات ومشاريع القرارات . وبحكم الانفصال الجغرافى الذى يفرضه الإحتلال الاسرائيلى بين الضفة الغربية وقطاع غزة ، عقد البرلمان دورة أولى فى الضفة فى **رام الله** وفيه جرت مناقشة قسم من مشاريع القرارات ، ثم عقد الدورة الثانية فى **غزة** وناقش القسم الثانى.

لم أشهد الدورة الأولى ، لكننى اطلعت بالطبع ، على قراراتها وعرفت مداولاتها وما كتب بشأنها فى وسائل الإعلام المحلية، أما الدورة الثانية فهى التى اتيح لى أن أشهدها وأنخرط فيها بعد أن تكرم منظمو البرلمان بدعوتى إليه كعضو مراقب وشاءوا أن يستعينوا بخبرتى.

أود أن أقدم شهادتى فأؤكد على أن المداولات تطرقت لموضوعات جادة فضلا عن أنها حساسة وقد شهدت الاجتماعات التى امتدت يومين كاملين مستوى من النظام لا يقل عن مستوى برلمان عريق وصدر الذين تداولوا الحديث ، بمعظمهم ،عن إحساس عال بالمسئولية ،ليس إزاء قضية تحرير المرأة، فحسب ، بل إزاء قضية تحرير المجتمع بأسره ، رجاله ونسائه وأطفاله ، أيضا ،ولم يغب عن البال واقع الاحتلال ودوره فى دعم عوامل التخلف ومظاهره.

ومع وجود ممثلات وممثلين للأطياف السياسية والاجتماعية المعنية بالأمر كافة ، انطلق الجميع فى البنية إلى **أهمية التراث العربى الاسلامى الغنى** ،واستحضروا من كنوزه ،من شريعته واجتهادات علمائه المتعاقبين وسلوك ناسه الكثير مما يدعم الدعوة إلى تحرير المرأة وتوسيع حقوقها بموازاة الدعوة إلى اضطلاعها بواجبات متزايدة، وفي المحصلة لم تتطرق المداولات إلى موضوع أو تتخذ قراراً بشأنه إلا وجدت له سنداً فى هذا التراث.

أحادية الزوجة ،مسئولية المرأة فى الانفاق على الأسرة والأطفال مع الرجل ،حق المرأة ،مثل حق الرجل ،فى اختيار شريك الحياة دون ضغوط سافرة أو مقنعة ،حقها في الإرث وفى المال المشترك المكتسب خلال الحياة المشتركة ،حقها في طلب الطلاق حين يتعذر استمرار الحياة الزوجية .. هذه كلها وغيرها مما يماثلها ويصب فى اتجاه المساواة لها سند واضح فى التراث الدينى والاجتماعى ، وذلك قبل التحدث عن العلمانية ومقتضيات الحياة العصرية وغيرها مما يسخط الأوساط المحافظة ويدفع ذكورها إلى العراك دفاعا عن مكاسب جائرة احتازوا عليها فى ظروف غير ظروفنا

صادق المجتمعون على مشاريع القرارات بالتصويت الديمقراطى، بعد أن أتيح لأي صاحب رأى وقت كاف لعرض رأيه . وبهذا **قدم البرلمان النسائى امثولة فى مجال احترام الرأى والرأى الآخر**. وصار بيد الحريصين على تحرير المرأة سلاح معنوى يتسلحون به وهم يباشرون مسيرة طويلة ومعقدة في اتجاه إنصاف المرأة.

في غضون ذلك، انتظمت حملة جمع تواقيع على بيان يؤيد رسالة البرلمان وأعلن جمع أكثر من **خمسة عشر ألف توقيع**، وأثارت نشاطات البرلمان وردود الفعل عليها موجة واسعة من الاهتمام بالقضايا المطروحة وانشغل بها كثيرون .ومن المفترض أن يتوجه منظمو البرلمان بحصيلة جهدهم وقراراتهم إلى **المجلس التشريعى الفلسطينى** ويطالبوا بتعديل القوانين فى هديها ووضع قوانين جديدة، وفي هذا المجال، بالذات ،تجد قرارات البرلمان سندا لا لبس فيه فى وثيقة إعلان الاستقلال الفلسطينية التى يحترمها الجميع والتى سبق للمجلس الوطنى الفلسطينى أن صادق عليها بالاجماع ومع الحماس الشديد، فهذه الوثيقة ضمنها الفلسطينيون القواعد التى سيتأسس عليها دستور دولتهم المنشودة ،وهى تتضمن **النص بصراحة تامة على المساواة بين الرجل والمرأة.**

لا تشكل قرارات البرلمان الصورى أكثر من وثيقة ذات قيمة معنوية .والدعوة إلى تحرير المرأة ومساواتها بالرجل فى الحقوق والواجبات ليست جديدة ،وفي البلاد المجاورة لفلسطين وخصوصا في مصر ، بدأت معركة تحرير المرأة منذ القرن الماضى. بالرغم من ذلك ، أهاج نشاط البرلمان الصورى سخط الأوساط المحافظة واستثار موجة هجوم ضار شنتها عليه الأوساط المتزمتة ، وما زالت الموجة مستمرة.

المهاجمون كانوا نوعين: صاحب رأى مناقض لدعوة البرلمان يقارع الحجة بالحجة ويجهد لكسب أكبر عدد من المؤيدين لرأيه ، ولا يكتفى بمقارعة الرأى بالرأى ، بل يعمد إلى التزوير ويستخدم ما يقوم هو بتزويره أداة للتشهير بالآخرين وتحريض الجمهور ضدهم.

وقد وقعت بين المزورين على رجل متزمت زورعلى المجتمعين فى البرلمان قرارات لم يناقشوها أصلا ولا خطرت ببال أى منهم، وطبع زوره في بيان ، **هذا الرجل زعم، مثلا ، أن البرلمان الصورى دعا إلى إباحة الزنى** .وغير هذا الرجل متزمتون آخرون روجوا أن البرلمان دعا إلي تعدد الأزواج.

والواقع أن الهجمات الضارية لم تبق بغير تأثير حتى في الأوساط المهيأة لمساندة قرارات البرلمان الصورى ،بل إن تأثير هذه الحملة امتد فشمل عدداً من المشاركين فى البرلمان فجعلهم يتهيبون من الاستمرار فى النشاط.

أيا كان الأمر ، فليس المجتمع الفلسطيني هو أول مجتمع يشهد هذه المعمعة ،حتى وإن أدت ظروف الاحتلال إلى تأخره عن الانخراط فيها . إنها البداية وفى الانتظار مشوار طويل ومعامع متعاقبة.

رسالة غزة

فيصل حوراني




الملك حسين يشرف على القضايا الامنية مباشرة

رسالة عمان

صلاح يوسف

القتال على جبهتى الأمن الاجتماعى والأمن السياسى

إذا كان الأمن بالنسبة لإسرائيل هاجسا مرضيا فإنه بالنسبة للأردن مسألة حياة أو موت . فمن خلال الأمن كان الأردن يأمل فى خلق بيئة جاذبة للاستثمار ، خاصة وأنه أبرم معاهدة للسلام مع إسرائيل علق عليها آمالاً كبيرة ، وأمل من خلالها فى تحسين أوضاعه الاقتصادية التى كانت تلقت ضربة قاصمة فى العالم ١٩٩٠ ، وذلك على خلفية موقفه من حرب الخليج الثانية .**ومن خلال الأمن يمكنه إقناع المواطن الأردنى الذى لم يشعر بأى فائدة وعد بها من السلام، بنجاعة برنامج التصحيح الاقتصادى الذى وضعه له صندوق النقد الدولى** . ومن خلال الأمن يمكنه إقناع الدول الراعية لعملية السلام بأنه قادر على الإمساك بزمام الأمور وضبط الشارع الاردنى والسيطرة على أى محاولة تستهدف التشويش على عملية السلام. ،ومن خلال الأمن أيضا يمكن للأردن أن يستمر فى تطبيع علاقاته مع إسرائيل بما يتضمنه ذلك من إقامة علاقات عادية ،وربما أكثر من عادية مع إسرائيل وعلى المستويات كافة وبخاصة المستوى الاقتصادى الذى يتضمن إقامة مشاريع مشتركة برعاية الولايات المتحدة الأمريكية وتشجيعها ودعمها.

وفى ظل معرفة المواطنين بذلك فإنهم قد اعتادوا أخيرا على الوجود الكثيف لسيارات الشرطة والأمن العام توقف سيارات المواطنين وتدقق أوراقهم ، أو وجود هؤلاء على أبواب المؤسسات العامة تفتش الداخلين إليها ،وهو مشهد لم يعرفه الأردن منذ العام ١٩٩٠ فى أثناء اندلاع حرب الخليج الثانية.

وفى هذا الجو غير الطبيعى تماما لم يستغرب المواطنون الاردنيون ظهور نائب رئيس الوزراء الأردنى لشئون الاعلام المهندس **ناصر اللوزى** فى مؤتمر صحفى حضره ممثلو وكالات الأنباء المحلية والعربية والعالمية ليعلن عن إلقاء القبض على مجموعة وصفها بأنها سلفية تطلق على نفسها اسم «**مجموعة الاصلاح والتحدى**» فى زمن قياسى.

وكشف النقاب عن بعض ما يتعلق بهذه المجموعة من حيث ارتباطاتها التى قال إنها خارجية وتمويلها الذى قال إنه محدود ويأتى من الخارج ،وعدد أفرادها ،وهم ثمانية من بينهم أردنى يحمل جواز سفر برازيليا وآخر ينتمى لدولة عربية شقيقة. وقد أشيع أنه مصرى.

غير أن ما لفت الأنظار طريقة الإعلان عن إلقاء القبض على المجموعة والتى رأى كثيرون أنها لا تتناسب وحجم المجموعة ،ولا مع خطورة الأعمال التى قام بها أفرادها .فقد أعلن الوزير أن هذه المجموعة هى المسئولة عن عدد من التفجيرات التى شهدتها العاصمة الأردنية في الشهرين الأخيرين ،وآخرها تفجير سيارة تعود لمواطن من فلسطين العام ١٩٤٨ يعمل فى السفارة الاسرائيلية فى جراج فندق القدس فى أوائل الشهر الماضى بينما كانت السفارة الأمريكية تقيم حفلا بمناسبة مرور خمسين عاما على تأسيسها ، ولكن فى فندق آخر ،من دون أن يصاب أحد.

وكانت هذه المجموعة قد اختارت عددا من الأهداف الأخرى من بينها محاولة تفجير سيارة المدير السابق للمخابرات العامة في الخمسينيات والستينات **محمد رسول الكيلانى** ، ووضع عبوة متفجرة قرب المدرسة الأمريكية الحديثة ووضع عبوة أخرى قرب الدوريات الخارجية التابعة للأمن العام الأردنى ، ووضع عبوة حاوية للقمامة قرب منزل وزير الداخلية الأسبق **جودت السبول**.

وبالرغم من الدلالة السياسية لها فإن من الملاحظ أن هذه الأهداف والطريقة التى اتبعت لضربها كانت ساذجة ، وأن الاضرار التى لحقت بها تعتبر طفيفة، وأن العملية تبدو وكأنها من صنع هواة .**وتردد فى العاصمة عمان أن الإعلان عن إلقاء القبض على هذه المجموعة إنما كان لتحويل الأنظار عن جريمتين كانتا وقعتا فى شهور سابقة ذهب ضحية الأولى عدد من رجال الأعمال الاردنيين والعراقيين ومواطنين مصريين ، وذهب ضحية الثانية واحد من ألمع المحامين الاردنيين ويدعى حنا ندة وابنه وطبيب نفسى مشهور.** وهما جريمتان لم يحل لغز أى منهما رغم مرور بضعة أشهر على الأولى ونحو ثلاثة أشهر

العلاقة بين التطبيع مع إسرائيل وتفجيرات الأردن



عبد الكريم الكباريتي

على الثانية . وقد كان واضحا أن الجريمتين نفذتا بدقة وبحرفية عاليتين طرحتا تساؤلات حول دخول الاردن عالم الجريمة المنظمة . وهو أمر حرصت الحكومة الاردنية علي نفيه تماما عبر أكثر من طريقة.

وبرغم الأهمية القصوى التى أستأثرت بها أعمال التفجير وكذلك جرائم القتل الأخيرة، بما فى ذلك اهتمام **الملك حسين** شخصيا بها ، فإن المسألة لم تكن مسألة انفلات أمنى فى بلد كالأرن عرف دائما باستقراره علي هذا الصعيد. فلقد كان الجانب السياسى من الموضوع حاضرا علي الدوام فى الاردن، وهو بالتحديد كان وراء الاعلان الاستعراضى للقبض على المجموعة السلفية المذكورة.

وإن كانت الطريقة التى اتبعها أفراد المجموعة الأصولية فى التفجيرات بدائية فإن دلالتها الخطيرة تكمن فى أنها تأتى على خلفية العداء الاسرائيلى التي يجهد الاردن لاقامة علاقات طبيعية معها، وفى أنها حلقة فى سلسلة من أحداث العنف التى شهدها الاردن على خلفية علاقته بإسرائيل التى أقام معها معاهدة سلام فى العام ١٩٩٤ . فمنذ ذلك الحين والاردن يشهد حوادث عنف بدرجات مختلفة لكن لها قاسما مشتركا هو أنها موجهة نحو إسرائيل ، فمنذ ذلك الحين ومحاولات عبور نهر الأردن من جانب مسلحين أردنيين بهدف القيام بعمليات فدائية لم تتوقف ،ومنذ افتتاحها في الأردن تعرضت السفارة الاسرائيلية إلى أكثر من حادث إطلاق نار ،حتى وهى لا تزال فى طابق من فندق فخم فى غربى عمان.

وخلال العامين الأخيرين شهد الاردن عددا من أحداث العنف بلغت ذروتها من الجانب الاردنى باقدام الجندى **أحمد الدقامسة** على إطلاق النار على تلميذات اسرائيليات في منطقة الباقورة الاردنية التى كانت تحتلها اسرائيل حتى أعيدت إلى الأردن بعد تنفيذ معاهدة السلام الاردنية الاسرائيلية الموقعة بينهما فى العام ١٩٩٤ فقتل ثمانيا منهن . أما من الجانب الاسرائيلى فقد بلغت ذروتها بمحاولة جهاز الموساد الاسرائيلى اغتيال رئيس المكتب السياسى لحركة المقاومة الاسلامية(حماس) **خالد مشعل** في واحد من أهم شوارع عمان فى شهر سبتمبر من العام الماضى.

وخلال هذين العامين لم تكن الأمور هادئة تماما فسيارة رئيس جهاز المخابرات العامة السابق **محمد رسول الكيلانى** كانت تعرضت من قبل للحرق وذلك فى أعقاب اختياره رئيسا للجنة التحقيق فى قضية الجندى **أحمد الدقامسة** ، وتعرض أكثر من سائح إسرائيلي للطعن ، وتعرضت بعض حافلاتهم للرشق بالحجارة وتعرض حراس السفارة الاسرائيلية فى عمان لإطلاق النار. كما أن الطبيب الخاص **للملك حسين** الدكتور **يوسف القسوس** ورئيس الوزراء السابق **عبد الكريم الكباريتى** تعرضا لمحاولتى اغتيال فاشلتين.**وهكذا فالأمن لم يكن مستتبا بشكل مطلق ودائم منذ معاهدة السلام الاردنية الاسرائيلية وإن لم تكن كل المحاولات المشار إليها مرتبطة بعقدها.**

وإن كانت تفجيرات «**مجموعة الاصلاح والتحدى**» جاءت على خلفية سياسية فإن توقيتها أعطاها درجة إضافية من الخطورة . إذ جاءت فى وقت كانت فيه إسرائيل تعد لاقامة احتفال بالذكرى الخمسين لتأسيسها ، وفي الوقت نفسه كانت الأحزاب الأردنية المعارضة تعد لإحياء ذكرى النكبة الفلسطينية فى ١٥ مايو الماضى.

على هذه الخلفية يمكننا أن نفهم لماذا كان الإعلان بهذه الطريقة عن إلقاء القبض على المجموعة السلفية **لقد كانت تلك فرصة الحكومة لاعلان سياستها تجاه الاحتفالات التى كان كل من إسرائيل من جهة والمعارضة الاردنية من جهة أخرى يعدان لاقامتها فى ذكرى الخامس عشر من مايو .لذا لم يكن غريبا أن يعلن وزير الاعلام الاردنى بالوكالة ناصر اللوزى أن الاردن لا يوافق علي تفجير السيارات كطريق للاحتجاج فى ذكرى نكبة فلسطين.**

وفى النهاية أقامت السفارة الاسرائيلية حفلة أرادتها كبيرة فى ذكرى تأسيسها، لكن الحضور الرسمى كان متواضعا ، أما غير الرسمى فكان ضئيلا جدا.

،فى المقابل لم تسمح الحكومة للمعارضة بالخروج في مسيرة احتجاجية كانت تقدمت بطلب القيام بها فى الذكرى الأليمة. لذا فقد اقتصرت فعاليات المعارضة فى ذكرى اغتصاب فلسطين على تنفيذ برنامج احتفالى تضمن فعاليات ثقافية وفنية حمل اسم«**مهرجان عروبة فلسطين**» قامت به رابطة الكتاب الاردنيين بالتعاون مع الاتحاد العام للنقابات المهنية فى الاردن والذى تتقاسم السيطرة عليه القوى المعارضة الاسلامية والقومية واليسارية ، وإن رجحت فيه كفة الاسلاميين.



خالد مشعل بعد محاولة الاغتيال



أعباء على كاهل سوريا

رسالة دمشق

حسين العودات

أمام وجود قواعد عسكرية فى لبنان ورغم هذه السياسة المكشوفة والمفضوحة لا يتحرك معظم العرب لدعم الموقف اللبنانى والسورى فى هذا المجال،حتى ولو دعما «دبلوماسيا» مع أعضاء مجلس الأمن والأمين العام للأمم المتحدة ، بل ولا حتى دعما «إعلاميا» يذكر بعدم موافقة العرب علي مثل هذا المشروع الإسرائيلى الخبيث.

إذن، وكأن الصعوبات تتوالى على سورية من جنوبها الغربى (إسرائيل) وغربها (لبنان) وشمالها (تركيا) فضلا عن **اللامبالاة العربية، وإدارة الظهر للصراع الاستراتيجى مع إسرائيل، والبحث عن ليلى بمعزل عنه،** مما زاد أعباء سورية ، فى الوقت الذى ينوء فيه الاقتصاد السورى تحت أعباء وصعوبات غير قليلة. بعد أن توقفت مساعدات الدول العربية الخليجية إلى سورية تماما ، وتحولت إلى بعض القروض بتسهيلات . بل أن بعض هذه البلدان أصبحت تعزف عن استيراد المنتجات السورية ، سواء الزراعية منها (الخضار والفواكه) أم الصناعية(الصناعات النسيجية، والغذائية والتحويلية وغيرها) تحت حجج عدة معظمها غير حقيقى، فضلا عن تراجع مجالات عمل العمالة السورية فى هذه البلدان.

إن تدهور الأوضاع العربية، وترهل الموقف العربى،وفشل المساعى السورية لعقد مؤتمر قمة عربى تقع أعباؤها أول ما تقع على كاهل سورية، كما ترى الدبلوماسية السورية، وهذا ما يراه الشارع السورى أيضا «فضلا» عن المراقبين.

تركيا تحتل أراضى سورية منذ عام ١٩٣٦ ممثلة بمحافظة اسكندرون ، وتهدد فى الوقت نفسه بالاستيلاء على حقوق سورية والعراق بالمياه التى تنبع من أراضيها ، بل تمارس هذا الاستيلاء من خلال أربعة سدود بنتها على نهر الفرات بعضها لمشاريع الرى المحدثة وبعضها الآخر لإنتاج الكهرباء، يمولها البنك الدولى ،وبعض بنوك التمويل العربية (ويا للمفارقة).

فضلا عن أن **السياسة الأردنية تجاوزت كل خيال فى علاقاتها بإسرائيل** ،ليس فقط فى مجالات التكامل الاقتصادى (والتصنيع خاصة) حيث أقيمت منطقة صناعية مشتركة فى محافظة إربد على الحدود الجنوبية الغربية لسورية ، وستقام منطقة أخرى فى محافظة المفرق على حدود سورية الجنوبية مباشرة ، بل أيضا فى مجال التعاون المائى حيث تتعاون الأردن مع إسرائيل لإقامة سد مشترك لجمع مياه اليرموك الذى يصب فى نهر الأردن دون أن يمر بالآراضى التى تسيطر عليها إسرائيل منذ عام ١٩٤٨ ،خاصة وأن بعض المقترحات طرحت أن يقام السد على الأراضى السورية المحتلة عام ١٩٦٧ ،هذا فضلا عن التعاون فى مجالات عديدة منها ، أن **الملك حسين ،كما تتردد الشائعات هنا ، زار تونس ليشجع الحكومة التونسية على استئناف علاقاتها مع إسرائيل** ، ويحاول ترجيح كفتها مع الفلسطينيين ،وهذا ما تراه الحكومة السورية خطوات تشجع إسرائيل على استمرار احتلالها للأراضى السورية، مما يضعف الموقف السورى بشكل عام.

وفى لبنان ، تمارس السياسة الإسرائيلية ألاعيبها حول تنفيذ مضمون القرار **(٤٢٥)** القاضى ،بالانسحاب من لبنان، والذى اتخذه مجلس الأمن قبل عشرين عاما ،وتحاول أن يكون الانسحاب بمثابة اتفاق سلام، يفصل المسارين السورى واللبنانى أحدهما عن الآخر ، ويدخل عملاء إسرائيل من جيش لبنان الجنوبى فى الجيش اللبنانى ، ويفقد سورية بعداً «استراتيجياً» بمواجهة إسرائيل ويحرجها

كل من الحكومات العربية يغنى على ليلاه، أما الليلى العربية فلا أحد يكترث بها، هذه هى مشاعر السوريين الحالية، التى تعتبر أن كلا من الأنظمة السياسية العربية يبحث عن خلاصه بمعزل عن الآخر ، ودون أخذ القضية الأولى المشتركة وهى الصراع العربى الاسرائيلى بعين الاعتبار ،مما يوحى- بنظر السوريين-وكأن سورية وحدها هى الموكلة بمواجهة القضية القومية ، أو على الأقل بمواجهة صراعها مع إسرائيل دون معونة أى بلد عربى.

بل والأنكى من ذلك أن بعض الأنظمة العربية تمارس سياسات تزيد أعباء سورية بدلا من أن تخففها ،من خلال إقامة علاقات معلنة أو مستترة مع إسرائيل ،وممارسات معلنة أو غير معلنة ، مباشرة أو غير مباشرة من شأنها السير قدما فى تطبيع العلاقات متناسية أن إسرائيل ما زالت تحتل أرضا «سورية ولبنانية فضلا» عن الأراضى الفلسطينية ، وأن الصراع ما زال قائما ،والتعنت والصلف الاسرائيليان ازدادا أيام حكومة نتنياهو بما لا يقاس بأيام حكومة حزب العمل، وأن هذا التهاون والتعاون شجعا الرأى العام الاسرائيلى على التحول إلى مزيد من التطرف.

تلاحظ السياسة السورية، **التجاهل المتعمد من السياسة الأمريكية والاسرائيلية تجاه استئناف المفاوضات السورية-الاسرائيلية ،واللبنانية -الإسرائيلية** ، أى السكوت عن استمرار الاحتلال، والتمادى في تهميش الصراع ، وتنشيط إيجاد الشرط الموضوعى والواقعى لصالح إسرائيل ، وتجميد واقع الحال إلى أجل غير مسمى.

كما تلاحظ أن التحالف الاستراتيجى الإسرائيلى- التركى أصبح أمرا «واقعا» ، لم يعد يشجبه أحد، أو تحتج عليه دولة عربية أى أصبح سياسة مقبولة فى المنطقة ،مما شجعه على أن يتماسك ويزداد جراة ويصبح أكثر عمقا وشمولية ،**وهكذا أصبح تهديد سورية أو العداء لها أو مواضع عدم الاطمئنان فى جوارها يشمل شمالها التركى** ،حيث ما زالت



الدولة اليهودية والدور الروسى

القوميون الروس يقولون : «جورباتشوف» و«يلتسين» صهيونان ينفذان سياسات واشنطون

رسالة موسكو

أحمد الخميسى



تحت عنوان «**الدولة اليهودية الأولى خرجت من المعطف الروسى**» تكتب صحيفة **كمسمولسكايا** برافدا فى ١٣ مايو ٩٨ أن : «**اسرائيل التى كانت تقدم إلينا باعتبارها معقل الصهيونية وعدوة البشرية التقدمية صارت الآن تقدم الينا بصفتها «أفضل صديق ..» أما تذكيرنا بأن كل خامس شخص فى إسرائيل من عندنا فهو أمر غريب ،لأن أولئك الذين من عندنا «أصبحوا يعيشون فى دولة أخرى فى إسرائيل ويدافعون عن مصالحها وليس عن المصالح الروسية»**.

وفى هذا المقتطف -أكثر من غيره- طرحت بكل تعقداتها قضية مدى مسئولية الاتحاد السوفيتى التاريخية ومن بعده روسيا عن إنشاء هذا المشروع الاستعمارى الاستثمارى الذى شاركت فيه بحصص مختلفة بريطانيا وأمريكا.

وتضيف الصحيفة: «ويكفى أن نتذكر أنه بعد إنشاء الدولة وفى أول جلسة للكنيست الاسرائيلى احتار النواب فى الحديث باللغة العبرية أم الروسية» وبداية فإن وصف «الروس» الذى يطلق على المهاجرين يخالف الدقة إلى حد ما لأن عدداً منهم هاجر من أوروبا الشرقية: بولندا والمجر وغيرها، وعددا آخر من موجة الهجرة الأخيرة- ما بين ٩١- ١٩٩٨ هاجر من دول الاتحاد السوفيتى السابق وروسيا من ضمنها . **ولكن الحديث عن جميع المهاجرين باعتبارهم «الروس» هو صفة لحجم الدور السياسى الذى كان يمكن لروسيا أن تقوم به فى منع الهجرة أو السماح بها.**

وقد ظهر اليهود تاريخيا فى روسيا فى أوائل القرنين التاسع والعاشر الميلاديين ، وظهروا فى القوقاز مبكرا فى القرون الأولى الميلادية . وكانت روسيا ودول شرق أوروبا مراكز تجمعات تاريخية لهم. لكن علاقتهم بالاتحاد السوفيتى وبروسيا بالذات مرت بمراحل معقدة من العداوة الصريحة إلى الصلح الشكلى انتهاء بالتطبيع الرسمى الفاتر فى علاقة خاصة لم يعرفها بلد أوروبى آخر باستثناء ألمانيا.

ولكن المنطقة العربية وجدت نفسها فى ختام رحلة العلاقات الروسية- اليهودية أمام مفارقة غريبة : فقد تحولت روسيا من قوة كان شهداؤها يتساقطون معنا فى الحروب ضد إسرائيل إلى قوة يتساقط فيها القتلى الروس مع إسرائيل ضدنا . بعد أن تشكلت داخل إسرائيل «دولة من مليون مهاجر من أراضى الاتحاد السوفيتى السابق »مما أدى على حد تصريح لوزير الاستيعاب الاسرائيلى **يولى ادلشتاين** إلى : «تغيير الوضع الديموجرافى وارغام الفلسطينيين على الجلوس معنا إلى مائدة المفاوضات» .

وتقول «**آلا ليفى**» مديرة وكالة سحنوت للهجرة فى روسيا إن أولئك المهاجرين هم الذين «**يصنعون الآن إسرائيل الجديدة**» .

وكان نقل جثمان أحد اليهود الروس الذى قتل فى جنوب لبنان لدفنه بمسقط رأسه فى روسيا دليلا على حيوية الدماء الجديدة التى ضخت من الاتحاد السوفيتى إلى إسرائيل **وتطلعها للمشاركة فى «صنع إسرائيل» تحت حماية السلاح الأمريكى.**

ولعل القضية الأولى التى تطرحها الهجرة «الروسية» هى« كيف لم يستطع الاتحاد السوفيتى والتجربة الاشتراكية استيعاب هؤلاء اليهود؟ وكيف فشلت التجربة فى منحهم شعور المواطنة بحيث أنهم يثبون بكامل مشاعرهم العدوانية بعد خمسين عاما إلى فلسطين . ذلك لأن قرارات «منع الهجرة» أو «السماح بها » ليست حلا لأية مشكلة ، ناهيك عن تعارضها مع حقوق الإنسان الأولى التى لا يمكن قمعها بالمراسيم .**فالسؤال هو: كيف ظل المواطن السوفيتى «يهوديا » بعد نصف قرن من الاشتراكية؟.**

لقد شهدت روسيا- قبل ثورة البلاشفة -تاريخا من الصراع الروسى اليهودى ما زال مستمرا إلى يومنا هذا ،**وهو تاريخ لا يخلو من المذابح التى نظمها الروس الذين عانوا من أقلية عاشت بينهم تحترف مهنة الربا** فى الداخل بينما ظل ولاؤها دائما يتأرجح فى اتجاه بوصلة رؤوس الأموال العالمية فى الخارج . ولم تخفت هذه العداوة -لأسباب كثيرة اليهود هم المسئولون عن أغلبها -إلى يومنا هذا الذى يمكن للانسان فيه إذا تجول فى شوارع موسكو أن يرى على الجدران شعارات خطها الشباب الروسى من نوع:

«**اضرب اليهود لكى تنقذ روسيا**» .

وكان الموقف النظرى والرسمى للاتحاد السوفيتى من إسرائيل إحدى المرآيا الحساسة التى عكست رحلة التحولات من الثورة إلى الدولة ومن المبادئ إلى المصالح .وفى المؤتمر الثانى للكومنترن **(الأممية الشيوعية)** الذى عقد فى أغسطس ١٩٢٠ تم نقاش المسودة الأولى «لقضايا المسألة القومية والمستعمرات التى أعدها **لينين** شخصيا فى يونيه ١٩٢٠ ، ونوقشت الوثيقة تحت إشراف **لينين** ، **وطرحت ضرورة فضح النظرية الصهيونية ومحاولات تجسيدها الرامية لتأسيس دولة يهودية فى** فلسطين. وأشارت مندوبة المؤتمر **فرومكينا** إلى أن :«السكان اليهود فى فلسطين لا يشكلون أغلبية ، بل أقلية تسعى إلى اخضاع الجماهير التى تشكل الأغلبية لغير دول الوفاق .. **ويجب على الأممية الشيوعية أن تكافح هذه الحركة بأشد ما يمكن من الحزم».**

وفى ٢٨ يوليه ١٩٢٠ أقر الكومنترن الثانى الموضوعات اللينينية حول المسألة القومية وجاء فى قراره: «**والدليل الواضح على خداع جماهير الأمم المضطهدة .. يتجلى فى عملية الصهاينة بشأن فلسطين، وفى الصهيونية** عموما التى تقدم السكان العرب الكادحين قربانا إلى الاستغلال البريطانى بحجة تأسيس دولة يهودية فى فلسطين.

وكان موقف **لينين** واضحا بالنسبة لليهود كأقلية يجب أن تذوب فى المجتمعات التى تعيش فيها، وكان موقفه واضحا عندما كتب أن أية دراسة علمية لقضية اليهود «تنفى **تماما إمكانية الحديث عن الخصائص القومية** لليهود» مؤكدا أن المقصود ليس« إقامة وطن يهودى» **بل تأسيس دولة صهيونية فى قلب العالم العربى على أساس استغلال الشعوب العربية .**

لكن ستالين الذى أجل اعترافه بإسرائيل لمدة ثلاثة أيام بعد ظهورها اتخذ قراره بالاعتراف بإسرائيل ليس انطلاقا من«حق الأمم فى تقرير مصيرها» بل إنطلاقا من حق الدول الكبرى فى الصراع على مناطق النفوذ.

وربما عقد ستالين آمالا على الدولة اليهودية لاعتقاده بأنها قد تصلح ركيزة للوجود السوفيتى «الاشتراكى» ، وهو اعتقاد شجعه أن أول رئيس لاسرائيل وهو **وايزمان** كان من المهاجرين الروس، وكان **مناحم بيجن** مهاجرا من بريست الواقعة على الحدود بين بيلاروسيا وليتفا ،وكان **بن جوريون** مهاجرا من بولندا ، **وجولدا مائير** من كييف .

ولعبت الرطانة الاشتراكية التى لجأت إليها الصهيونية دورا فى خلق تلك الأوهام لدى ستالين، وهى رطانة تعمدتها الصهيونية مبكرا منذ أن حاول **أ. كون** ممثل «بوالى -تسيون» المشاركة فى الكومنترن الثانى ، فلما رفض الكومنترن منحه حق الحضور لأن« بوالى -تسيون» «حزب قومى متطرف ، لجأ «**أ. كون**» للحضور بصفته ممثل الحزب الاشتراكى الفلسطينى !.

وفى خطابه حاول البرهنة على أن نضال الشعوب العربية نضال دينى لا يستهدف الامبريالية ، لكن أهداف الصهيونية على حد قوله ستقضى لتكوين بروليتاريا صناعية وزراعية يهودية تتزعم فيما بعد نضال الفلاحين العرب ضد الامبرياليين ، وأثار خطابه استياء دفع المؤتمر لحرمانه من حق مواصلة الحديث.

لكن تلك الرطانة التى استمرت طويلا جعلت **ستالين** يتصور خطأ أن الدولة اليهودية قد تكون قاعدة للاشتراكية . وكان الدافع الأول لدى ستالين هو«**عدم ترك المنطقة حكرا على الامبريالية**»ولكن الدولة التى أنشئت دقت اسفينا إلى الأبد بين السوفيت واليهود ، لأن ظهورها شد فيهم إلى الأبد تطلعا نحوها وشعورا باطنيا بالانتماء إليها بدلا من التعايش مع الشعوب السوفيتية . **وكان السوفييت يدركون أن الصهيونية إحدى أخطر الأوراق التى هددت الوجود السوفيتى منذ البدايات عندما اتخذت اللجنة المركزية لمنظمة «تسيرى -تسيون» الصهيونية الروسية قرارها فى ٢٦ أكتوبر ١٩١٧ بأن ثورة أكتوبر : « تطاول اجرامى على حقوق الشعب».**



«إن أية دراسة علمية لقضية اليهود تنفى امكانية الحديث عن الخصائص القومية لليهود..

.. إن المقصود ليس اقامة وطن يهودى بل تأسيس دولة صهيونية فى قلب العالم العربى على أساس استغلال الشعوب العربية»

لينين

وبعد موت **ستالين** ووصول **خروتشوف** إلى الحكم عام ١٩٥٣ عرف الاتحاد السوفيتي مرحلة ذوبان الثلوج. **وللمرة الأولى توجه فريق كرة القدم السوفيتي إلى إسرائيل** وسجل هدفين لصالحه مقابل هدف واحد، لكن ذلك الجول الوحيد الذي سجلته إسرائيل أسعدها إلى حد الذهول وكأنه انتصار، فقد **أدركت تل أبيب أن أبواب العلاقات الموصدة في القلعة الضخمة تنفتح رغم صرير المزاليج البطئ.** واستمر الموقف السوفيتي من إسرائيل واضحا بدرجات مختلفة، واستمر في جمعه في ضفيرة واحدة بين المبادئ الحقيقية ومصالح الدولة الكبرى. ولم تغير موسكو موقفها حتى آخر تقرير قدمه **ليونيد بريجنيف** للمؤتمر ٢٦ للحزب السوفيتي في فبراير ١٩٨١ والذى أدان فيه: «**مسلك أمريكا الذى يستهدف العالم العربى. وطرح بريجنيف** المبادئ الثلاثة للموقف السوفيتي:

-انسحاب اسرائيل من كافة الأراضى المحتلة بعد ١٩٦٧.

- حق الشعب العربى الفلسطينى فى إقامة دولته المستقلة.

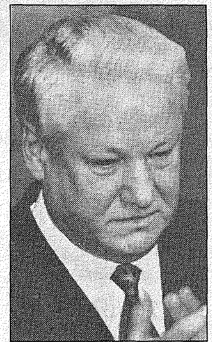
-حق اسرائيل فى الوجود الشرعى.

وشهد عصر **بريجنيف** المزاوجة بين رفض الصهيونية كنظرية والقبول بثمارها الكريهة القائمة فى شكل دولة للصهيونية، وعلى امتداد عمره كان الموقف السوفيتي يتشدد ويتراخى بقدر نجاح السياسة السوفيتية أو إخفاقها على صعيد الوفاق الدولى.

وفى عام ١٩٦٥ سمح الاتحاد السوفيتى لمئات من اليهود بالهجرة إلى إسرائيل فى إطار برنامج انسانى «للم شمل العائلات» ومع ظهور البيرسترويكا صاغ **جورباتشوف** التحول الحاسم حين كتب يقول عن التصور السوفيتى لحل أزمة الصراع العربى الاسرائيلى «**إننا لا نريد لعملية التسوية أو أهدافها أن تشكل مساسا بمصالح الغرب أو الولايات المتحدة**».

وفى ١٧ يناير ١٩٩١ نشرت صحيفة **سوفيتسكايا** روسيا وثيقة بشأن الاتفاق بين **جورباتشوف** والرئيس **جورج بوش** فى قمة مالطا عام ١٩٨٩ التى اتفق فيها الطرفان **على فتح حدود الاتحاد السوفيتى للهجرة اليهودية بإشراف اسرائيل والمنظمات التابعة لها**؛ ولم تجد مهانة ذلك التحول تعبيرا عنها أقوى من وقوف **جورباتشوف** فيما بعد عند المبكى فى إسرائيل ليعفر رأسه المغطى بطاقية اليهود فى المذلة.

وبدءا من قمة مالطا وعام ١٩٨٩ نشطت بقوة كافة المنظمات الصهيونية فى روسيا



يلتسين

وتأسس فى نفس السنة «**اتحاد المنظمات اليهودية فى روسيا**»، وانشئ عام ١٩٩٣ «**المؤتمر اليهودى الروسى**»، **وساعد استئناف العلاقات الدبلوماسية عام ١٩٩١ بعد ٢٤ عاما على تقوية شعور المنظمات الصهيونية بالثقة** فى نفسها. ثم قامت روسيا بالتصويت على اسقاط قرار الأمم المتحدة الصادر فى نوفمبر ١٩٧٥ باعتبار الصهيونية شكلا من أشكال العنصرية، وامتنعت فى يوليه ١٩٩٧ لأول مرة فى تاريخ الصراع عن **التصويت مع قرار بإدانة سياسة المستوطنات فى مواجهة ١٣١** دولة بالأمم المتحدة مع قرار الإدانة.

وفى مقابل التطبيع الرسمى الفاتر الذى فتح الابواب لعلاقات عسكرية واقتصادية اشتد على نحو غير مسبوق العداء الشعبى **لاسرائيل واليهود بين الشعب الروسى. وظهرت حوالى خمسين منظمة روسية قومية** تصدر ثلاثمائة مطبوعة شهرية توزع بملايين النسخ تشهر فيها بكراهية الشعب الروسى لليهود وللنخبة اليهودية التى سيطرت على الاعلام وبدأت فى قضم حواف السلطة داخل الكرملين نفسه. وتصدر فى الوقت نفسه مئات الكتب المعادية للصهيونية وتتهم كل تلك الكتب الصهيونية بمحاولة تدمير روسيا وإخضاع شعبها معتبرة أن **جورباتشوف ويلتسين صهيونيان ينفذان سياسات واشنطون.**

ويتخذ ذلك السخط أشكالا عنيفة بتدمير دور العبادة اليهودية فى موسكو ومدن أخرى، وفى بطرسبورج قام الشباب فى أبريل ١٩٩٤ بإزالة ١٨٥ شاهدا من على قبور يهودية وهو ما يحدث فى مدن كورسك، وتامبوف، وساراتوف وغيرها. وقام مجهولون مؤخرا بتفجير المركز الثقافى اليهودى فى ياريسلاف. وظهر تنظيم يسمى «الاتحاد القومى الروسى» الذى يؤلف فرقا مسلحة معادية لليهود وتنتشر فروعه فى ثلاث وخمسين مدينة روسية.

وقد حاولت السلطات قمع تلك الظاهرة من أعلى كما حدث عندما أصدر الرئيس **يلتسين** مرسوما فى ٢٣ مارس ١٩٩٥ بالاجراءات اللازمة للتصدى لمظاهر الفاشية وأشكال التطرف الاخرى السياسية، لكن ذلك لا يحل شيئا، **وما زال دخان الصراع عالقا فى الهواء يطرح التساؤلات بشأن مستقبل اليهود فى روسيا، ومستقبل الدولة التى أقيمت كمشروع عسكرى استثمارى قهرا وظلما وعدوانا.**

ولقد وصف الكاتب «**يزهار سميلانسكى**» ابن الكاتب اليهودى الأوكرانى **موشى سميلانسكى** كيف شارك فى إبادة قرية فلسطينية عام ١٩٤٨ وتساءل على لسان الجندى اليهودى بطل رواية «**خربة خزعة**»: «سوف ننشئ هنا مركزا ثقافيا وكنيسا وسيكون هنا احزاب يتجادلون على أشياء كثيرة يحرثون حقولا يزرعون يحصدون وستصبح القرية عبرية. **من الذى سيطرأ على ذهنه ذات يوم أننا طردنا أهلها وورثناها، وأننا جئنا أطلقنا النار حرقنا نسفنا ركلنا دفعنا هجرنا؟.** أحقا إن جدران هذه القرية سوف لن تصرخ فى آذان أولئك الذين سيسكنونها؟ أحقا أن كل تلك المشاهد والصرخات التى صرخت والتى لم تصرخ.. إذعان الضعفاء وبطولتهم، البطولة الوحيدة للضعفاء الذين لا يعرفون ما سيفعلون.. الضعفاء -المخروسون- أحقا أنها لن تملأ الهواء هنا بفيض من الأشباح والأصوات والنظرات؟.

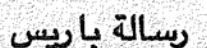
وما زال ذلك الفيض من الاشباح والأصوات والنظرات يملأ الهواء بعد نصف قرن من تأسيس المشروع الاستعمارى فى المنطقة. وهو فيض يتوالد ولا يكاد يغيب حتى يرثه هواء آخر يسرى به ربما حتى:

«**يعود الوجود لدورته الدائرة:**
النجوم.. لميقاتها
والطيور.. لأصواتها
والرمال.. لذراتها.
والقتيل لطفلته الناظرة».



من أجل يســـار

على يسار اليسار



رسالة باريس



بيار بورديو





جوسبان

خمسة عشر يوما بعد الجمعة الاسود الذى تلى انتخابات رؤساء المجالس الاقليمية ،تتابع أمام فراش «الجمهورية» المريضة الناصحون من كل لون . بالنسبة لاحدهم **فإن تغييرا فى النظام الانتخابى هو وحده الكفيل بأن تستعيد الديمقراطية ألوانها الجميلة المعتدلة** . وبالنسبة لاخر ، وهو وزير سابق واستراتيجى ،**فإن غياب «الوسط» هو الذى ادى بالدولة إلى أن تتحول إلى سفينة تتأرجح من اليمين إلى اليسار، ومن اليسار إلى اليمين إلى حد خطر السقوط فى اليمين المتطرف.**

أما أعلى شخصيات الدولة، ففى دور الأب النبيل الذى يبدو واسعا بعض الشئ عليه، ها هو يتعامل مع الأحزاب وكأنهم مجموعة صبية مثيرين للضجة وقد وعد بتغيير القواعد حتى يمكن أن تستأنف اللعبة بعيدا عن حليقى الرؤوس . ومرشح سابق للرئاسة ،وقد أصابته حالة متأخرة من البصيرة، يتساءل ما إذا كان الناخبون قد ملوا من رؤية نفس الرواية على مدى ثلاثين عاما. وخبراء نتائج الانتخابات يقدرون معدلات التصويت بدقة متناهية للتحالفات الجديدة. أما رؤساء الأقاليم الثلاثة الذين انتخبوا بفضل اصوات اليمين المتطرف ، فها هم على شاشة التلفزيون يقولون انهم لم يقتربوا من الجبهة الوطنية المتطرفة إلا ليسهل عليهم القضاء عليها.

كان هذا هو العرض الحزين الذى قدمته نخبتنا «السياسية-الاعلامية» وجاءت الاجابة الجديدة التى يزعمون انهم قد وجدوها فى مواجهة فاشية جزء فى الطبقة السياسية وفى المجتمع الفرنسى ،جاءت على صورتهم، أى سطحية . فها هم يختصرون حلقة الأسئلة الحرجة إلى السؤال الاعتيادى لمن يؤهل نفسه لانتخابات قادمة :كيف لا نخسر الانتخابات الأوروبية؟كيف يمكن أن نستعد لانتخابات تشريعية جديدة فى حالة حل البرلمان؟ إلى أى حزب سياسى جديد يستحسن الانضمام؟ كيف يمكن الاستحواذ مرة أخرى على أصوات، ناخبى اليمين التى تاهت وتبعثرت ؟ .. الخ .فهذا هو مفهوم السياسة الذى كان ولسنوات عديدة الحليف الأهم للجبهة الوطنية. مفهوم أداتى وقاصر ، يلتفت إلى مصالح المنتخبين بدلا من مشكلات الناخبين ، لا يقدم حلولا إلا تعديل قواعد اللعبة الانتخابية والاعلامية.

الأسئلة الحقيقية هى ذات ابعاد أخرى: **لماذا ،فى أقل فى عام كسر اليسار «المتعدد» ديناميكية انتصاره خاصة وأنه لا يفتقد إلى مؤشرات اقتصادية ايجابية تلعب لصالحه؟ لماذا اثار خيبة الأمل؟**

لماذا على سبيل المثال هذه النسب العالية فى التصويت لصالح التنظيمات التى تقول عن نفسها انها خارج اللعبة السياسية؟.

ولماذا تتشدد مواقف جزء من اليمين بينما هى فى حقيقة الأمر فى الحكم من خلال «يسار» يحقق لها كل أحلامها؟.

بميوله المتطرفة ، فإن اليمين يلعب نفس المباراة التى خسرها من قبل الوسط واليمين الالمانى فى بدايات الثلاثينات. فالدولة تثير حالة من عدم المبالاة كثيفة لدى ناخبى الجمهورية. فمن الطبيعى الا يذهب احد للتصويت حتى يتمكن البعض من اقتسام الغنائم ،ومن اخماد الفضائح،وفى بيع القطاع العام لمن يدفع أكثر ، ولكى تكون أمورنا فى أيدى بيروقراطية متحجرة ومتباعدة قومية وعالمية . بانفجاره الداخلى، فإن اليمين الفرنسى يعود إلى الأصول المضطربة للحكم الذى اسسه . عندما لا يعود المحافظون يعرفون على وجه التحديد ما يريدون الحفاظ عليه ،فهم يصبحون مستعدين لكل الثورات الاكثر رجعية .**إن استمرارية النجاح الانتخابى لحزب مثل الجبهة الوطنية ، الذى اذا طبق برنامجه لكان أول ضحاياه هم ناخبوه الأكثر فقرا ،لا تعبر فى العادة الا عن الابتعاد عن مسئولين سياسيين لم يعودوا يسمعون أو يرون آلام الطبقات الشعبية.**

إن **ممثلى اليسار المتعدد** أو من يقدمون انفسهم على أنهم كذلك قد خيبوا أمل ناخبى اليسار، ولم يعودوا قادرين على تحريك المتعاطفين معهم ، وهم يرسلون بذلك هؤلاء إلى اليسار المتطرف الأكثر فقدانا للصبر. ولم يعد من المثير للدهشة على الاطلاق ، أن

ترجمة: نجلاء العمرى



فى كل مرة حاول اليسار تطبيق سياسة أعدائه انتهى به الأمر إلى .. كارثة

يكون أول من يحتج هم أول من اصابتهم «الديماجوجية المتعددة» ليسار هو فى حقيقة امره واحد وغير متعدد أى المهاجرون دون أوراق العاطلون عن العمل ومدرسو المدارس.

إن تعديلا انتخابيا لن يكون كافيا لتهدئة المطالب التى يتعامل معها الوزراء بتعال وكأنهم يمنون علي الشعب بقراراتهم . وتكاد ممارساتهم تتطابق مع ممارسات سابقيهم.

إن **اليسار الرسمى** يواجه صعوبة حقيقية فى التخلص من التراث الثقيل لمرحلة **فرانسوا ميتران** . وهو يثير الضجر لدى المخلصين له دون أن يكون لديه القدرة على نزع أقل اعتراف من جانب اعدائه. **«وهو يستفيد مرحليا من الضعف المتناهى لاعدائه دون أن يقدم بديلا إلا سياسة «يوم بعد يوم» التى لا تغير الشئ الكثير فى الحياة اليومية للقطاع الأكبر من المواطنين.**

ويوم الحساب، وقد يكون أقرب بكثير مما يتخيل ، ماذا يمكنه أن يرفع من شعارات تحرك أولئك الممتنعين عن التصويت أو أولئك الذين يصوتون للجبهة الوطنية؟ هل هي شعارات وظائف للشباب من أجل البعض، و٣٥ ساعة للعمل ، واصلاح للتعليم تحول إلى عرض وزارى أمام وسائل الاعلام ، أم هو الاسراع إلى نموذج أوروبا الذى يريده أصحاب البنوك ؟ هل يعتقد أنه بالامكان التغاضى طويلا عن مطلب أوروبا اجتماعية مع هذا اليسار المتعدد الأوروبى الذى تمثله الترويكا الليبرالية الجديدة المكونة فى **بلير وجوسبان وشرودار؟.**

إن يسار القاعدة يعتقد دائما فى **جمهورية اجتماعية وحان الوقت لكى ينبه رباعى «اليسار المتعدد» الحاكم إلى أن اليسار قد انتهى إلى كارثة في كل مرة أراد فيها تطبيق سياسة أدائه وفى كل مرة تعامل فيها مع ناخبيه على أنهم اغبياء فاقدى الذاكرة.**

إن الاجابات الحقيقية على الفاشية الزاحفة لا يمكن أن تأتى الا فى الحركات الاجتماعية النامية منذ ديسمبر ١٩٩٥ .على شريطة أن نعرف كيف نستمع إليها وكيف نعبر عنها بدلا من التشهير بها وتوجيه اللكمات إليها من خلال أولئك «المخلصين» فى جهاز الدولة . فهى وحدها التي تقترح بالفعل آفاقاً سياسية وتقدم فى بعض الأحيان مشاريع وبرامج متكاملة.

إن الضغط فى بعض المناطق التى يسيطر عليها اليسار قد أسهم فى إعادة الحكمة إلى اليمين . فالمظاهرات ضد الجبهة الوطنية لدليل على إمكانيات نضالية لا تطلب إلا أن تدافع



تونى بلير



فرانسوا ميتران

عن قضايا أكثر طموحا من مجرد رفض الفاشية. **فالحركة من أجل تجديد الخدمات العامة خاصة فى مجال التعليم كما شهدته إضرابات المدرسين هى على النقيض فى التمسك بمؤسسات عفا عليها الزمن . وهى تؤكد على ضرورة ايجاد خدمات عامة أكثر فاعلية وأكثر عدالة فى آليتها وفى نتائجها.**

أما حركة **«المهاجرون دون أوراق»** فهى مقاومة جماعية فى مواجهة سياسة تحت إدعاء محاربة الجبهة الوطنية لا تفعل إلا أن تطبق افكارها .**وحركة العاطلين عن العمل فهى تبدو وكأنها «كفاح بلا نهاية» فهو لا يفتأ** يتجدد ضد التأثيرات المدمرة لحالة الهشاشة الجماعية . **والحركات الأخيرة المطالبة بفرض الضريبة على حركة رؤوس الأموال دليل على تصاعد المقاومة ضد الليبرالية الجديدة التى هى بطبيعتها دولية.**

هذه القوى التى يتهمها أساتذتنا المتخصصون فى التضليل بأنها مضللة من الخارج لا تزال أقلية ولكنها مع ذلك متأصلة فى فرنسا وفى عدد آخر من الدول الاوروبية، متأصلة فى شكل ممارسات **جماعات نضالية ، وجماعات نقابية وجماعات تنتمى إلى العمل العام كالجمعيات.**وهذه القوى هى التى تستطيع من خلال تدويلها أن تبدأ فى **التصدى بصورة عملية لما يسمى مجتمعية قوانين السوق الاقتصادية وان تجعل العالم أكثر إنسانية . إن افق الحركة الاجتماعية هو تدويل المقاومة فى مواجهة الليبرالية الجديدة وكل أشكال التحفظ.**



أمريكا : " بلطجى " دولـــى يحمل هــراوات نوويـــة

* العقوبات الاقتصادية تحولت فى الاستراتيجية الأمريكية إلـى واحـد مـن أخطـر أسـلحة التدمـير الشـامـل .

* أمريكـا أكثر دول العالـم خروجا على القوانين الدولية .. تنصب نفســـها لأداء دور الشــرطـى العـالمـــى !

رسالة واشنطون

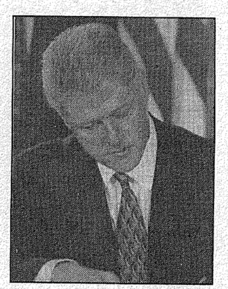
سمير كرم

فى أوائل عام ١٩٩٢ عندما كان الكونجرس الأمريكى يناقش الميزانية العسكرية الأمريكية الأولى لحقبة مابعد نهاية الحرب الباردة . تمحورت المناقشة .. خاصة فى أكثر جوانبها سرية والتى لم تبق سرية طويلا - حول وثيقة استراتيجية ل **"البنتاجون"** بعنوان" **دليل التخطيط الدفاعى لمجموعة من السيناريوهات"** . قصد بهذا الدليل أن يستخدمه المخططون العسكريون فى" **البنتاجون"** فى عملهم عند تحديد مستويات الصراع المتوقعة مستقبلا . كان هذا الدليل بمثابة ملحق لدليل أوسع نطاقا يصدره سنويا وزير الدفاع .. تحت عنوان **"دليل التخطيط الدفاعى"** . والجديد فيه هو إضافة مجموعة محددة من السيناريوهات التى " تصور أكثر مما تتنبأ" بالصراعات التى يحتمل أن تخوضها القوات الأمريكية فى المستقبل ، حسب ماقاله القادة الذين شاركوا فى عرضه على لجان الكونجرس المختلفة.

تضمنت مجموعة السيناريوهات سبع مواجهات افتراضية ممكنة كان أولها وأبرزها "تكرار غزو العراق للكويت ، وتلاه غزو كوريا الشمالية لكوريا الجنوبية ، ووقوع انقلاب (معاد لأمريكا) فى بنما ، انقلاب فى الفلبين غزو روسى لإحدى بلدان البلطيق (التى كانت تابعة للاتحاد السوفيتى من قبل) وأخيرا ظهور قوة عظمى جديدة على غرار الاتحاد السوفيتى.

استخدم الدليل المذكور تعبير **"الدول المارقة"** عند وصف الاحتمالات أو السيناريوهات الثلاثة الأولى . وقتها لم يثر الأمر فضولا كبيرا فى الكونجرس أو فى الأوساط المعنية بالاستراتيجية الأمريكية ، ولم يثر اعتراضات . فقد بدا أن مخططى البنتاجون إنما أعادوا صياغة نظريتهم القديمة عن" **الصراعات ذات الشدة المنخفضة** " فى صورة جديدة .. أتت على التصورات القائلة بأن صراعات أمريكا العسكرية القادمة ستكون مع دول صغيرة تملك أو تسعى لامتلاك أسلحة نووية أو غيرها من أسلحة التدمير الشامل.

ولم يفت معظم المعنيين بالشئون الاستراتيجية والميزانية العسكرية فى "البنتاجون" - أن مبدأ أو مذهب **"الدول المارقة"** هو نفسه - إنما بتسمية جديدة - ماسبق أن صاغه **البنتاجون** فى عام ١٩٨٤ فى عهد **رونالد ريجان** عندما تحول الاهتمام فجأة من " **المنظمات الارهابية"** والتى كانت فى ذلك الوقت قد وجهت ضربات موجعة إلى الأمريكيين والمصالح الأمريكية فى الخارج ، إلى التركيز على **الدول الارهابية** التى تساعد الارهاب " بهدف هز ثقة الغرب بنفسه وبقيادة


كلينتون يوقع قرار العقوبات

الولايات المتحدة وتقويض قدرته على مقاومة العدوان"

وهكذا أصبح واضحاً أنه ، وإن كانت السيناريوهات السبعة للمواجهات المستقبلية التى تتوقعها أمريكا لم تذكر دولا محددة -بخلاف العراق وكوريا وروسيا - إلا أن استخدام الدليل الدفاعى الأمريكى مصطلح "الدول المارقة" فهم تماما أنه يعنى أيضا إيران وسوريا وليبيا وكوبا . إنما تحدد المصطلح نفسه أكثر بأنه يشير إلى" دول تحكمها نظم خارجة على القانون . ومسلحة أو تتهيأ

للتسلح بأسلحة كيماوية أو بيولوجية أو نووية".

وعلى الرغم من أن مذهب "**الدول المارقة**" فى الاستراتيجية الأمريكية وضع قبل وصول**بيل كلينتون** إلى الرئاسة ، ودخل المصطلح رسميا فى وثائق "**البنتاجون**" وبعد ذلك فى وثائق وزارة الخارجية الأمريكية قبل أن يصل كلينتون إلى البيت الأبيض .. إلا أن إخلاص الرئيس الأمريكى الحالى له جعله يسمى"**مبدأ كلينتون**" فى الأوساط المناهضة للاستراتيجيات العدوانية الأمريكية القائمة على استخدام القوة بتبريرات من هذا القبيل . ومنها على سبيل المثال " مركز المعلومات الدفاعية" ، الذى سارع إلى نشر تقرير فى العام التالى (أول أعوام رئاسة **كلنتون**) يقارن فيه بين قوة أمريكا العسكرية وقوات "الدول المارقة" المذكورة مجتمعة . وهو بطبيعة الحال يكشف أن أمريكا تملك تفوقا عسكريا هائلاً.

على أى الأحوال فقد حقق مذهب " الدول المارقة" الغرض الأساسى منه فى عام ١٩٩٢ بالحصول على موافقة مجلس الكونجرس على اعتمادات أول ميزانية عسكرية لحقبة مابعد سقوط الاتحاد السوفيتى دون أى خفض يذكر .. وهو لايزال حتى الآن يحقق هذا الغرض نفسه كل عام . **والآن أصبح مذهب" الدول المارقة" هو أساس العقيدة العسكرية الاستراتيجية للولايات المتحدة ، يحدد صراعاتها المستقبلية ومداها وطريقة خوضها والأسلحة التى ستستخدمها فيها . والأهداف التى سترمى إلى تحقيقها .**

ويستحق المصطلح نفسه وقفة قصيرة على الجانب اللغوى .. لفهم المعنى المقصود بعيدا عن التعريف الاستراتيجى الذى ذكرناه.

فالأدبيات العسكرية والسياسية الأمريكية تستخدم تعبير **ROGUE** وهو تعبير يحمل معانى قاموسية محددة : اتباع الباطل وانعدام المبدأ والاستعداد للقيام بأعمال من جانب واحد . ومن الواضح أن استخدام هذا اللفظ بالتحديد مقصود ، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن ترويجه من جانب مخططى "**البنتاجون**" جاء بعد شهور معدودة من " **عاصفة الصحراء**" .. أى من الصدام العسكرى مع **صدام حسين** والنظام العراقى بعد غزو الكويت.

والمعانى القاموسية المحددة لهذا التعبير كانت قد استقرت فى أذهان الأمريكيين والغربيين عموما عن **صدام حسين** ، سواء من خلال سلوكه الداخلى والخارجى (حتى حينما كان صديقا للأمريكيين وللبنتاجون بوجه خاص فى حقبة الحرب ضد إيران) أو من خلال الدعاية الجارفة التى رافقت توجيه الضربات العسكرية إليه .. وبعد ذلك ، وإلى الآن . وهذا كله فضلا عن الجوانب الاستراتيجية للتعبير : فهو استخدم أسلحة التدمير الشامل(الكيماوية بالتحديد فى حلبجا) وهو متهم بالسعى لامتلاك أسلحة بيولوجية ونووية وهو بغزوه الكويت قد أكد أنه " خارج على القانون".

والآن بعد ٨ سنوات من غزو العراق الكويت وبعد ٧ سنوات من وقوع عاصفة الصحراء وعاصفة العقوبات التى لاتزال تهب عاتية على العراقيين يتضح بجلاء أن المعانى التى يحملها تعبير " الدولة المارقة" ينطبق على الولايات المتحدة .. كما تنطبق عليها مواصفاته الاستراتيجية.

خلال السنوات السبع الماضية أصبحت الولايات المتحدة بصورة لايمكن أن تخطئها العين أو يغيب عنها الفهم دولة مارقة .. بل هى الآن الدولة المارقة الأعظم . الدولة الأكثر مروقا . الأكثر خروجا على القانون الدولى . الأكثر استعدادا لاظهار عوامل الشر واطلاقها دائما تحت أعلام الخير والأخلاق والقيم .. الأكثر اندفاعا نحو عصيان القوانين الدولية وتحديها علنا ، والأكثر إيغالا فى إيذاء الآخرين وهى إلى هذا كله دولة تملك مالم يملكه غيرها من أسلحة التدمير الشامل. **وسبق لها – وحدها – ان استخدمت الأسلحة النووية ضد اليابان والبيولوجية والكيماوية ضد فيتنام .. والبيولوجية ضد الأمريكيين فى حقول التجارب " العلمية " ذات الأهداف العسكرية.**

*** مذهب " الدول المارقة"**

فى الاستراتيجية العسكرية الأمريكية ..

كان الاستجابة الفوريـــة العمياء لمفاجأة لم تخطر أبدابفكرالمخططين الأمريكيين: نهايــة الحـــرب البـــاردة بتفكك النظـــام السوفيتى .

لعل الفرق الوحيد بين الولايات المتحدة وأى من الدول المحسوبة" مارقة" خارجة على القانون أنها أضخم وأقوى . وفى أوضاع شبيهة بمملكة الحيوان كما صورها الروائى الفرنسى **لافونتين** القاعدة تقول: "**أن الرأى الذى يبديه الأضخم هو الرأى الأفضل** ".فى ظل هذه الأوضاع تصبح القوانين الوضعية والأخلاقية قابلة للتطبيق على الآخرين وحدهم .. لكن ليس على الأقوى والأضخم.

تستطيع الولايات المتحدة – بلا تردد ، بل بلا مواربة – أن تعلن مرة وأخرى أنها لن تلتزم بقرار تصدره محكمة العدل الدولية .. إذا جاء القرار فى غير صالحها . فعلت ذلك مؤخرا قبل صدور قرار محكمة العدل الدولية باختصاصها بنظر دعوى ليبيا بشأن عدم شرعية العقوبات التى فرضها مجلس الأمن تحت الضغط الأمريكى . وبعد صدور القرار.

وقد فعلت أمريكا ذلك من قبل أن تصدر محكمة العدل الدولية قرارها فى منتصف الثمانينات بادانة أمريكا وتحميلها مسئولية تلغيم موانى **نيكاراجوا** وقت حكم **اليساريين الساندنيست المناهضين للهيمنة الأمريكية . وأعلنت رفضها القرار الدولى بعد صدوره.**

كل عام تصدر الجمعية العامة للأمم المتحدة – أوسع تمثيل دولى تنظيمى على الاطلاق – قراراً بعدم شرعية العقوبات التى تفرضها الولايات المتحدة والحصار الذى تضربه على كوبا .. والولايات المتحدة مستمرة فى رفض القرار عاما بعد عام.

كل عام تصدر منظمة الدول الأمريكية – التى تتزعمها الولايات المتحدة وتضم كل جمهوريات الأمريكتين – قرارا بضرورة رفع الحصار عن كوبا .. وبعدم استناد أمريكا إلى أى شرعية اقليمية أو دولية فى فرضه . والولايات المتحدة فى كل عام تتحدى القرار ، وترفضه وتهزأ به ، وتأبى أن تأخذه حتى بعين الاعتبار.

عندما أسقطت الدفاعات الجوية طائرتين انتهكتا المجال الجوى لكوبا آتيتين من الأراضى الأمريكية – فى إجراء دفاع واضح عن النفس – اندفعت الولايات المتحدة إلى توجيه التهديدات واتخاذ الاجراءات الخانقة بتشديد الحصار الاقتصادى والدبلوماسى على كوبا ..**ضاربة عرض الحائط بنداءات حلفائها وجيرانها بأن العقوبات الاقتصادية أثبتت**

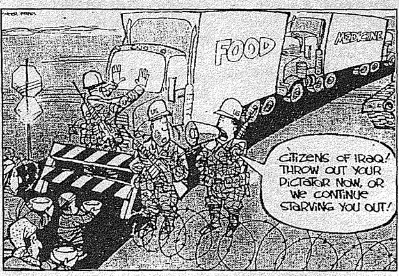
فشلها على مدى خمسة وثلاثين عاما متصلة ضد كوبا. فى حين أن الولايات المتحدة قامت بعملية غزو عسكرى سافرة لإحدى دول منظمة الدول الأمريكية - هى **بنما** - فى نهاية عام ١٩٨٩ واعتقلت رئيس السلطة الشرعية فيها واختطفته إلى الولايات المتحدة وحاكمته وأودعته السجن .. ولم يكن لها فى ذلك أى سند من القوانين الدولية .**ولاتزال الولايات المتحدة تتجاهل حقيقة أنها قتلت فى هذا الغزو مابين ٣ آلاف و٥ آلاف من المدنيين من مواطنى بنما لم يكن لهم ذنب فى الخلاف بينها وبين حاكم بنما الجنرال نوريبجا.**

الولايات المتحدة تضع العالم أمام خيارين واحد من اثنين كلما جاء دور الحديث عن العقوبات الاقتصادية ، سواء ضد العراق أو ليبيا أو كوبا: إما العقوبات الاقتصادية .. أو القوة المسلحة ، ليجد العالم نفسه مجبرا على قبول أهون الشرين.

والولايات المتحدة تمارس دور الدولة المارقة الأعظم كاملا وبكل حريتها .. حتى أنها وصفت محكمة العدل الدولية - نعم محكمة العدل الدولية التى تعد أعلى سلطة قضائية للبت فيما يتفق مع القانون الدولى ومالا يتفق معه - بأنها " منبر معاد" .. قالها أحد كبار مساعدى الرئيس **كلينتون** فور سماعه نبأ قرار المحكمة لصالح ليبيا بشأن قضية طائرة لوكربى التى تفجرت فوق اسكتلندا عام ١٩٨٨ .

قبل عدة أسابيع تعقيبا على الانتقادات التى وجهت إلى الولايات المتحدة فى قمة الأمريكتين فى شيلى بحضور الرئيس **كلينتون** بسبب استمرارها فى سياسة العداء ضد كوبا قال **جيمس روبين** المتحدث الرسمى باسم الخارجية الأمريكية بالحرف الواحد: " إن انتقاد السياسة الأمريكية تجاه كوبا شئ لايفاجئنا . **وأستطيع أن أؤكد لكم ، سواء كانت الانتقادات آتية من المثقفين فى الولايات المتحدة ، أو من أعضاء فى الكونجرس الأمريكى من هذا الحزب أو ذاك ، أو كانت آتية من بلدان أمريكا اللاتينية ، أو بصراحة من معظم أنحاء العالم ، فان هذا لايعنى أننا سندخل أى تغيير على سياستنا تجاه كوبا . ستبقى هذه السياسة كما هى .."**

ومعنى عبارات الناطق الرسمى الأمريكى هذه - بصراحة - فوق العادة - أن أمريكا تعلن أنها هى القانون . وماعداها لايهم . لايهم رأى الآخرين . ولايهم الحكومة الأمريكية رأى الأمريكيين أو أصدقاء أمريكا فضلا عن خصومها.



ياأهالى العراق أطيحوا بدكتاتوركم الآن وإلا سنستمر فى تجويعكم حتى الموت

والدولة المارقة الأعظم فقدت القدرة على اتخاذ مواقف إنسانية حقيقية وبعيدة عن الاستعراضات الخطابية الباهرة فى الأسفار البعيدة لرئيسها - حتى على الصعيد الداخلى .

نبهها العالم إلى أنها أصبحت صاحبة أكبر رقم قياسى فى عدد السجناء وأكبر نسبة لعدد السجناء إلى تعداد السكان .. ولم تحرك ساكنا.

اعترض العالم على مواصلة تطبيق عقوبة الاعدام داخل الولايات المتحدة على الرغم من اختفائها التدريجى فى أنحاء العالم المتقدم .. وعلى الرغم من ثبوت ارتكاب جرائم إعدام للأبرياء بأحكام خاطئة.

نصيب الحبر الأعظم - أحد أقوى القوى الروحية فى عالم اليوم **واليه ينسب** بعض المنظرين الأمريكيين أكبر الفضل فى انهيار النظام السوفيتى وتوابعه - ليس عمليا أكبر من نصيب محكمة العدل الدولية من احترام الدولة المارقة الأعظم.

فلا نداءات السلطة الدينية تردعها .. ولا نصوص قوانين السلطة الدنيوية تضع حدودا لتجاوزاتها . كلها من وجهة النظر الأمريكية ينبغى أن تكون فى خدمة المصالح الأمريكية.

بطبيعة الحال فاننا نبسط الأمور كثيرا - أو بالأحرى نختصرها - حين نقتصر على فترة السنوات الثمان الماضية من السياسات الأمريكية تصوير سلوك الدولة الأعظم الخارجة على القانون الدولى .. فالحقيقة أوسع نطاقا بكثير من هذا الحيز التاريخى وتمتد من أوائل خروج أمريكا إلى لعب دور "عالمى" مع الحرب" الأمريكية - الأسبانية" قبل ١٠٠ عام . وهى الحرب التى ورثت الولايات المتحدة بنتائجها النصيب الأكبر من الامبراطورية الأسبانية.

لكن الأمر الذى يجعل للسنوات الثمان الأخيرة أهمية خاصة هو أنها تمثل بداية حقبة نهاية الحرب الباردة ، التى تصورها العالم بداية عهد طويل للسلام فاذا بها تتحول إلى بداية عهد الهيمنة الأمريكية ، وبداية اختلال التوازن العالمى .

ان السنوات الثمان الأخيرة هى بالتحديد **بداية حقبة افتضاح التصور المستبد بالاستراتيجية الأمريكية** بأن الولايات المتحدة هى وحدها القادرة على لعب دور الشرطى الدولى .. فى الوقت نفسه الذى تكشف فيه سلوكياتها الدولية عن استمرار خروجها على القانون الدولى ، واستخدام قوتها العسكرية كسلاح تهديد رئيسى لأداء دور" البلطجى" الدولى.

نحن - اذن - أمام تناقض مفزع : البلطجى الأقوى فى دور الشرطى الأوحد .

ويزيد من الطابع المأساوى لهذه الصورة أنه تحت سحب داكنة من الأزمات التى تعزوها الولايات المتحدة إلى الارهاب الدولى وإلى الدول المارقة التى تريد امتلاك أسلحة التدمير الشامل وتعارض القانون الدولى (والمقصود أنها تعارض إدارة الولايات المتحدة) تختفى الحقائق والأرقام عن فكر الارهاب الأمريكى بأشكال ارتكابه المتعددة ، وأولها السلاح الأمريكى المفضل الآن للتدمير الشامل ، وهو سلاح العقوبات **وإلا ماذا يمكن تسمية سلاح أدى خلال السنوات الثمان الماضية إلى موت نحو مليون عراقى ، وافقار وتقصير أعمار أكثر من عشرة ملايين كوبى .. فضلا عن كوريا الشمالية وليبيا وبورما**

وعشرات البلدان الأفريقية التى أورثها النظام العالمى الجديد مزيدا من الفقر والمجاعات وعمليات الابادة الجماعية تحت إشراف الدولة الأعظم الوحيدة.

لقد أصبح مصطلح " **الارهاب الاقتصادى**" رائجا فى كتابات المعلقين اليساريين الأمريكيين للتعبير عن اعتراضهم على سياسات العقوبات والحصار الاقتصادى .. ودخلت القاموس مع هذا المصطلح إضافة سياسة العقوبات الأمريكية إلى قائمة أسلحة التدمير الشامل.

وإذا كانت الولايات المتحدة لاتملك تاريخيا ولاآنيا الأسس الأخلاقية التى تؤهلها للعب دور الشرطى ، إلا أنها للأسف تملك الأدوات والقدرات المادية والأسلحة اللازمة لأداء هذا الدور كما لايملكه غيرها على الساحة الدولية .

لقد انتهت الحرب الباردة وغاب **الاتحاد السوفيتى** عن الوجود ، وتحولت **الصين** إلى شريك تجارى لأمريكا ، **وروسيا** إلى تابع كبير لكنه تابع للولايات المتحدة . وتبخر حلف وارسو بأكمله ، بينما تنفذ الولايات المتحدة خطط توسيع حلف الأطلسى .. مع ذلك فان القوات المسلحة الأمريكية لاتزال منتشرة فى مائة دولة على خريطة العالم.

يقول تقرير **لمركز المعلومات الدفاعية فى واشنطن** (وهو مركز مكون من عدد من كبار القادة العسكريين الأمريكيين المتقاعدين المناهضين للمبالغة فى الانفاق العسكرى الأمريكى **إن الولايات المتحدة لاتزال تنفق نسبة ٧٠ بالمائة من ميزانياتها العسكرية سنويا على قواتها المرابطة فى خارج أراضيها ، وتلك المرابطة فى الداخل لكنها معدة أساسا لخوض حروب فى بلدان أجنبية . وتعادل هذه النسبة مايربو على ٢٠٠ مليار دولار.** والقوات الأمريكية المرابطة فى خارج الأراضى الأمريكية تحظى وحدها بثلث الانفاق العسكرى الأمريكى سنويا ، أى بنحو ٩٠ مليار دولار.

ويكشف التقرير نفسه أن الولايات المتحدة - التى تتحدث كثيرا عن إغلاق عدد كبير من قواعدها المسلحة فى الأراضى الأمريكية، وعلى الرغم من أنها أغلقت عددا قليلا من قواعدها فى الخارج .. إلا أنها فى واقع الأمر زادت عدد القواعد والمحطات والتسهيلات العسكرية الأمريكية فى البلدان الأجنبية (ومن المؤكد أن قدرا من هذه الزيادة يرجع إلى الزيادة الهائلة فى الوجود العسكرى الأمريكى فى منطقة الخليج وملحقاتها التى تمتد إلى المحيط الهندى).

أخطر من هذا كله مايكشفه تقرير " مركز المعلومات الدفاعية" من أن الولايات المتحدة تنشر نحو ٤٥٠٠ سلاح نووى مع قواتها المرابطة فى بلدان أجنبية من اليابان وجزر جوام الأمريكية فى شرق أسيا إلى جوانتانامو أقدم قاعدة عسكرية أمريكية فى نصف الكرة الغربى على أرض كوبا.

طوال فترة الحرب الباردة - من منتصف الأربعينات إلى بداية التسعينات - لم يشغل المخططون العسكريون أنفسهم على الاطلاق ولو للحظة واحدة بتصور نهاية لهذه الحرب ، سواء على الصورة التى انتهت بها أو على صورة مغايرة . استمروا عاكفين على التخطيط" لحرب نووية تستطيع الولايات المتحدة أن تكسبها ، أو فالدمار الشامل المتبلور" . وخارج إطار حرب التدمير الشامل كانت الاستراتيجية الأمريكية الوحيدة هى استراتيجية احتواء الاتحاد السوفيتى أو"**احتواء الشيوعية**" .. حتى أنه فى عام ١٩٨٨ وكان عمر رئاسة **ميخائيل جورباتشوف** للاتحاد السوفيتى ثلاث سنوات ، بينما كان الباقى من عمر الاتحاد السوفيتى نفسه ثلاث سنوات أيضا ، وضعت لجنة رئاسية أمريكية مؤلفة من أكبر الخبراء والاستراتيجيين الأمريكيين تقريرا كان أول تقرير تلقاه الرئيس **جورج بوش** فور توليه الرئاسة فى بداية عام ١٩٨٩ ، أكدت فيه **أن الاتحاد السوفيتى " سيبقى هو الخطر الرئيسى والخصم الألد للولايات المتحدة للسنوات الخمس والعشرين** التالية على الأقل .

وهكذا فانه عندما حدث ماحدث ضبطت المؤسسة العسكرية الأمريكية فى وضع حرج ، لاتملك خطة حقيقية أو حتى مجرد أفكار لحقبة مابعد تفكك النظام السوفيتى . وعندما بدا واضحا سارعت المؤسسة العسكرية إلى حرب الخليج بأكبر قوة حشدتها منذ حرب فيتنام لتعلن" نحن هنا" ... لتغطى على الفراغ الذى تركه تفكك النظام الآخر فى استراتيجيتها .

وهكذا أصبح من المحتم أن تحتفظ الولايات المتحدة .. حتى فى وقت السلم وفى غياب أعداء بحجم الاتحاد السوفيتى - بقوة عسكرية هائلة وإلى أجل غير مسمى . وظهرت فجأة استراتيجية **خوض حربين على جبهتين مختلفتين فى وقت واحد** . ومعها ظهرت نظرية "**الدول المارقة**" باعتبارها الخطر الجديد.

ولعل من الجدير بالذكر هنا - ومانعتقد أنه لم يذكر على وجه التحديد من قبل - أن وثيقة " البنتاجون" التى تضمنت هذه العناصر الجديدة الثلاث وكانت بعنوان " الاستراتيجية الاقليمية الجديدة" حملت توقيع الرئيس جورج بوش وتاريخ أول أغسطس ١٩٩٠ . التاريخ الذى لايذكر إلا مقرونا بغزو العراق للكويت فى اليوم نفسه (...)

ولقد أوضحت الأزمة التى نشبت قبل شهور قليلة مع العراق أن أول خطوة قام بها الرئيس**كلينتون** بصفته القائد الأعلى للقوات المسلحة كانت **توقيعه على مرسوم يقضى باستخدام الأسلحة النووية الأمريكية فى المواجهة.** الأمر الذى كشف أن الأساطيل البحرية والجوية المحشودة فى الخليج لاستخدام القوة ضد العراق مزودة بالفعل بأسلحة نووية . واذن فالمواجهة مع" **الدول المارقة**" لم تعد مواجهة " تقليدية" أو كما كانت تسمى فى الثمانينات "**صراعات منخفضة الشدة**". ويذكرنا هذا أيضا بأن وزير الدفاع الأمريكى السابق **وليام بيرى** عندما أثار الاتهامات القائلة بأن ليبيا تبنى مجمعا ضخما للأسلحة الكيماوية تحت الأرض أشار إلى أن الولايات المتحدة مستعدة لاستخدام نوع جديد من القنابل الذرية يستطيع اختراق طبقات الأرض لتدمير هذا المجمع الكيماوى.

نحن .. اذن .. بصدد **بلطجى دولى مسلح بهراوات نووية ولا مانع لديه من الانقضاض بها على دول من العالم الثالث بحجم العراق أو ليبيا أو كوريا الشمالية ، وربما ايران أو كوبا** وقد سبق أن أشرنا إلى تقرير لمركز المعلومات الدفاعية فى واشنطن قارن بين قوة الولايات المتحدة وقوة هذه" **الدول المارقة**" من العالم الثالث مجتمعة . وأهم ماأوضحه هذا التقرير أن هذه الدول الصغيرة الخمس مجتمعة تنفق سنويا على الدفاع **نحو ١٢ مليار دولار ، وهذا الرقم أقل من نسبة واحد إلى عشرين من الانفاق العسكرى الأمريكى السنوى ... ولايملك أى منها أى سلاح نووى..** هذا إذا كانت هناك أصلا حاجة للمقارنة بين القوة العسكرية الأمريكية والقوة العسكرية لهذه الدول منفردة أو مجتمعة.

فى هذا كله لايبدو أن ثمة شيئا جديدا فى النوايا والخطط الأمريكية الاستراتيجية وأهدافها ..

الجديد هو النشاط العالمى الكثيف الذى تقوم به الولايات المتحدة لتضع على هذه الاستراتيجية العدوانية الخطيرة أقنعة إنسانية وديمقراطية . **فالولايات المتحدة لاتكاد تتحرك فى أى اتجاه هذه الأيام - من خلال الأمم المتحدة أو خارجها حسبما يناسبها - دون أن تربط كل خطوة تخطوها بالدفاع عن حقوق الانسان وحرياته المدنية والدينية ، وببناء الديمقراطية .. وحتى الدفاع عن السلام.**

ألم تروا إلى أى حد تقدم الولايات المتحدة التضحيات من أجل السلام فى الشرق الأوسط .. لولا عناد إسرائيل . لا . بل عناد **بنيامين نيتانياهو ؟!!**



بدء العد التنازلى لسقوط نظام الرئيس الاندونيسى «سوهارتو»

أبناء الرئيس يملكون كل شئ فى البلاد.. الطرق والمطارات والفنادق وسيارات التاكسى .. و..و

مجدى نصيف

تتجمع لحظة التغير الكيفى لسقوط نظام ديكتاتورى ، نتيجة للتغيرات الكمية على مدى سنوات، لكن الديكتاتور الذى تعميه العنهجية والمصلحة الذاتية، لا يدرك هذه اللحظة . ويمكننا أن نضرب أمثلة كثيرة ، لكننا نكتفى بثلاثة أمثلة من التاريخ المعاصر الحى الذى شاهده كل قارئ على شاشة التلفزيون.

*المثل الأول عندما كان ديكتاتور رومانيا يخاطب الجماهير كالمعتاد من شرفة قصره ، قبيل اعياد الكريسماس عام ١٩٨٩ . فبدلا من أن تحييه جماهيره، زمجرت غاضبة ، وبدأت الأحداث التى أدت إلى إعدامه هو وزوجته .

*وحدث شئ مماثل لدكتاتور الفلبين **فرناندو ماركوس**، عندما التفت الجماهير حول **كورى اكينو** أرملة زعيم المعارضة الذى قتله ماركوس . وهتفت الجماهير **لكورى اكينو ممثلة «سلطة الشعب» وسقط ماركوس** .

* وبالنسبة **لموبوتو سيسى سيكو** ، أتت لحظة التغيير عندما دخل جيش المعارضة بقيادة **كابيلا**، رفيق الزعيم الافريقى لومومبا ، ورئيس الكونغو حاليا.

حرائق ونهب فى جاكرتا



وفى اندونيسيا ، تتجمع التغيرات الكمية منذ عدة أشهر ، ولكن الرئيس سوهارتو يتحداها فقد جدد لنفسه فترة رئاسية جديدة ، وعين أبناءه وأنصاره ومحاسيبه فى مجلس الوزراء ، رغم تردى الموقف و رغم أنه فى السادسة والسبعين من عمره ، وكانت أمامه فرصة طيبة بنهاية فترة رئاسته ، ليذهب دون أن يريق ماء وجهه . ورغم أنه ظل فى السلطة منذ عام ١٩٦٦ ،عندما قاد الجيش الاندونيسى فى انقلاب دموى ضد الزعيم **سوكارنو** ، قتل فيه مئات الآلاف من الشيوعيين والديمقراطيين والوطنيين ،**وتقدر بعض المصادر الصحفية الغربية أن الجيش الاندونيسى قتل نصف مليون ووضع نصف مليون آخرين فى السجون والمعتقلات، لم يخرجوا منها حتى الآن. كل ذلك ليتولى سوهارتو السلطة.**

وأنا أكتب هذه السطور بعد أن أنهى الرئيس الاندونيسى اجتماعات **الدول ال١٥ بالقاهرة** ،عندما أصدر مجموعة من الجنرالات المتقاعدين بيانا يطالبونه فيه بالاستقالة.

وصدر هذا البيان عن «**جمعية الشعب**» ،وهى جماعة جديدة مكونة من ٣٩ جنرالا متقاعدا وسياسيا .

وفى نفس ذلك اليوم، طالب زعيم الحزب الاسلامى الاندونيسى الذى يضم ٢٨ مليون عضوا ،**أمين ريس** ، الجيش بالتوقف عن مساندة «الرئيس **سوهارتو** الذى يعتبر نظامه أكثر الأنظمة فساداً فى الكون». **والذى يعطى لما قاله أمين ريس أهمية كبرى انه على اتصال وثيق بقيادة الجيش وعدد من العسكريين المقربين إلى الرئيس سوهارتو** ،ومنهم زوج ابنة **سوهارتو** الذى عينه مؤخرا قائد الفرقة الخاصة.

ومن بين هؤلاء على سبيل المثال ،الجنرال المتقاعد **جى . بى .سوليشين** ، الذى كافح كفاحاً مسلحاً ليحقق استقلال إندونيسيا عن هولندا ، التى حكمت بلاده لأكثر من ثلاثة قرون. أما ابنه الأصغر ، وعمره أربع وعشرين عاما ، فهو من زعماء الطلبة ضد **سوهارتو** ونظامه . قال الجنرال الذى يبلغ الثانية والسبعين من عمره « **إن كل إمرئ يرى أن هذا النظام قد فشل. صرفنا ثرواتنا على التنمية ، لكن الحقيقة أن شعبنا ما زال فقيراً . وقد أفلسنا سياسياً أيضا** ».

كان الجنرال **سوليشين** ، أحد أعمدة نظام **سوهارتو** على مدى سنوات ، ذلك النظام الذى يريدون هدمه الآن . فقد كان حاكم جاوة الغربية معقل النظام ، وبين عامى ١٩٧٢ و١٩٨٨ ،كان مستشار مجلس الوزراء برتبة وزير. **وهو يؤيد لأن الآن «الثورة» ضد هذا النظام المتداعى ويرجو أن يفعل كل ضباط**



سوهارتو فى قمة ال ١٥ بالقاهرة

الجيش نفس الشئ. ووقع معه البيان التاريخى ، أربعة جنرالات وستة وزراء سابقين، إلى جانب سياسيين معارضين.

مظاهرات صاخبة

وتحولت مظاهرات الاحتجاج على غلاء الأسعار بمدينة ميلان شمالى سومطرة ، فى الاسبوع الأول من مايو إلى ثورة عارمة، لم يهدئ منها سوى نزول آلاف الجنود إلى المدينة . لم ينقذ الرئيس الاندونيسى توقيعه لاتفاقيات جديدة مع «صندوق النقد الدولى» ،بل كانت لحظة توقيعه لها هى لحظة هزيمته ، وبداية انحسار سلطانه ، إذ يعنى هذا أنه «أخطأ» الحساب ، وهو الذى لا يخطئ» ، وأن «الصندوق » يصحح له المسار. **ولعبت صورته وهو يوقع الاتفاقيات جالسا ، وقد وقف بجانبه رئيس «الصندوق» مايكل كامديسو ، دوراً كبيرا منذ نشرتها الصحف فى كل أنحاء إندونيسيا**.كان معناها أن الديكتاتور قد «انكسر» !

ومنذ وقعت المؤسسة المالية الدولية الاتفاق الأول عام ١٩٩٧ مع **جاكرتا** ،والجدل يدور حول« **استقلالية القرار** » فى الصحف والمجلات والدوريات ،وفى الندوات.

كتبت مقالات فى الصحف الاندونيسية اليومية بقلم أساتذة جامعة وصحفيين وكتاب ومثقفين وطلبة ، يلومون «الصندوق» ويحملونه مسئولية بؤس شعب اندونيسيا ، وتنتقد مطالبه بما فى ذلك اغلاق ستة عشر بنكا مفلساً. **وتساءل البعض عن مصداقية الديون الذى قدمها «الصندوق» ووصلت إلى ٤٣ بليون دولار ،كطوق لنجاة لنظام يتهمه الغرب باختطاف المعارضين وتعذيبهم ،وانتهاك «حقوق الانسان» ،وإجراء انتخابات هزلية فى شهر مارس** . وقد جرت انتخابات حرة حقا فى دول مجاورة أخرى ،كانت بين «مرضى» صندوق النقد الدولى ،وعلى رأسها تايلاند وكوريا الجنوبية اللتين كانتا فى قسم «العناية المركزة» بمستشفى الصندوق.

وحتى البنتاجون لم يوافق على الاستمرار فى تأييد النظام الاندونيسى ،وهؤلاء الذين أطلق عليهم الرئيس الأمريكى الأسبق **ليندون جونسون** « **أولاد الكلاب ، لكنهم أولادنا** ».

انتقد البنتاجون الحكومة الاندونيسية لأنها تقمع شعبها ، ولأنها تلجأ إلى استخدام القوة العسكرية باستمرار.

وألغت وزارة الدفاع الأمريكية فى الاسبوع الأول من مايو ٩٨ ، تدريبات مشتركة كانت القوات الأمريكية ستقوم بها فى اندونيسيا. وكانت **الولايات المتحدة الأمريكية هى التى شجعت الجنرال سوهارتو على أن يقوم بانقلابه ضد الزعيم سوكارنو عام ١٩٩٦؟.**

ضرورة أن يتخذ الغرب موقفا

ويرى عديدون فى الغرب ضرورة أن تتخذ حكوماته موقف «البنتاجون» وخاصة «صندوق النقد الدولى» .لكن هذا القول لا يتردد فى المنطقة، خاصة من هؤلاء الذين يريدون رؤية نهاية **سوهارتو** . **فأمين ريس يقول عن مطالب «الصندوق » أنها «قليلة جدا ، ومتأخرة جدا »** لكنه يريد مع ذلك استمرار تدفق الأموال السائلة على يد «الصندوق» ،وأن يضغط الغرب إلى جانب ذلك فى اتجاه إحداث تغييرات .

وقال أحد مديرى «الصندوق».

«-**عندما تزور جاكرتا ، فأنت فى بلد فريد من نوعه. فالمطار الذى تحط فيه طائرتك يمتلكه أحد أبناء الرئيس سوهارتو، وعندما تستقل تاكسيا إلى الفندق ، فأنت تستقل تاكسيا تملكه ابنته، الوزيرة الآن، وتدفع ضريبة الطريق ، لابن آخر، أما الفندق الذى تقيم فيه فيمتلكه ابن ثالث. وأى شئ تمسه يمتلكه أحد أفراد العائلة** .لقد كانت مطالب الصندوق بسيطة ،وفى جانب الطبقات

الشعبية ،إذ طلبنا زيادة أسعار البنزين واستقرار أسعار زيت الطبخ».

وقال وزير خارجية اندونيسيا **علي العطاس**: «حذرنا الصندوق والغرب من أن رفع الدعم سيؤدي إلى هذه المظاهرات اليومية التي نشاهدها. فرفع الدعم سيؤدي إلى معاناة اجتماعية ، تؤدي إلى نتائج وخيمة».

لكن الشعب الاندونيسي والطلبة الذين يتظاهرون يوميا الآن ،يحتجون على ما يرون أنه توزيع غير عادل لثروات البلاد، والتوزيع غير المتساوي لنتائج الأزمة الاقتصادية ويرون أن المسئول عن ذلك هو الحكومة وليس الصندوق.

مظاهرات دامية

وقد انطلقت المظاهرات في كل المدن الاندونيسية ، بعد أن أعلنت الحكومة عن رفع أسعار عدة سلع بينها أسعار الوقود . قبلها بيومين فقط، صحبت **ابنة سوهارتو الكبرى سيتي هارد يانتي روكمان** المعروفة باسم **«توتوت»** ،صحبت ١٧ من أصدقائها وصديقاتها في رحلة ترفيهية إلى بوسطن بالولايات المتحدة **تكلفت مائة الف استرليني ،بينما لا يحصل الاندونيسي العادي اليوم على أكثر من دولار واحد كقوت يومه .**

وفي الوقت نفسه سلم **«صندوق النقد الدولي»** للحكومة الدفعة الأولى ، بليون دولار، من القرض الذي اتفق عليه لانقاذ الاقتصاد الاندونيسي ، وقدم «بنك الصادرات -الواردات» الأمريكي ضمانات ببليون دولار أمريكي .**أثار هذا كله الشعب الاندونيسي فسار في مظاهرات ، قابلها الجيش بإطلاق الرصاص «في المليان».**

ورغم أن الرئيس الاندونيسي قدم وعودا مكتوبة والتزم أمام «صندوق النقد الدولي» بإنهاء الكارتلات ، التي تجمع المحاسيب وأفراد العائلة، إلا أنه لم ينفذ التزاماته.

فالنظام الاندونيسي كله ، يحمي مصالح الرئيس سوهارتو وأولاده الستة وعائلته ومحاسيبه ، قبل أي شئ آخر.

صحيح أن الكارتلات والاحتكارات قد أنهيت رسميا لكنها تعمل بطرق أخرى ،فاحتكار الثوم على نطاق البلاد ، الذي كان يمتلكه نجل الرئيس **هوتومو ماندلا بوترا** ، أعيد تسميته ، ولا يسمح لمزارعي الثوم دون موافقة **شركة هوتومو** الجديدة، وكارتل الأخشاب الذي يمتلكه **محمد حسن «بوب»** صديق سوهارتو الشخصي الذي يلعب معه الجولف، والذي عينه في الوزارة الجديدة . فعل نفس الشئ . ومثل هذه التصرفات ستطيل من أمد المزايا التي يحصل عليها النظام لبعض الوقت ، لكنها لن تطيل عمره، ولن تجعله يواجه تحديات ما بعد الأزمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية.



الشرطة «السرية» تجبر الطلاب على الانبطاح أرضا

هكذا بدأت النهاية ،والمسألة مسألة وقت لا أكثر . والمحاسيب والانصار يعلمون ذلك جيدا .

ويقول الوزير السابق **سيسونو يودو هوسودو : في حديث لصحيفة الأوبزرفر البريطانية** ٩٨/٥/١٠.

«**لن تنتهي الأزمة إلا اذا تغيرت بنية الحكومة** ، لتحل محلها بنية جديدة تماما ،كما تغيرت حكومتي تايلاند وكوريا الجنوبية . وهذا هو السبب الأساسي في استمرار الازمة الاقتصادية في أندونيسيا ».

موقف العسكر

وموقف الجيش الاندونيسي ، أو بالأحرى قيادته هي التي ستقرر مصير اندونيسيا فهو الهيئة الاندونيسية الوحيدة المنظمة والتي تملك الامكانيات الموزعة في جميع أنحاء البلاد التي تتكون من ما يقرب من ١٣ الف جزيرة، بينما المعارضة وأحزابها ما زالت مفتتت ، بفضل سياسات النظام القمعية.

لكن الشعب الاندونيسي الذي يعاني الفقر والطلبة الذين ليس لهم مستقبل، بعد الانهيار الاقتصادي واليأس من تحسن الأوضاع في ظل نظام سوهارتو الذي يمتص ثروات البلاد نفسه، يشعر كل منهم أنه لن يخسر إلا القيود . والطلبة بالذات مندفعون في «قتال» النظام . فعقدوا محاكمة صورية بجاكرتا للرئيس سوهارتو وبعدها أحرقوا دمية تمثله وهم يهتفون أنه **«ابن الشيطان»** بعد أن كان يطلق عليه **«أبو الأمة»**.

لقد بدأ العد التنازلي لسقوط النظام ،وشكراً لـ«صندوق النقد الدولي» الذي لعب دورا كبيرا في إسقاطه.

والمعارضة

وبقيت كلمة لابد منها عن المعارضة الاندونيسية .كان النظام القمعي للرئيس **سوهارتو** «يخفي» المعارضين لحكمه دائما . لكن **عشرة أشهر من الانهيار الاقتصادي والمالي فعلت في المعارضة الاندونيسية أكثر مما فعلته ثلاثة عقود من الازدهار الاقتصادي ،والقمع السياسي البوليسي** .فقد انضم مئات الآلاف ،منذ شهر مارس ١٩٩٨ ،إلى مظاهرات الطلبة التي تطالب باستقالة الرئيس **سوهارتو** ، وإجراء إصلاحات سياسية ، بعد أن امتص **سوهارتو** وعائلته ومحاسيبه ثروات رابع أكبر بلاد العالم سكانا.

كان الرئيس سوهارتو يستأصل شأفة المعارضة ويسجن كل من يجرؤ ويؤسس حزبا سياسيا ،**خارج إطار النظام** .وكان من المعتقد أن ابنة الرئيس الأول لاندونيسيا بعد الاستقلال ، الذي انقلب الجنرال سوهارتو على نظامه ،**ميجا واتي سوكارنو**- بونري ، زعيمه **«الحزب الديمقراطي الاندونيسي»** ،هي التي ستطيح بالجنرال الديكتاتور ، لكن الحكومة دبرت انقلاب قصر أطاح بها من زعامة الحزب ،فألقى بها في دوامة النسيان.

وفكر وزير البيئة السابق **إميل سليم** أن يتحدى ربيب الرئيس سوهارتو ،**جوسوف حبيبي**، ورشح نفسه لمنصب نائب الرئيس في شهر مايو ١٩٩٨ ،ثم لما فشل اختفى عن الأنظار.

والآن تسلط الأضواء ، على أمين ريس زعيم الحزب الاسلامي من وسط جاوه. وبالاضافة إلى أن حركته تضم **٢٨ مليون عضو** ، فهو يتمتع بتأييد أكبر حزبين اسلاميين ويؤيده كثيرون لأنه دائم النقد للرئيس سوهارتو.

وأمين ريس في الرابعة والخمسين من عمره ، وحاصل على درجة الدكتوراة من جامعة شيكاغو الأمريكية، وطرح سياساته البديلة ، للإصلاح السياسي ، وهو ما لم تطرحه **ميجاواتي سوكارنو** أبدا ،وفي قائمة هذه الاصلاحات :**السماح بتشكيل الاحزاب السياسية ،والسماح بالنشاط السياسي في الأقاليم والمدن والقرى** .وفي فبراير ١٩٩٨ قبيل إعادة انتخاب الرئيس **سوهارتو**، صرح بأنه يود أن يصبح رئيسا لاندونيسيا ، لو كان الشعب الاندونيسي يريد ذلك ،**فاندونيسيا مثل مريض في«غيبوبة» .. ولا أحد يعرف متى يفيق من غيبوبته».**



انضمام الجمهورية التشيكية لحلف الاطلنطى



د. هافل

رسالة براغ

د. محمد مراد الحاج

فى الثالث عشر من شهر أبريل هذا العام، عقد **مجلس النواب التشيكى** جلسة خاصة لمناقشة موضوع انضمام الجمهورية التشيكية إلى ما يعرف باسم «**معاهدة واشنطون**» لحلف شمال الأطلسى «**الناتو**».

بعد مناقشة استمرت لفترة طويلة من الزمن، تمحورت حول الجوانب الايجابية والسلبية لانضمام تشيكيا لحلف الناتو، وبعد أن رد وزير الخارجية **ياروسلاف شدفى** الذى ألقى كلمة أمام النواب، على التساؤلات والتحفظات التى طرحها معارضو الانضمام لحلف الناتو، **صوت إلى جانب الاتفاقية ١٥٤ مقابل ٣٨ نائبا. وامتنع عن التصويت ٨ نواب.**

بذلك يكون قد صوت إلى جانب الاتفاقية جميع نواب «**الحزب المدنى الديمقراطى**» و«**الاتحاد المسيحى الديمقراطى -حزب الشعب**» و«**التحالف المدنى الديمقراطى**» و«**اتحاد الحرية**»، **ثم جميع نواب** «**الحزب الاجتماعى الديمقراطى**».

عارض الاتفاقية وصوت ضدها كل نواب «**الحزب الشيوعى التشيكى المورافى**» و«**التجمع من أجل الجمهورية**» «**المعروف باسم» الحزب الجمهورى**».

الذين صوتوا إلى جانب الاتفاقية يرون أن انضمام تشيكيا لحلف الناتو، يضمن لها الاستقرار الأمنى ويعتبرونها خطوة هامة فى طريق الانضمام للاتحاد الأوروبى.

السيد **يوزف تشوفسكى** رئيس وزراء الحكومة المؤقتة صرح فى حديث أدلى به لمحطة **سى. إن. إن** الأمريكية فى واشنطون بأن الجمهورية التشيكية قد أصبحت الان بموجب القرار الذى اتخذه البرلمان جزءا من العالم الديمقراطى الذى فتح أبوابه لها.

السيد رئيس الوزراء السابق **فاتسلاف كلاوس** عبر عن ارتياحه للقرار واعتبره أهم قرار فى تاريخ الجمهورية التشيكية وأشار إلى أنه ولأول مرة« **تقترب براغ من نظام يضمن لها الأمن والاستقرار الدائم**».

أما السيد **ميلوش زيمان**، رئيس مجلس النواب ورئيس «الحزب الاجتماعى الديمقراطى» الذى كان يشترط حزبه اجراء استفتاء شعبى عام على انضمام تشيكيا لحلف الناتو قبل التصويت على إتفاقية الانضمام، فقد كان فى وضع صعب للغاية، نسبة لأن حزبه تنازل عن هذا الشرط فى اللحظات الأخيرة قبل عرض الاتفاقية على البرلمان. وحسب المراقبين وما تناقلته وسائل الاعلام، فان **زيمان وقيادة «الحزب الاجتماعى الديمقراطى»** قد تعرضا لضغوط شديدة من قبل السيد **رئيس الجمهورية فاتسلاف هافل الذى** كان يعارض بقوة مسألة إجراء الاستفتاء وقد أدلى بتصريحات وأحاديث صحفية وصف فيها موقف الحزب الاجتماعى الديمقراطى بالسلبية وعدم المسئولية.

أثناء المناقشة فى البرلمان حول الاتفاقية، وضح السيد م. **زيمان ونائب** رئيس الحزب السيد **فلاديمير شبيدلا** أن دعوة الحزب إلى اجراء استفتاء حول عضوية الجمهورية التشيكية فى حلف الناتو والاتحاد الأوروبى، لا تعنى معارضة الدخول بصورة مطلقة كما يصور ذلك خصوم الحزب السياسيين.

لفت السيد م. زيمان الانتباه إلى قضية هامة تتعلق بتركيبة مجلس النواب الحالية الذى لا يعبر بصورة صادقة عن توجهات الناخبين حسب تقديره، نسبة لأن عدداً كبيراً من نواب المجلس الذين انشقوا عن«الحزب المدنى الديمقراطى» وانضموا إلى الحزب الذى تكون مؤخراً «اتحاد الحرية»، أصبحوا غير



زعماء الحلف أثناء لقائهم فى مدريد

ملتزمين بالبرنامج السياسى الذى انتخبوا على أساسه . بناء عليه فان م. زيمان يرى أن مجلس النواب الحالى غير مؤهل لإصدار قرار حول أمر خطير يتعلق بعضوية البلاد فى حلف عسكرى حسب قوله.

السيد رئيس الجمهورية فاتسلاف هافل الذى أجريت له عملية فى النمسا وكان طريح الفراش فى المستشفى هناك أثناء عملية التصويت على الاتفاقية، صرح بأن الموافقة على الاتفاقية تعتبر علامة بارزة فى تاريخ البلاد والتى سيترتب عليها ضمانات أمنية.

وكما أشرنا سابقا فان **هافل** كان يمثل الرأى الداعى إلى الموافقة دون قيد أو شرط مؤكداً على موقفه ذلك عند التقائه فى براغ بخافير سولانا الأمين العام لحلف الناتو مشيرا إلى أن موضوع الاستفتاء يعتبر من جانبه أمراً غير مناسب. ما تجدر الاشارة إليه فى هذا الخصوص أن الفقرة الخاصة بالسياسة الخارجية فى البرنامج السياسى للسنوات الخمس القادمة الذى أعلنه **فاتسلاف هافل** بعد انتخابه لرئاسة الجمهورية لدورة ثانية، نص على أن «أهم الواجبات أمام الجمهورية التشيكية هو الحصول على عضوية حلف شمال الأطلسى والاتحاد الأوروبى».

المعارضون لاتفاقية الانضمام لحلف الناتو من الأحزاب والقوى السياسية الأخرى وفى مقدمتها **«الحزب الشيوعى التشيكى المورافى»** و**«الحزب الجمهورى»** لا يرون أية فائدة تجنيها الجمهورية التشيكية من انضمامها لحلف الناتو ، بل إن هذا **الانضمام يشكل خطرا على أمن وسيادة البلاد .كما أنهم ينفون تماما وجود أى خطر يهدد أمن الجمهورية وبالتالى يتطلب هذا الانضمام.**

فى جلسة البرلمان الخاصة بمناقشة اتفاقية الانضمام لحلف الناتو طرحت تساؤلات وتحفظات حول وضع أسلحة نووية وإرسال قوات من حلف الناتو ترابط فوق أراضى الجمهورية التشيكية ،**كما أثيرت تساؤلات حول وضع «القوة العظمى» داخل الحلف التى تسعى إلى استغلال وضعها وإملاء رأيها على البلدان الصغيرة.**

فى رده على تلك التساؤلات والتحفظات، أشار وزير الخارجية **ياروسلاف شدفى** إلى «أنه فى جميع المحادثات التى أجراها مع المسئولين فى حلف الناتو أو المسئولين الأمريكيين، تم التأكيد على عدم وجود اتجاه ، أو حتى ضرورة لوضع أسلحة نووية فى أراضى البلدان التى ستحصل على العضوية الجديدة».

فى مقابلة أجرتها صحيفة «**دنيس**» مع وزير الدفاع **ميخال لوبكوفيس** أجاب عن سؤال خاص بوضع أسلحة نووية وإرسال قوات إلى الجمهورية التشيكية بأن الجمهورية التشيكية تملك ضمانات بأنه لن يتخذ قرار بشأنها دون موافقتها وأن حلف الناتو أصدر قبل عام بيانا أكد فيه أنه لا يرغب ولا يفكر فى وضع أسلحة نووية فى الجمهورية التشيكية أو المجر أو بولندا وقد ورد ذلك فى وثيقة التعاون بين الحلف وروسيا . أشار كذلك إلى أن تواجد قوات اجنبية أو قاعدة عسكرية للناتو غير وراد بأى حال.

ردود الأفعال المحلية الشعبية :

قضية الانضمام لحلف الناتو تعتبر واحدة من القضايا المركزية التى تشغل الرأى العام التشيكى فى الوقت الحاضر خاصة وأن تجارب وذكريات الماضى وما تعرض له الشعب التشيكى من احتلال عسكرى المانى وسوفيتى ، لا زال يلقى بثقله على أذهان المواطنين.

على الرغم من حالة الاحباط وضغوط الحياة اليومية المتمثلة فى غلاء المعيشة وارتفاع الأسعار وضمور المداخيل والوضع السياسى غير المستقر الذى لا يبشر بتغييرات إيجابية فى المستقبل القريب ، إلا أن المواطنين تابعوا مناقشات البرلمان والقرار الصادر عنه. **وقبل التصويت على الاتفاقية كانت مواقف المواطنين متباينة ويمكن القول أنه حتى بين المواطنين المؤيدين لانضمام تشيكيا لحلف الناتو كان يسود نوع من التوجس وعدم الاطمئنان .**

كنتيجة لهذا الوضع ، فان قيادة حلف الناتو عند تقييمها للخطوات والجهود المبذولة

من قبل الحكومة التشيكية للإنضمام للحلف **، انتقدت تقصيرها وعدم مبادرتها في تعبئة وكسب الرأى العام التشيكى فى الانضمام إلى حلف الناتو**. وعلى الفور سارع المسئولون وقيادات الأحزاب وبعض الشخصيات الوطنية إلى تنظيم حملات دعاية كان فى طليعتها بعض الفنانين والمثقفين تدعو للإنضمام لحلف الناتو. من قبل البرلمان خرجت تظاهرة مؤيدة نظمها بعض الفنانين والمثقفين الذين كانوا يرتدون أزياء عسكرية سوفيتية والمانية تصحبهم دبابات قديمة ويحملون مدافع ورشاشات.

خرجت كذلك تظاهرة أخرى ضد الانضمام للحلف وقد رفع المشاركون فيها شعارات معادية للناتو والتى كان من بين شعار يقول «الناتو يعنى ميونيخ أخرى».

ما تجدر الاشارة إليه إلى جانب ردود الأفعال العفوية من هنا وهناك من قبل المواطنين، والخاصة بمسألة الانضمام أو عدمه إلى المؤسسات العسكرية والمدنية الأوروبية، **هنالك عمل سياسى منظم يقوده بعض الافراد الذين يقف فى مقدمتهم السيد رومان رازينسكى الذى كان يعمل فى معهد السياسة والاقتصاد الدولى أثناء حقبة الحكم الشيوعى السابق. وقد قام رازينسكى بتشكيل مبادرة فى شهر يناير من عام ١٩٩٧ أطلق عليها اسم «مبادرة المواطنين ضد الناتو» والتى أصبحت تضم عشرين منظمة وأكثر من ٣٠٠ ألف مواطن.**

تجدر الاشارة إلى أن الأعضاء الشيوعيين فى المبادرة يشكلون الفئة الأكثر عدداً. لذلك فان المعارضين للمبادرة يتهمونها بأنها واقعة تحت تأثير شيوعى قوى.

أحد الأعضاء الشيوعيين فى المبادرة صرح بأن أهداف حلف الناتو ظلت كما هى ولم يطرأ عليها تغيير منذ إنتهاء الحرب الباردة. كما أنه لا يوجد أى خطر خارجي يمكن أن تتعرض له الجمهورية التشيكية.

إلى جانب الشيوعيين تضم المبادرة كذلك خمسين عضواً من الحركة المسيحية.

رئيس الحركة المسيحية **أوغنيان توليشكوف** يعتبر الانضمام لحلف الناتو مخالفاً لاحكام الدين لأن الوصية المسيحية تنهى عن القتل.

خلاصة القول أن المعارضة التى يتزعمها **رازينسكى** ضد انضمام الجمهورية التشيكية لحلف الناتو، ترتكز فى معارضتها على ثلاث حجج رئيسية يمكن تلخيصها فى الآتى:

١- فقدان السيادة الوطنية للجمهورية التشيكية.

٢- التكاليف الباهظة التى ستترتب على الانضمام لحلف الناتو.

٣- التباين السياسى والجغرافى المحيط بعملية الانضمام.

فى هذا الخضم من ردود الأفعال المتعلقة بالانضمام أو عدمه لحلف الناتو من قبل الجمهورية التشيكية، يلفت الانتباه مقاله للكاتب والصحفى التشيكى البارز وأحد المدافعين عن الحقوق المدنية وإشاعة الديمقراطية، بيتر أول فى صحيفة «برافو» الصادرة بتاريخ ٢٧-١١-١٩٩٧. التى تعرض فيها إلى التأثير الأمريكى والتأثير السوفيتى على السياسة التشيكية فى الماضى والحاضر. نكتفى هنا فى هذا الحيز بما اثاره حول التأثير الأمريكى فيما يتعلق بانضمام تشيكيا لحلف الناتو.

يقول بيتر أول:

«أعرف بما فيه الكفاية حول السياسة الخارجية الأمريكية فى فيتنام مثلا أو تأثير المخابرات الأمريكية فى تشيلى أثناء الحكومة الاشتراكية، والأسباب النفطية لحرب الخليج، وتوطيد الوضع السلطوى عن طريق «الناتو» الذى هو على أقل تقدير من الناحية العسكرية منظمة أمريكية، ولكن الكثيرين يرون فى ذلك نشر الديمقراطية (الأمريكية) وتحقيق أسلوب الحياة الأمريكية وأنا تقليدياً مع صف الذين يتوجسون خيفة من هذه الامبريالية الثقافية».

واستطرد «**بيتر أول**» ذاكراً أن حملة الحكومة الداعية للدخول إلى حلف الناتو تصور الأمر على أنه الحل الوحيد وتصف الذين يقفون ضده بالتطرف والعداء للديمقراطية، وهذا يعنى حسب رأى «أول» أن ذلك يعنى أنه لا يوجد إلا طريق واحد كما كان عليه الحال فى الماضى. وخلص بيتر أول إلى القول بعد أن عبر عن أسفه مؤكداً على أن: «**الذين يحكمون البلاد لديهم علاقة موالاة للولايات المتحدة الأمريكية شبيهة بموالاة حكام ما قبل نوفمبر للاتحاد السوفيتى وأشار كذلك إلى أن أسلوب الاكراه الذى كان السوفييت بارعون فيه استبدل اليوم باسلوب التلاعب والحيل.**»

ردود الأفعال العالمية:

الموقف الروسى من عملية توسيع «الناتو» نحو الشرق لم يتغير خيث أن روسيا ترفض تماما هذا التوسع الذى ترى فيه قاعدة جديدة لأسلحة الدمار الشامل. **أندريه كوكشين** أمين مجلس الأمن الروسى صرح فى منتصف شهر مارس هذا العام أن روسيا تنظر بعدم ارتياح إلى عملية توسيع حلف الناتو نحو الشرق وأنها سترد بشكل مناسب عند ظهور أسلحة نووية فى أراضى الدول الأعضاء الجدد.

الملاحظ فى الجانب الآخر السعى المحموم لقيادة حلف الناتو للاسراع فى توسيع حلف **الناتو نحو الشرق والعمل على ضم الجمهورية التشيكية وبولندا والمجر**. يعزز ما ذهبنا إليه الزيارات المتبادلة المكوكوية التى قام بها قادة الحلف إلى عواصم تلك البلدان وكذلك الزيارات التى قام بها المسئولون فى تلك البلدان إلى مقر الحلف فى بروكسل والاتصالات واللقاءات التى أجروها مع كبار المسئولين فى البلدان المؤثرة الأعضاء فى الحلف.

بعد انكشاف فضيحة تمويل «**الحزب المدنى الديمقراطى**» الحاكم آنذاك والذى كان فى طليعة الراعين للانضمام لحلف الناتو وبعد انهيار الحكومة الذى أدى إلى أزمة سياسية هزت البلاد، سارع وزير الخارجية **باروسلاف شدفى** إلى بروكسل كى يطمئن المسئولين فى حلف الناتو وفى طليعتهم الأمين العام للحلف **خافيير سولانا**، أن بلاده لا زالت متمسكة بمساعيها الهادفة للانضمام لحلف الناتو. **وبعد فترة وجيزة من تلك الزيارة وافق مجلس النواب التشيكى فى جلسته بتاريخ ١٣-٢-١٩٩٨، على قرار إنضمام تشيكيا لحلف الناتو فى مرحلة القراءة الأولى لمشروع القرار الخاص بذلك.**

من بين ردود الفعل العالمية الايجابية بالنسبة للحكومة التشيكية مصادقة برلمان المانيا الاتحادية على اتفاقية توسيع حلف الناتو بضم الجمهورية التشيكية وبولندا والمجر إليه. كما وافقت من قبل كل من كندا والدنمارك والنرويج.

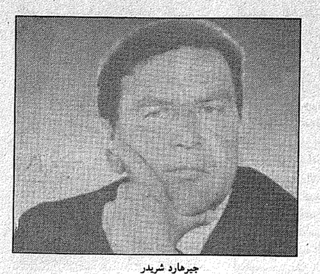
عواصم الدول الأوروبية وخاصة الأعضاء فى حلف الناتو كانت تتابع مناقشات البرلمان التشيكى، كما تلقت بارتياح القرار الذى اتخذ والقاضى بالموافقة على اتفاقية إنضمام الجمهورية التشيكية لحلف الناتو.

وزيرة الخارجية الأمريكية **مادلين أولبرايت** استقبلت فى واشنطون رئيس الوزراء التشيكى **يوزف توشوفسكى** فى غداء عمل وهنأته على مصادقة البرلمان التشيكى على الاتفاقية.

قيادة حلف الناتو فى بروكسل التى كانت تتابع هى الأخرى المناقشات، أبدت ارتياحها لاتخاذ القرار واعتبرته ايجابيا.

بذلك يصبح أمر قبول عضوية الجمهورية التشيكية فى حلف الناتو رهيناً باستكمال بعض الاجراءات التى من بينها موافقة بقية الدول الأعضاء فى الحلف والتى من المفترض أن تتم فى شهر أبريل من عام ١٩٩٩.




جيرهارد شريدر


هيلموت كول

البحث عن حليف يرجح الكفة فى الانتخابات الالمانية

الحياة السياسية فى ألمانيا يسودها بشكل كامل الانشغال بالمعركة الانتخابية التى ستجرى يوم **٢٧ سبتمبر** أى بعد نحو أربعة أشهر . وتتتابع استطلاعات الرأى ومؤتمرات الاحزاب وهى بالأساس (خاصة بالنسبة للاحزاب الكبيرة مثل المحافظين والديمقراطيين الاجتماعيين) مهرجانات إعلامية يسودها جو مديح الذات والهجوم على المنافسين بهدف كسب الرأى العام وتأطير الفكر السياسى فى قنوات محددة.

ومع ارتفاع حرارة المعركة حول حكم ألمانيا **من ١٩٩٨ حتى خريف ٢٠٠٢** وسعى كل حزب لتأكيد صلاحية تصوراته وحلوله هو وإبراز مثالب بقية الاحزاب (حتى المتحالفة معه حاليا) ،يصعب على المواطن التمييز بين النوايا الحقيقية والوعود الانتخابية التى يطويها النسيان بعد انتهاء الاقتراع .وتلعب مسألة التحالفات المحتملة بعد انتخابات ١٩٩٨ دورا هاما فى الحسابات السياسية ومن المؤكد أن الحكومة القادمة ستتشكل من عدة أحزاب وليس من حزب واحد.

ومن المؤكد أيضا أن السؤال الكبير عما سيأتى به يوم ٢٧ سبتمبر ،وهل سيكون يوما فاصلا بالنسبة للسياسة الالمانية سيظل قائما بعد الانتخابات ،فلا توجد خلافات سياسية أساسية بين الخصمين الاساسيين (الديمقراطى الاجتماعى ومرشحه **شريدر**من ناحية ،وكتلة المحافظين ومرشحها رئيس الحكومة الحالية **كول**) .ويحصل طرفا الصراع الأقوى معا على نحو ٦٨ بالمائة من الأصوات ،وهما اللذان يحددان الوجهة الرئيسية للسياسة مهما كان اسم الحزب الحليف الذى يحتاجه كل منهما لتشكيل أغلبية برلمانية كافية للحكم . **ولكن قسما كبيرا من الرأى العام يربط نهاية حكم المحافظين والليبراليين المسيطر منذ نحو ١٥ سنة بنشوء فرصة للتجديد وإخراج البلاد من المأزق السياسى والاجتماعى الذى تعيشه.**

الديمقراطى الاجتماعى يتقدم والمحافظون مرتبكون

وتقول نتائج استطلاعات الرأى(المنشورة يوم ١٦ مايو) أن **الحزب الديمقراطى الاجتماعى** سيحصل على ٤٣٪ مقابل٣٥٪ من الاصوات **للكتلة المشكلة من الديمقراطى المسيحى والاجتماعى المسيحى (البافارى)** ، وستذهب ٥ إلى ٦٪ من الأصوات إلى حزب **الأحرار الليبرالى،**ومثلها **للخضر** ، و٤ إلى ٥٪ **لحزب الاشتراكية الديمقراطية (الالمانى الشرقى). ويعنى هذا أن حكومة من الديمقراطى الاجتماعى والخضر هى المرجحة**،إلا أن المعركة ليست محسومة ويمكن حدوث تغيرات فى المزاج العام وتحديدا فى النسبة الكبيرة نسبيا من الناخبين من غير الانصار الثابتين لهذا الحزب أو ذاك.

ولا زال **المستشار كول** يطلق التصريحات المتفائلة مذكرا بأن استطلاعات الرأى رجحت سقوطه فى الانتخابات الاتحادية السابقة وجاءت النتيجة بنجاحه عام ١٩٩٤ . ويعدل الاتحاد المسيحى من تكتيكاته الانتخابية وتبين حيرته الشديدة فى اختيار شعارات يمكن أن تجذب له الاصوات بسبب مسئوليته عن المشاكل الكبرى التى أنشأها حكمه وعلى رأسها مشكلة البطالة الجماهيرية.

معركة المعسكرات

ولكن المستشار ،الذى رغم معارضه ليست قليلة فى حزبه لترشيحه وتفضيل أوساط واسعة من مؤيدى الحزب المسيحى لترشيح وجه آخر هو **فولفجانج شويبله** رئيس الكتلة البرلمانية للاتحاد المسيحى فى البوندستاغ ، يواصل باصرار التأكيد على أنه يملك الاستراتيجية الواقعية الوحيدة ولا بديل لها ،والمقصود هى استراتيجيته النيوليبرالية **(مما يعنى المزيد من الخصخصة ، وتخفيف أعباء الدولة بتحويل المسئولية عن السياسات الاجتماعية ليتولاها «المواطنون» -أى السير على طريق خصخصة قطاع المعاشات والرعاية الصحية، وترك حل مشكلة البطالة للسوق)** . وان كانت مقتضيات المعركة الانتخابية

رسالة المانيا

نبيل يعقوب

تضطره إلى طرح شعارات عامة والتصريح بوعود توحى أن المستقبل سيكون مضيئا للجميع.

وتمثل **قضية مكافحة الجريمة وضمان أمن المواطنين** شعارا رئيسيا آخر فى دعاية المحافظين وقد بينت الممارسة فى الفترة النيابية التى قاربت نهايتها أن مفهوم المحافظين لضمان الأمن يعنى تقليص ضمانات احترام حريات المواطنين وحرمة بيوتهم (صدرت قوانين تتيح الإنصات للمكالمات التلفونية وزرع أجهزة الإنصات فى البيوت وإن كانت تشترط-بعد مقاومة من الرأى العام وتعديلات أصر عليها **الحزب الديمقراطى الاجتماعى- قرارا من ثلاثة قضاة ولا تسرى مجموعات مهنية عديدة منها** النواب والمحامين والصحفيين والاطباء والممرضات ورجال الدين وآخرين) . يضاف لهذا استمرار المحافظين **فى استخدام ورقة الاجانب وتحميلهم مسئولية البطالة والجريمة مما** يصب الزيت على نار اليمين الراديكالى.

وتعتمد دعاية المحافظين على إنجاز حكمهم فيما يخص **الوحدة الأوروبية** والتى لعب **المستشار كول** دورا بارزا فى إيصالها إلى نتيجتها الحالية وأبرز معالمها **تحقيق وحدة العملة فى بلدان الاتحاد الأوروبى ب «اليورو» بدءا من أول يناير ١٩٩٩ بالرغم من معارضة أكثر من ٦٠٪ من المواطنين الالمان.**

وخوض المعركة الانتخابية بالتركيز على فروق أساسية فى السياسة يسميه الاعلام الالمانى «**معركة معسكرات**» تمييزا عن المعركة بين طرفين يقفون على نفس الارضية. ولكن الحزب الديمقراطى الاجتماعى يقف فعلا على نفس الارضية وان كان يعد بتخفيف وطأة السياسات النيوليبرالية على المواطنين . وهو كما يبين **شريدر** مرشحه لرئاسة الوزارة يركز على الفروق فى الاساليب والفروق بين الاشخاص . ولهذا يحذر فولفجانج شويبله وهو أهم استراتيجيى المحافظين ،من أن يخوض حزبه معركة تستدرجه إلى الدخول فى جدل حول التوجهات الاستراتيجية.

من يرجح الكفة

وتدور المعركة الرئيسية في تقرير من يحكم ألمانيا بعد ٢٧ سبتمبر بين **الخصمين الكبيرين وهما المحافظين والديمقراطيين الاجتماعيين** . ولكن موازين القوى السياسية فى ألمانيا حتمت حتى الآن **تشكيل حكومات ائتلافية بين حزبين وكانت على الأغلب من المنتصر الرئيسى وحزب صغير** لترجح كفة الميزان .ومثل حزب **الاحرار الليبرالى** طوال عشرات السنين ذلك الوزن المرجح للكفة لتشكيل الأغلبية البرلمانية اللازمة. **ولأول مرة تنشأ امكانية أن تلعب قوة سياسية أخرى هذا الدور على المستوى الاتحادى** .وكما تبين نتائج استطلاع الرأى **أصبح الخضر مرشحين لترجيح الكفة.** هذا الواقع الجديد يزعج بشكل ملحوظ آباء النظام لأن الخضر رغم كل ما حدث لهم من تدجين واستئناس،تبينت نتائجه خاصة فى سياساتهم خلال مشاركتهم فى الحكم على مستوى المقاطعات- ،لا زالوا على يسار **الحزب الديمقراطى الاجتماعى** ولا زالت قواعدهم قادرة على الضغط على قياداتهم بشكل يثير قلق الرأسمال والقوى الحارسة للنظام الاجتماعى.

معسكر المحافظين وحلفائهم الليبراليين

الذى يحمل عبء نتائج سياساته غير الشعبية يواصل القول أن كل ما يشكو الناس منه كان يمثل صعوبات البداية والتى تم تجاوزها وأن إصلاحاته بدأت تؤتى ثمارها . ولكن الأمور لا تسير ولا تمر بالبساطة المرجوة ، ليس فحسب بسبب النقد الموجه لهذه السياسات من أطراف المعارضة ، بل أيضا بسبب **التنافس داخل معسكر الحكم الحالى** .فمن ناحية يسعى الاحرار لتدارك وضعه الخطر(السير على حافة الهاوية بنسبة أصوات تتأرجح حول ال٥٪ وهى النسبة اللازمة لدخول البوندستاغ) وذلك ببذل **جهد محموم للتميز عن سياسات المستشار كول** ليكون هو المسئول عن المثالب. ومن ناحية أخرى يسعى الحزب الاجتماعى **المسيحى (البافارى)** الذى يشترك مع **حزب كول** فى كتلة برلمانية واحدة فى البوندستاغ لتحسين فرصة الانتخابية بأسلوب مشابه للاحرار ولكن **بهدف الحصول على أصوات اليمين القومى** وسبيله إلى ذلك هو انتقاد التسرع فى فرض العملة الأوروبية الموحدة والمطالبة بتوفير ضمانات تجعل هذه العملة صعبة مثل المارك ، اضافة للمزايدة فى قضية الأمن والاجانب وهو هنا يصطدم بحزب الاحرار.

القوة الرئيسية فى معسكر الخصوم هى الحزب الديمقراطى الاجتماعى والذى بعد انتصاره المدوى فى انتخابات مقاطعة **نيدرساكسن** انتقل لتوسيع قاعدته الانتخابية اعتمادا على الرغبة الشعبية فى التغيير . وهو يطبق سياسة حذرة مستهدفا ما يسميه «**الوسط الجديد**» دون أن يحدد بشكل قاطع ماهية نهجه. وليس عند الديمقراطى الاجتماعى ثقة كاملة فى النصر لان فرصته الكبيرة فى النجاح فى انتخابات عام ١٩٩٤ تحولت إلى هزيمة خلال ستة أسابيع بعد «غارات» الدعاية الانتخابية التى شنتها ضده القوى المحافظة ودوائر رجال الأعمال.

نموذج ماجديبورج وبعبع الشيوعية

من المعضلات التى تواجه قادة الديمقراطيين الاجتماعيين فى بون هى **التوجه السياسى المختلف لسكان الشرق** .فى الشرق **أغلبية واضحة تكفى لتحمل لسدة الحكم تحالفا مشكلا من قوى على يسار المحافظين** .وبشكل ملموس تؤيد نسبة كبيرة من مواطنى الشرق تشكيل **حكومات من الديمقراطيين الاجتماعيين والخضر بدعم من حزب الاشتراكية الديمقراطية** . بل ان هذا الدعم الذى تواصل لمدة أربع سنوات فى محافظة **ساكسن أنهالت** الالمانية الشرقية(عاصمتها ماجديبورج) هو الذى مكن ان تتشكل حكومة اقلية يرأسها الديمقراطى الاجتماعى **هينر** وشاركه فيها الخضر.

وقد دفعت موازين القوى فى أكثر من مقاطعة شرقية الديمقراطيين الاجتماعيين لتحبيذ هذا الحل الذى يعرف فى المانيا باسم «**نموذج ماجديبورج**». ولكن هذا النموذج يعنى تغيير **المعادلة التاريخية** التى سادت فى الغرب منذ قيام جمهورية المانيا الاتحادية والتى تقوم على أن يتحالف الحزبان الكبيران معا فيما يسمى بالائتلاف الكبير أو ، وهذا هو الشكل الغالب ، أن يتحالف أحد الحزبين الكبيرين مع الاحرار . واعتبرت هاتين الصيغتين صيغاً «**حافظة للنظام**» .وكانت تعنى أن حزب الاحرار الذى لا يحقق فى الانتخابات العامة سوى بضع نقاط فوق نسبة الخمسة بالمائة يكون له وزن فى الحكم أقوى من أحزاب تفوق نسبته باضعاف . وقد شن تحالف المحافظين والاحرار حملة شرسة عام ١٩٩٤ ضد الحزب الديمقراطى الاجتماعى عندما قبل صيغة نموذج**ماجديبورج** باعتباره **انتهك حرمة واحدة من مقدسات الاجماع القومى وأسس الدولة الديمقراطية.**

ولا تتوقف أصوات دعاية المحافظين وحلفائهم عن تكرار القول بأن الديمقراطيين الاجتماعيين يريدون الوصول إلى الحكم اعتمادا على أصوات النواب «**الشيوعيين**» .ورغم أن **حزب الاشتراكية الديمقراطية ثبت رسوخ جذوره فى الشرق** (٢٠ بالمائة من الناخبين في الشرق) في انتخابات البوندستاغ السابقة وحسب التوقعات الحالية) ،كما أن **برنامجه السياسى وبرنامجه الانتخابى لا يبرر وصفه بالحزب الشيوعى رغم منبعه التاريخى** ،إلا أن سلاح التخويف من الشيوعية لا زال سلاحا ماضيا فى غرب المانيا حيث الكتلة الكبرى من الناخبين (٨٠٪) خوف **شريدر** مرشح الديمقراطيين الاجتماعيين لمنصب رئيس الوزراء الاتحادى (مستشار المانيا) يجعله يصرح اليوم بعد الآخر أنه لن يتعاون مع حزب الاشتراكية الديمقراطية ولا يقبل أن يعتمد على أصوات نواب ذلك الحزب في البوندستاغ

هل تحسم الاحزاب الصغيرة مستقبل الحكم؟

عند التصويت علي انتخاب المستشار.

هذا الموقف واجه أزمة لا زالت ذيولها تعمل عندما أعطى الناخبون فى **مقاطعة ساكسن انهالت** الشهر الماضى ٣٤٪ من الأصوات للديمقراطى الاجتماعى (زيادة ٢٪ بالنسبة لعام ١٩٩٤) و ٢٢٪ للمسيحى الديمقراطى (خسارة ١٢٪ من الاصوات) و٢٠ بالمائة لحزب الاشتراكية الديمقراطية. ولم ينجح الخضر والاحرار فى تحقيق النسبة اللازمة لدخول البرلمان. وإن كانت الانتخابات جاءت بمفاجئة مفزعة عندما حصل **حزب يمينى متطرف «اتحاد الشعب الالمانى» على ٩ر١٢٪ بالمائة واستطاع بذلك حزب يمينى متطرف لأول مرة أن يدخل برلمان مقاطعة المانية شرقية.**

ومن تقاليد الحياة السياسية الالمانية أن يقرر الحزب في المقاطعة مع من يتحالف. إلا أن **شريدر** الذى قرأ خطورة الموقف متوقعا حملة ضارية من معسكر المحافظين لو تشكلت حكومة أقلية من الديمقراطى الاجتماعى اعتمادا على دعم (أو كما يسمى فى الالمانية «صبر» حزب الاشتراكية الديمقراطية) سارع بالتصريح انه لا بديل عن تشكيل حكومة مشتركة من الديمقراطى الاجتماعى والحزب المسيحى.

واعتبر **هينر** رئيس وزراء المقاطعة هذا تعديا على صلاحيات الحزب فى المقاطعة وتجاوزا لارادة الناخبين . ورفض الامتثال لضغوط قيادة حزبه فى بون مما **انتهى لان يجرى الآن التحضير لتشكيل حكومة بدعم من حزب الاشتراكية الشرقى. للصراع حول نموذج ماجديبورج** دلالة سياسية هامة أبعد من **حدود مقاطعة ساكسن انهالت** لانه مؤشر على وجود **امكانيات واقعية لاقامة حكم بديل عن حكم للمحافظين ومتحرر من مشاركتهم وذلك من خلال التعاون مع قوى تقف على يسار الحزب الديمقراطى الاجتماعى.**

وأثارت هذه القضية نقاشات واسعة عن **مدى استعداد احزاب الغرب لاحترام ارادة الناخبين فى الشرق وان كان مسموحا فى الديمقراطية الالمانية بأن يحدث شئ يقل بكثير عن الممارسة السياسية فى فرنسا حيث لا تقوم الدنيا عند تحالف الاشتراكيين مع الشيوعيين فى الحكم** بل أن العديد من قادة الديمقراطيين الاجتماعيين ومنهم هينر صرح **بأن شرق ألمانيا ليس مستعمرة يقرر مصيرها الساسة فى الغرب.**

أزمة الخضر

والحليف المرجح للديمقراطيين الاجتماعيين فى حال حصولهم على أكبر نسبة من الاصوات هم الخضر. ولكن حزب الخضر يعانى من **أزمة خانقة فى الغرب والشرق** . وبعد أن كانت نتائج استطلاعات الرأى تتوقع حصولهم على ١١٪ من الاصوات فى انتخابات البوندستاغ تدهور وزنهم بعد مؤتمرهم الذى عقدوه فى مدينة **ماجديبورج** منذ شهرين واقروا فيه برنامجهم الانتخابى.

ورغم أنهم لم يأتوا بشكل جديد كل الجدة إلا أن شعاراتهم أعطت **فرصة لهجوم ضار من كافة الاتجاهات المنافسة مما أفقدهم خلال بضعة أسابيع نحو ثلث الاصوات** ،وتبين هذا فى انتخابات **نيدرساكسن** حيث انخفضت اصواتهم بعض الشئ ثم فقدوا تمثيلهم فى برلمان مقاطعة **ساكسن انهالت.** وكان مؤتمرهم قد طالب بفرض« **ضريبة ايكولوجية» برفع أسعار البنزين تستخدم حصيلتها فى دعم الصناديق الاجتماعية** (المعاشات وتأمينات المرضى مما يؤدى فى نظرهم إلى خفض تكلفة الاجور وتشجيع التوظيف) ،كما وقف مؤتمرهم بأغلبية صوت واحد **ضد اشتراك الجيش الالمانى فى أية عمليات عسكرية خارج حدود المانيا**ومنها قوات SFOR فى بوسنيا، كما سمح بعض نوابهم لانفسهم بالتصويت **ضد توسيع حلف الناتو.**

ورغم أن **الخضر لم يخرجوا عن حدود النيوليبرالية** إلا أن القيامة قامت ضدهم واتفقت تصريحات قادة المحافظين وقادة الديمقراطيين الاجتماعيين علي وصفهم باللامسئولية وبأنهم طرف لا يمكن الاعتماد عليه سواء فى السياسة الداخلية أو الخارجية . ويكمن نفاق الاحزاب الكبيرة هنا فى أنها **كلها تتفق على أنه لا مناص من رفع أسعار البنزين والطاقة عموما ليحدث شئ ايجابى فى سوق العمل**، ولكنها بالطبع أطبقت الصمت عما تتضمنه تقارير خبرائها لعدم مناسبة هذا لكسب الاصوات.

واستثمر **شريدر** الموقف ليمارس الضغط على الخضر مما فسره بعض المعلقين على أنه تعبير عن استعداد **شريدر** لاقامة التحالف الكبير مع المحافظين . ولكن لاقى انتقادا شعبيا واسعا لان رفع اسعار البنزين ستكون ضربة موجهة أساسا لمحدودى الدخل ، أما التجار وأصحاب الرأسمال فلن يترددوا لحظة فى إضافة الزيادة فى سعر البنزين إلي أسعار السلع ليتحملها الجمهور الواسع فى النهاية.

ولا تشارك الجماهير (فى غرب المانيا خاصة) حركات السلام فى قلقها من وجود جنود ألمان فى صفوف قوات حفظ السلام فى البوسنة. بل بالعكس اذ تنظر نسبة كبيرة من الالمان إلى هذه المشاركة بشكل ايجابى .وليست هذه المرة الأولى التي يوصف فيها الخضر بسبب صراعاتهم الحزبية وكلها معلنة على الملأ بأنهم « **مثقفون يمارسون هواية حماية البيئة ولا تهمهم كثيرا المشاكل المباشرة للإنسان البسيط».** وفى الواقع أن برامجهم لم تتعرض لمشكلة البطالة ،وهى أول هموم المواطن الالمانى ،بما تستحقه من أهمية ولا بشكل يفهم دون عناء.

وأزمة الخضر فى الشرق انهم اهتموا بنقد ماضى المانيا الديمقراطية وبالكفاح ضد حزب الاشتراكية الديمقراطية فى السنوات التالية للوحدة **بأكثر من اهتمامهم بخلق صلات وثيقة بالمواطنين.** ناهيك عن أن الهامش المتاح للعمل السياسى الجماهيرى على يسار الحزب الديمقراطى الاجتماعى فى شرق المانيا كان ولا زال يشغله حزب الاشتراكية الديمقراطية.

الخضر بين تعديل برنامجهم وفقدان هويتهم

وقد حزب الخضر بعد الحركة الطلابية عام ١٩٦٨، فى أوساط الطلاب والمثقفين كحركة راديكالية تناضل من أجل السلام ومن أجل حماية البيئة وتهاجم الرأسمال وتطالب بالعدالة الاجتماعية والديمقراطية . وقد شقت الحركة غير المتجانسة ، والمشكلة من مثقفين احتفظوا بقدر كبير من الفردية والاستقلالية التى كثيرا ما تمنع الاتفاق على موقف موحد للحزب، شقت طريقا طويلا وصعبا حتي وصلت كحزب للخضر إلى التمثيل في البوندستاغ وفي معظم برلمانات المقاطعات والمحليات فى المانيا . ويعتقد معظم الالمان أن الخضر لن يستطيعوا تجاوز أزمتهم والعودة إلى احتلال مواقعهم التي وصلت إلى نسب هامة فى برلمانات المقاطعات الغربية والمشاركة في عدد من حكومات هذه المقاطعات.

ووضع حزب الخضر سيكون له تأثير بالغ الأهمية على تشكيل الحكومة المقبلة اذ يمثل اختفاؤه من البوندستاغ أو دخوله بنسبة ضئيلة فرصة كبرى للقوى التي تسعى لتشكيل حكومة قومية من الحزبين الكبيرين مما يكرس السياسات الراهنة.

الاعلام الذى يعبر عن ضيق الالمان بالجمود الذى وصلت إليه البلاد تحت حكم التحالف المحافظ النيوليبرالى يمهد للتغيير ولكن قبل أن يصل ائتلاف جديد للحكم فهو

يوضع يوميا في امتحان ما يسمى «**أهلية الحزب الحاكم**» .ويواجه الخضر المطلب الصريح اذ عليهم لينالوا رضا التيار السائد فى الاعلام أن يتخلوا عن قضايا محورية فى سياساتهم.**فلكى يعتبروا أهلا لممارسة الحكم عليهم أن يتخلوا عن مبدئهم القديم فى حل الاحلاف العسكرية وبالتالى حل الناتو وخروج المانيا منه أولا، وعليهم أن يقبلوا قيام البونديسفير بعمليات عسكرية خارج الحدود وخارج منطقة حلف شمال الأطلسي ويؤيدوا توسع حلف شمال الأطلسي، وعليهم أن يعلنوا سياسة اقتصادية لا تخيف الرأسمال ،حتى لا يهرب وعليهم ،وعليهم.**

والاحزاب الجديدة فى ألمانيا تكاد تضيع بين الاقدام عندما تحتدم المعارك الكبرى . وكل من الاحزاب الكبيرة يحاول أن يحتل باعلامه وبرامجه المساحات الصغيرة التى تخدمها الاحزاب البديلة.

وأول مرة يشارك فيها الخضر فى الانتخابات كانت عام **١٩٨٠** وحصلوا على **١ر٥٪** من الاصوات فقط وفى عام ١٩٨٣ دخلوا البرلمان بنسبة **٦ر٥** وزادوا نسبتهم عام ١٩٨٧ فحصلوا على **٧ر٨٪** وكان هذا علامة على قبول متزايد من المثقفين واستمر الخلل الواضح فى علاقتهم بالنقابات اذ وضع موضوع حماية البيئة كنقيض للابقاء على أماكن العمل .وفى عام الوحدة (١٩٩٠) حصدوا هزيمتهم مثل بقية قوى اليسار فلم يحققوا نسبة ال٥٪ التى تؤهلهم لدخول البونستاغ ، ولكن بفضل قرار للمحكمة الدستورية الفيدرالية تمثل الخضر من المقاطعات الشرقية فى البرلمان . وعاد الخضر في انتخابات ١٩٩٤ إلى البوندستاغ (٣ر٧٪) .منذ شهور قليلة أعطتهم استطلاعات الرأى نسبة أعلى (بين ٩٪ و١١٪) . وبعد نجاح **شريدر** ومؤتمر الخضر فى مدينة ماجديبورج انخفضت النسبة إلى ٧٪.

ويجرع الخضر الآن الكأس المرة اذ يرسم الاعلام صورتهم التى تمثل الفزاعة . فزاعة المواطنين.

لغة الاعلام تبين كيف يستخدم طعم احتمال المشاركة فى الحكم لجر الاحزاب التى تمثل بديلا إلى تبنى المواقف الأساسية للنظام وتفرض عليها انضباطا يسمونه أهلية الحكم.

كتبت **در شبيجل** فى ٣٠-٣-٩٨ : «الصراعات الداخلية علي السلطة» فى حزب الخضر هى كما يبدو أهم من الهدف السياسى الاعلى والذى أصبح فى متناول اليد كما لم يحدث أبدا قبل ذلك ، ألا وهو المشاركة فى حكم القوة الاقتصادية العالمية الثالثة ثم تكتب :**إما أن ينجح الخضر حتى ٢٧ سبتمبر (موعد اجراء انتخابات البوندستاغ) فى أن**

استراتيجية المحافظين فى ألمانيا.. تقوم علي مزيد من الخصخصة وتخفف الدولة من أعبائها.. وترك مشكلة البطالة للسوق.. وخصخصة المعاشات والرعاية الصحية

يقدموا أنفسهم كمحترفين سياسيين.. أو انهم سيؤكدون مرة أخرى المخاوف المتأصلة بعمق فى نفوس الناس.

حزب الاشتراكية الديمقراطية

حزب الاشتراكية الديمقراطية والذى لم يتمكن حتي الآن من أن يمد وجوده للغرب يستند إلى نحو ٢٠٪ من مواطنى شرق المانيا و١ بالمائة فقط من الالمان الغربيين .وهو الحزب الوحيد الذى يسعى بجدية للخروج من قفص النيوليبرالية بطرح بديل اجتماعى وديمقراطى(سنتعرض له تفصيلا في مقالنا فى العدد القادم) .ويمثل هذا الحزب بالنسبة للاعلام وللمراكز الأحزاب الكبرى المستقرة فى غرب المانيا العدو رقم واحد. والمعركة الدائرة ضده لم تتوقف ولم تهدأ يوما واحدا منذ الوحدة الالمانية.

ولا يوجد فى الغرب من يناقش أطروحات هذا الحزب والبدائل التى يقترحها .**الهجوم عليه يستخدم ترسانات العداء للشيوعية القديمة . ويركز الهجوم علي قيادته وماضيها السياسى.** ويتواصل اتهامه بأنه منظمة اجرامية . وبأن انصاره (٢ مليون صوت انتخابى) من ايتام العهد البائد. وبعد تقديم رئيسه الفخرى **هانز مودرو** للمحكمة وادانته بادعاء انه فى عام ١٩٩٠ ادلى بشهادة كاذبة أمام برلمان مقاطعة ساكسن واتهامه بأنه شارك في تزوير الانتخابات المحلية الأخيرة فى المانيا الديمقراطية سنة ١٩٨٩، اقرت لجنة من **البوندستاغ** منذ بضعة أسابيع تقريرا يتهم **جريجور جيزى** رئيس الكتلة البرلمانية للحزب فى البوندستاغ بأنه كان مخبرا غير رسمى فى الشتازى . القرار الذى اعترض عليه مندوبا حزب الاحرار الليبرالى فى لجنة التحقيق البرلمانية صدر باغلبية مشتركة من حزبى المحافظين والديمقراطيين الاجتماعيين.

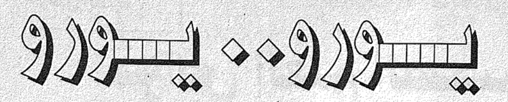
هذه الحملات المقصودة فى خضم المعركة الانتخابية ليس لها اثر كبير فى الشرق بل انها مستهجنة من ملايين المواطنين فى المقاطعات الشرقية الخمس والذين يعانون من التمييز فى الاجور وفى فرص التطور ومن تشويه تاريخهم بل وهويتهم كل يوم .**وأمل الاحزاب الغربية أن يكون حزب الاشتراكية الديمقراطية مجرد ظاهرة عابرة لم يتحقق، فهو بعد ثمانى سنوات من الوحدة يبرهن انه موجود وله جذور وقد اصبح بفضل هيمنة السياسية الغربية الحزب الممثل لصالح الالمان الشرقيين.**

شرط الخمسة بالمائة في نظام الانتخابات الالمانى يعتبره كثير من الالمان شرطا جائرا خاصة سكان الشرق اذ يفترض تحقيق حزب موجود أساسا فى الشرق لهذه النسبة يتطلب أن يحصل على ما يزيد على ٢٢ بالمائة فى الشرق لتكون له نسبة الخمسة بالمائة علي نطاق ألمانيا بسبب وجود أغلبية السكان فى الغرب.

ولكل مواطن **صوتين** فى النظام الانتخابى الألمانى الذى يجمع بين **الانتخابات بالقائمة** (التصويت لحزب) وبين انتخاب اشخاص **ممثلين للدوائر الانتخابية** (التصويت لمرشح عن دائرة محددة) .ومجموع نواب البوندستاغ متغير، نصف النواب يمثلون دوائر انتخابية والنصف الآخر يمثلون القوائم الحزبية. وفكرة الصوتين تريح الناخب من تناقض كثيرا ما يقع بين ميله لحزب معين وتقديره لشخصية مرشح من حزب آخر في دائرته الانتخابية.

والمرشح الذى يحصل على أكثر الأصوات فى دائرته وان كانت **أقل من ٥٠٪ يعتبر ناجحا** . وبالنسبة للاحزاب يوجد شرط الحصول على حد ادنى(٥٪) من الاصوات بدونه لا يمثل الحزب في البوندستاغ . ولكن هذا الشرط لا يسرى على الحزب الذى يفوز مرشحوه الفرديين فى ٣ دوائر انتخابية. **وهذه فرصة لحزب الاشتراكية الديمقراطية** الذى نجح فى أن يصل عن طريقها إلى البوندستاغ فى الدورة الحالية.





اعتمدت ١١ دولة من دول الإتحاد الأوروبى رسمياً الشهر الماضى «اليورو» كعملة رسمية موحدة، لتشكل أكبر كتلة اقتصادية وتجارية فى العالم، حيث تمتلك على سبيل المثال ٦ر٢٠ ٪ من الاحتياطى العالمى من الذهب، بينما تمتلك اليابان ٣ر١٨٪ والولايات المتحدة ١ر٤٪ كما أنها **تحتل المرتبة الأولى على صعيد التجارة الدولية، وتشكل صادراتها ٢٠٪ من حجم الصادرات العالمية** بينما لا تتجاوز صادرات الولايات المتحدة ١٦٪ واليابان ٧٪ من حجم هذه الصادرات.

وتبدو أهمية خطوة -اعتماد «**اليورو**» كعملة موحدة لأوروبا في أن الدول ال١١ التى اعتمدتها **تتمتع بفائض تجارى ضخم يبلغ ٩٠ مليار وحدة حسابية أوروبية «أيكو»** وهى الأب المباشر لليورو، أى حوالى **١٠٠ مليار دولار** فى حين تعانى الولايات المتحدة من عجز مزمن بسبب زيادة وراداتها عن صادراتها كما يزيد عدد سكان الدول ال١١ عن (**٢٩١ مليون نسمة**) عن عدد سكان الولايات المتحدة «**٢٢٦ مليون نسمة**» ،وهو مؤشر على الحجم الضخم لسوقها المحلى.

الخطوات العملية التى اتخذتها المجموعة الأوروبية للتحكم فى سوقها الداخلية، وبروزها كأكبر عملاق اقتصادى متماسك فى التاريخ الإنسانى أصبحت تتسارع يوماً بعد يوم، **ففى الأول من يوليو المقبل سيتم إعلان تشكيل البنك المركزى الأوروبى بفرانكفورت**، وسيكون مكلفاً باصدار «اليورو» وسيحل محل المؤسسة النقدية الأوروبية الحالية ،وهو الذى سيحدد سعر الفائدة وحجم التضخم فى الدول ال١١، إضافة إلى بقية الوظائف التقليدية للبنوك المركزية الوطنية).

وستكون الخطوة التالية عندما يعلن البنك المركزى الأوروبى فى ٣١ ديسمبر المقبل عن سعر «**اليورو**» مقابل العملات الأوروبية وبعدها بشهر واحد سيكون التعامل البينى بين دول أوروبا «**باليورو**» لتستكمل سيطرتها المطلقة على سوقها الداخلى. وسيشهد الأول من يناير عام ٢٠٠٢ التعامل باليورو كعمد: وطنية وحيدة لأوروبا ،وحتى ذلك الوقت فإن المصانع ومنافذ بيع البضائع ستكون مجبرة على تحديد الأسعار باليورو والعملة المحلية فى الوقت نفسه. وفى منتصف عام ٢٠٠٢ سيكون **اليورو** بفئاته المختلفة هو العملة القانونية الوحيدة لشعوب وحكومات الدول ال١١، وسيتم سحب العملات المحلية من التداول، وسيصدر فى عدة فئات مختلفة، أكبرها ٥٠٠ يورو وهذا يساوى حوالى ٣٠٠ جنيه استرلينى بالأسعار الحالية أى أن سعر اليورو الواحد حوالى ٥٧ بنساً انجليزيا.

ومع صدور اليورو ستصبح أسعار السلع الرئيسية فى أوروبا أكثر شفافية، لأن المواطن الأوروبى ليس مضطرا لأن يعرف أسعار العملات الأوروبية الأخرى مقابل سعر عملته المحلية، وفى الوقت الحالى يمكن أن يشترى المواطن الأوروبى أى شئ «باليورو» لأنه أصبح عملة قانونية رغم أنه لن يطرح فى الاسواق قبل عام ٢٠٠٢، وذلك عن طريق الحسابات البنكية وكروت الائتمان.

ومن الناحية الفنية فإن إصدار عملة موحدة لأوروبا «**اليورو**» مسألة ذات تكاليف باهظة، فمثلا **سيتكلف تغيير الماكينات الحسابية وماكينات الصرف الآلى وماكينات البيع فى الدول ال ١١ حوالى ١٠ مليار جنيه استرلينى** حسب احصاءات المفوضية الأوروبية، وسيبلغ حجم العملات المعدنية التى ستصدر خلال العام الأول من تطبيق اليورو ٣٠٠ ألف طن، وحجم «الفكة» على سبيل المثال- التى ستحتاجها بلجيكا (أصغر أعضاء الاتحاد الأوروبى من حيث عدد السكان) -سيتطلب نقلها ١٢٠٠ سيارة لورى ،**كما سيتم إصدار حوالى ٨٠ مليار يورو من العملات المعدنية لتلبية حاجة أسواق أوروبا منها.**

وحتى الآن يصعب معرفة الاثار السلبية أو الايجابية لليورو علي أوروبا أو على الاقتصاد العالمى. فمثلا يبلغ دخل الفرد السنوى فى أوروبا حوالى **١٩١٨٤ ايكو** وهو أقل من دخل الفرد فى الولايات المتحدة (**٢٧٥٦١ دولاراً** وفى اليابان **٢٢٣٧١ دولارا**. كما أن **معدل النمو فى أوروبا أبطأ منه فى الولايات المتحدة، فقد بلغ فى دول المجموعة الأوروبية العام الماضى ٥ر٢٪ فى حين بلغ ٨ر٣ ٪ فى الولايات المتحدة.**

والمؤكد أن **البطالة** هى نقطة الضعف الرئيسية فى الدول ال١١ ،حيث بلغت العام الماضى حوالى ٥ر١١ ٪ ويتوقع أن تنخفض إلى ٢ر١١٪ خلال العام الجارى و٧ر١٠٪ فى العام المقبل، بينما يتوقع أن يبلغ معدل البطالة فى الولايات المتحدة ٦ر٤٪ وفى اليابان ٥ر٣٪ خلال العام الجارى.

أضف إلي ذلك كله أن عددالعاملين فى الدول ال ١١ التى أعتمدت «**اليورو**» أقل منه فى الولايات المتحدة إذ **لا تتجاوز نسبة العاملين من المواطنين الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ و٦٤سنة نسبة ١ر٥٨٪ مقابل ٩ر٧٢٪ فى الولايات المتحدة و٥ر٦٩٪ فى اليابان** ،وهذا يعود إلى حجم البطالة والسياسات التى تتعلق بالتقاعد المبكر فى أوروبا.

المؤكد على سبيل القطع واليقين أن اعتماد اليورو عملة موحدة لأوروبا سيجعل اقتصادياتها أكثر ترابطا واعتماداً على بعضها البعض ،وهى -فى رأى كثير من المحللين -خطوة عملاقة تجاه إنشاء ولايات متحدة أوروبية قبل منتصف القرن المقبل، وخلال سنوات قليلة لن يقل «اليورو» أهمية عن «الدولار» فى الأسواق العالمية، وسيكون عملة منافسة للدولار فى هذه الأسواق، بل يرى كثيرون أنه سيزيح الدولار عن عرشه، ليكون العملة الرئيسية للعالم.

ترى أين العالم العربى من ذلك كله، وهل يمكن أن يأتى يوم نرى فيه «دينارا عربيا» موحدا !؟ وهل يقدر لجيلنا أن يشاهد سوقاً عربية مشتركة وحقيقية؟. وهل نرى -على الأقل- حدوداً مفتوحة بين أبناء الأمة الواحدة ذات الأصل المشترك والثقافة المشتركة والمصالح المشتركة .. وهل يمكن أن نتعلم الدرس من أوروبا .. ربما.

رسالة لندن

أحمد جوده

رحيق السنين

خواص العلم الصحيح

قدم الدكتور **أحمد مستجير** ترجمة رائعة لكتاب بعنوان **عقل جديد لعالم جديد»** يتحدث المؤلفان **روبرت اورشتاين وبول ايرليس** فى الكتاب عن أزمة العقل عند الإنسان المعاصر، إذ أن مخ الإنسان وحواسه معدة إعدادا جيدا لتفادى الأخطار الآنية كرؤية حيوان مفترس مهاجم ، أو رائحة لحم عفن، أو سخونة شئ ملتهب ، أو طعم حمضى لمادة سامة. وقد كفل هذا العقل وهذه الحواس فى الماضى حماية كافية للجنس البشرى للتمكن من معيشة معقولة ولتوريث جيناته جيلا بعد جيل.

ويوضح المؤلفان أن هذا العقل وهذه الحواس لم تعد تفى بوظيفتها : فمن الممكن أن نتعاطى مئات السموم التى تنتج فى المجتمع الصناعى الحديث دون أن نشعر بها .ومن الممكن أن نتعرض للعديد من الاشعاعات الضارة دون أن نهرب منها. ومن الممكن أن تتسمم أجسادنا، كما يحدث بالفعل الآن، بكميات قاتلة من المعادن الثقيلة ومبيدات الحشرات دون أن ننتبه إلى ذلك.

ويتحدث الكتاب عن ظاهرة تسمى**«ظاهرة الضفدعة»** فإنك إذا وضعت ضفدعة فجأة فى ماء ساخن ، فإنها تقفز هاربة . ولكن إذا وضعتها فى ماء بارد ورفعت درجة الحرارة تدريجيا فإنها تبقى فى مكانها حتى تموت . ولعل أقرب مثل مشابه لهذه الظاهرة بين البشر هو التسمم بأول أكسيد الكربون، فإن الإنسان المعرض له لا يشم رائحة ولا يشعر بأى ألم وإنما يستسلم للنوم ، فالأغماء ، فالوفاة دون أي رد فعل.

إنه عالم جديد إذن يحتاج فيه الإنسان إلى عقل جديد وتفهم جديد. إنه عالم يحتاج لإنسان خاص يعرف ويتفهم هذه الأخطار وفى نفس الوقت فإنه يمنح البشرية فرصة لمعيشة كريمة وسعيدة لو تمكن الإنسان من تسخير وسائل العلم لمصلحته.

ونحن فى مصر نواجه مثل باقى سكان العالم هذا العالم الجديد.**ويزيد من خطورة موقفنا أننا نجاور وحشا شريرا يخطط لمحاولة افتراسنا وأن هذا الوحش يملك ويصدر ويصنع فى مجال تكنولوجيا المعلومات ما يبلغ ٥٠-١٠٠ ضعف ما نملكه (الأهرام ٢٨ يناير) وأن نسبة العلماء (الحقيقيين) إلى السكان تبلغ مائة ضعف بالنسبة عندنا.**

وباختصار شديد،وكما يتفق أغلب المفكرين ، فإن الطريق الأساسى لمواجهة هذه الأخطار يمر **بالعلم** ..العلم بمعناه الحديث الذى يستعمله سكان العالم المتحضر وليس العلم بمعناه عندنا والذى نستعمله أحيانا فى الحديث عن ممارس التنجيم وممارسات الرقص فى الأفراح والموالد.

وكما ذكرنا سابقا ، فإن **العلم الحقيقى يواجه فى جميع أنحاء العالم بما يطلق عليه اسم «العلم الزائف»**. وإذا كانت البلاد المتقدمة تستطيع أحيانا تحمل ترف هذه العلوم الزائفة فتصبح مصدر تسلية لها- حتى وإن نتج عنها انتحار عشرات من الشبان العاملين بالكمبيوتر فى محاولة للحاق بمراكب فضائية تنتظرهم خلف الشمس فإننا فى سباقنا هنا نحو التقدم لمواجهة الخطر القادم لا نستطيع تحمل نفقات هذه التسلية.

وشعبنا الطيب الكريم يستطيع عادة التمييز بين العلم والعلم الزائف وله فى ذلك تراث من الأمثلة والحكم : **«قالوا الجمل طلع النخلة - آدى الجمل وآدى النخلة»**، وفى الأديان السماوية لنا ما يحض عن البعد عن هذا الدجل الكريه . ففى العهد القديم «لا يوجد فيكم من يتعامل مع العرافين ولا المنجمين ولا السحرة ولا من يصنع حجابا ولا من يتصل بالجن ولا من يستشير الموتى (**تثنية ١٨-١٠:١١**)**،وفى القرآن الكريم»** أم عندهم الغيب فهم يكتبون « **(الطور ٤١)** ، عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا **(الجن ٢٦)**.

ولكن الطامة الكبرى عندنا تكمن فى جانب من مثقفينا الذين أنحدر جانب كبير منهم إلى جلسات تحضير الأرواح ، واللجوء إلى«العمل» وقراءة الفنجان علاوة على اكتشافات مزعومة لعلاج الايدز والروماتويد وفيروس سى.. وقد بلغت الأمور إلى درجة أن طبيب جراح قد زعم أن ماء صنبوره كفيل بعلاج جميع الأمراض.

ويدفعنا هذا إلى التساؤل : **كيف نميز بين العلم الحقيقى والعلم الزائف؟.**

فلنفرض أن جارك وهو أستاذ علم الطبيعة فى كلية العلوم قال لك فى سهرة «إنى قد حبست عفريتا فى معملى وسأجرى عليه بعض الدراسات». فتسأله أن يريك إياه، فيقول لك «آسف لا يستطيع أحد سواى أن يراه». فتقترح عليه وضع أجهزة تقيس أى موجات كهرومغناطيسية أو لاسلكية أو حرارية تنتج عنه، فيقول لك« ولكن ليست له مثل هذه الموجات» .ماذا يكون شعورك نحو «علم» جارك؟. هل ستقول لنفسك «ولم لا» يختلف فلاسفة العلم فى تحديد بعض تعاريفه، ولكن أكثر التعاريف قبولا لدى الجانب الأكبر من هؤلاء الفلاسفة هو تعريف **كارل بوبر** «العلم هو ما يقبل التكذيب».وقد أغلق جارك الفيزيائى عليك كل أبواب التكذيب ولذلك فإن ما قاله يخرج من دائرة العلم.

العلم الحقيقى إذن هو ما يجتاز اختبار التكذيب. وتعتمد أغلب الأبحاث فى ميادين الطب الإكلينيكى على هذا المبدأ. إذ يفترض أن النتائج الموجودة ناتجة عن الصدفة ويسمى هذا فى لغة البحث«فرص العدم Null Hy-pothesis ثم يتم بعد ذلك إثبات عكسه بتطبيق مبادئ الاستناج الاحصائى Statisti-cal inference.

وليس هناك من يمكن أن يدعى أن«العلم» هو الوسيلة الوحيدة للمعرفة ، وليس هناك من ينكر دور «الايمان» فى المعرفة. فالبشرية بأجمعها تؤمن بدين أو بآخر والبشرية بأجمعها تؤمن بأن الابن يجب أن يوقر أباه وأمه ، وأن الأم يجب أن تحافظ على جنينها وترضعه وكل البشر السوى يحب الحياة ويحب الوطن ويحب الأسرة، وهى كلها مجالات أهم بكثير من مجالات المعرفة العلمية، **ولكن هذا لا ينفى وجود منطقة متنامية المعرفة يتوقف عليها مستقبلنا ، منطقة نستطيع أن نخدم بها ما نؤمن به من واجبنا نحو وطننا ومواطنينا وأهلنا وأبنائنا** . ووسيلتنا للمعرفة فى هذه المنطقة هى العلم. العلم الحقيقى لا العلم الزائف ، العلم الذى يمكن أن يخضع لاختبار التكذيب.

ولكن هناك عقبة أخرى فى تمييز العلم الحقيقى: فلنفترض أنك أردت أن تتفهم نظرية

د. سمير حنا صادق



الكم Quantum Mechanis **فما هو الطريق إلى ذلك؟.**

إن على من يريد أن يفهم -مجرد أن يفهم- هذه النظرية ، أن يدرس المقررات الآتية: علم الحساب ، هندسة اقليدس، الجبر التفاضل والتكامل، المعادلات الحديثة Vector Calculus .. وهى دراسة تتطلب عملا جادا لمدة حوالى ١٥ عاما. ولعل هذا هو السبب الأساسى فى فشل محاولات تبسيط علوم الفيزياء وتحبيبها للناس. ولنفترض أن هناك من عرض عليك الانضمام إلى جمعية «**التأمل الروحى الشاورجى**» وهى جمعية خيالية أنشأها الدكتور «**شاورج**» المتخصص فى «المجالات الحيوية والمغناطيسية الروحية الإشعاعية» . فإذا أبديت اهتماما وسألت عن تفسير ذلك فقيل لك أنك تحتاج إلى مراحل فى ١٥ سنة لتفهمنا . **فما الفرق بين نظرية الكم ونظرية «شاورج»؟.**

الفوارق عديدة واضحة: فلنظرية الكم نتائج تطبيقية يعرفها الجميع .منها التنبؤ بخطوط امتصاص العناصر المختلفة للضوء Atomic absorption وهو تكنيك يستعمل فى أصغر معامل التحاليل الطبية والزراعية ، ومنها خواص أشباه الموصلات وهو يستعمل فى أجهزة المعلومات، ومنها أشعة الليزر التى تستعمل فى الطب وفى الحرب. لقد نجح كل ما تنبأت به النظرية .كما وقد نجحت أيضا **معادلات ماكسويل** التى لا يستطيع تفهمها إلا علماء الرياضة ،فى وضع أسس اختراع الرادار والتلفزيون. وهذا ينطبق أيضا على **نظريات كبلر ونيوتن واينشتين** التى أصبح المتمكنون منها بفضلها قادرين على إرسال صاروخ إلى كوكب المريخ . وهذا ينطبق أيضا على دراسات العوامل الوراثية التى وضعت أسس الهندسة الوراثية التى تعالج مريض السكر بالانسولين المصنوع بواسطتها الآن.

وهناك فروق أخرى: فبينما يهاجم أنصار «**شاروج**» المعارضين بضراوة «أنت جاى تتعلم ولا جاى تجادل» «**فإن العلم يطالب بالنقد والحوار ، فالعلم لا يعزل نفسه عن النقد الفلسفى ولا يدعى الانفراد بالحقيقة ، وهو يحتوى على وسائل تصحيح نفسه فى داخله** .وتكفى زيارة لحضور مناقشة رسالة دكتورراة أو ماجيستير حيث يقف الباحث موقف الدفاع أمام المهاجمين لشرح أفكاره لمعرفة مدى قابلية العلم للنقد والتعديل.

ونستطيع أحيانا بالمنطق البسيط الكشف عن العلم الزائف:

قال لى صديقى العالم أن هناك ظاهرة علمية تتعلق بتحريك الأشياء عن بعد (مضادة بذلك قواعد **نيوتن** عن الميكانيكا) وأن هذه الظاهرة مدروسة فى المعاهد. قلت لصديقى أن هذه المعاهد تضيع وقتها فيما لا طائل وراءه، فبدلا من إضاعة الوقت فى الدراسة، يمكن استعمال هذه الظاهرة فى أمكنة القمار بالروليت ، وبدفعة صغيرة لبلية الروليت نمكن كسب الملايين فى ليلة، فإذا كان الأمر كذلك فإن كازينوهات الروليت لابد أن تصنع جهازا لتغطية البلية لمنع هذه العملية ، وبما أنها لم تفعل ذلك فإن هذا يدل على كذب المدعين.

فى فيلم «أضواء المسرح» لشارلى شابلين ، يقول لربيبته «إننى متأكد أن السيد.. وزوجته اللذين يدعيان المقدرة على الاتصال عن بعد Telepathy كاذبان ». فسألته ربيبته «كيف هذا»؟ فقال لها «لقد رأيته أمس يرسل لها برقية!!».

فكر

بمناسبة قمة ال ١٥

فجوة التكنولوجيا والمعلومات بين الشمال والجنوب ☆

نحن الآن شهود عيان على ثورة التكنولوجيا والمعلومات ، يوما بعد يوم يسرع العالم بالدخول إلى عصر المعلومات ، إلى المجتمع العالمي الجديد ، مجتمع ما بعد الصناعة الذي تحيط بنا مظاهره ونتائجه الأولية، وهو عالم مختلف تماما عن العالم الذي شكلته الثورة الصناعية ، والذى نشأنا وكبرنا فيه بعد أن جنبنا المجتمع الزراعي جانبا ، وأصبحت الآن المعرفة هى العنصر الأساسى للإنتاج.

وثورة تكنولوجيا المعلومات(IT) مثل أى تحول تكنولوجي ستشعل التغيير الاجتماعي والسياسى والاقتصادى ، وهذا التغيير لا يمكن التنبؤ بمعظمه، بل إننا الآن نواجه العديد من النقاط المثاره والتى تعكس عدة مجاهيل رهيبة:

من الذى سيدخل عصر المعلومات ، ومن الذى سيخرج؟.

من هم الفائزون ومن هم الخاسرون؟!.

ماذا سيحدث للناس فى الدول النامية ، والذين يمثلون حوالى ٨٠٪ من سكان العالم نتيجة الأنماط العالمية الجيدة فى الانتاج والقوة والثروة؟!.

ما هى الفروق بين الدول الغنية والدول الفقيرة فى تطبيقات ثورة تكنولوجيا المعلومات ونتائجها؟!.

كيف ستغير ثورة تكنولوجيا المعلومات الاتجاهات والأنماط الحالية للتجارة والصناعة فى العالم؟!.

ما هى الفرص والتهديدات التى تخلقها التكنولوجيا الجديدة؟!.

ما هى الدول النامية والدول المانحة والتى يجب أن تواجه ثورة تكنولوجيا المعلومات؟!.

وتكنولوجيا المعلومات(IT) يمكن أن نعرفها بشكل واسع هنا بأنها مكونا العرض والطلب ، المقصود بالعرض هو التجهيزات مثل أجهزة الكمبيوتر ومكوناتها من(**هارد وير وسوفت وير**) ، وأجهزة الاتصالات وصناعة الاليكترونيات.. إلخ، أما الجانب الثانى وهو الطلب على تطبيقات المعلومات فى قطاعات الاقتصاد، وصناعات خدمات المعلومات والمطبوعات الاليكترونية أو النشر الاليكترونى وفى البث الإذاعى والتلفزيونى ، وإدارة أنظمة المعلومات.

والدول النامية تواجه دروسا مؤلمة أثناء تشكيل عالم ما بعد الصناعة، أنهم آخر من يستلمون أو يستقبلون التكنولوجيا . فمكاسبهم قليلة فى ظل المنافسة المفتوحة والانتاجية القائمة على التكنولوجيا الجديدة. وإذا كانت العديد من الدول النامية قد استفادت من الثورة الصناعية ، ولديها المقدرة الخاصة للاستفادة من تقنيات تكنولوجيا المعلومات المعقدة، فإنها تشعر بالقلق الشديد من المستقبل بسبب التقدم السريع للغاية فى تلك التقنيات ،وخاصة فى شبكات المعلومات والاتصالات التى تمثل النظام العصبى للاقتصاديات الحديثة.

والانفجار المعلوماتى فى الشمال أحدث فجوة فى المعلومات، وترتب على ذلك فجوة فى المنافسة وبالتالى فجوة فى التنمية بين الشمال والجنوب.

ومع النمو الهائل فى المعلومات والاستعمال الواسع للحاسبات الصغيرة وتكنولوجيا الاتصال ، تم الربط بين منتجى التكنولوجيا والرواد المنتجين للمعرفة فى كل حقل سواء على المستوى المحلى أو المستوى العالمى.

وعندما تتوفر القدرة على شراء تكنولوجيات المعلومات، تتوفر فرص كبيرة للتكيف مع التغييرات السريعة فى الطلب والانتاج، والتقدم التكنولوجي ، وأيضا تتوفر امكانية مواجهة عمليات التعجيل باحداث ونشر المعرفة نفسها ، وعمليات التسريع بنزول التكنولوجيات والمبتكرات الجديدة فى السوق، وهنا يجب أن تسد باستمرار حلقة المعلومات حيث معرفة جديدة تظهر، ومعرفة قديمة ترمى، أو بمعنى آخر المعرفة الجديدة تزيح المعرفة القديمة.

وبصورة عامة **فإن انفجار المعلومات قد رفع كفاءة الاقتصاديات الكبيرة، وشجع المنافسة العالمية وعزز سيطرة وهيمنة الدول التى نجحت فى سد حلقة المعلومات.** ومع التقدم السريع والدخول المتزايد لتكنولوجيا المعلومات ، ينتظر أن تنخفض تكاليف أجهزة الكمبيوتر وخدمات الاتصال ،مع تقدم متواز فى بناء طريق المعلومات السريع ، والذى يضيف قوة جديدة لدول الشمال.

فقر المعلومات فى الجنوب

وعلى نقيض دول الشمال ، نجد أن معظم دول الجنوب لديها مشاكل فى اكتساب ، واسترجاع ومعالجة ، ونشر المعلومات باشكال متعددة، وهذا يعكس أعراض ما يسمى بفقر المعلومات الذى يضعف عمليات اتخاذ القرار على كافة المستويات،حيث النقص الشديد فى المعلومات الخام، ونقص الوسائل التى تحولها إلى معارف أو تلك التى تحول البيانات إلى معلومات .وفقر المعلومات يأخذ أشكالاً متعددة ويسبب نتائج رهيبة تنذر بكوارث، فتتقلص الأعمال والاستثمارات المحلية بسبب النقص فى المعلومات حول الاسواق المحلية والعالمية ، وأيضا نقص المعلومات حول التغييرات فى أنماط الطلب ، وأنماط المنتجات التكنولوجية الجديدة ووسائل الانتاج. **وفى الدول التى تعانى فقر المعلومات، نجد البحاث والعلماء والعمالة الماهرة منعزلين تماما عن التطورات السريعة الحادثة فى تخصصاتهم ومهنهم** .والنقص فى وسائل الوصول للمعلومات ينعكس تباعا فى انخفاض معدلات الإنتاج، وفى فقر نوعية الأبحاث ومستواها ،وفى إهدار وقت ثمين فى تصيد المعلومات وتقارير البحاث الموجودة فعلا



ومتاحة فى الدول المتقدمة.

ودول الجنوب الفقيرة معلوماتيا تواجه صعوبات خطيرة تعوق صانع السياسة منها على سبيل المثال :

١- نقص المعلومات حول المصادر الطبيعية.

٢- عدم الثقة فى أى بيانات اقتصادية أو اجتماعية.

٣- فقر وضعف المعلومات المتعلقة بالحسابات الوطنية من ديون وميزان مدفوعات ، وأسعار سوق ،ونسبة ومدى الفقر،وتأثير برامج تخفيف الفقر.

٤-تخطيط البرامج التنموية المختلفة فى الصحة والتعليم على بيانات لا تعكس حقائق الموقف الراهن

٥-مواجهة صعوبات كبيرة فى التعامل مع المشاكل الملحة والازمات الفجائية من أوبئة وفيضانات وزلازل وأزمات مالية.

والنقص فى المعلومات يضعف قوة مساومة الدولة فى المفاوضات الثنائية والمتعددة الاطراف سواء ذات الطبيعة السياسية أو الاقتصادية أو الثقافية. فالشركات الكبيرة الرئيسية وخاصة المتعددة الجنسيات سلحت نفسها بشبكات الاتصال بالأقمار الصناعية ،ولديها كافة المعلومات حول البترول والمعادن وإنتاجيات المحاصيل الاستراتيجية فى العالم كله ، وربما تعرف وتملك معلومات حول المصادر الطبيعية فى الدول النامية أكثر من حكومات تلك الدول نفسها، التى قد تواجه نقصاً فى جذب الاستثمارات من الاسواق الرأسمالية العالمية، وتواجه أيضا صعوبات فى التعامل مع الشركات المتعددة الجنسيات، وتواجه ضغوطاً من المؤسسات العالمية مثل البنك الدولى أو صندوق النقد الدولى تؤثر تماما على قراراتها.

توسيع الفجوة

فى عام ١٩٧٠ نادت الأمم المتحدة بتفاؤل بأن العقد القادم وهى تقصد الثمانينات يجب أن يشهد نشاطا أكثر فى الدول النامية لسد فجوةالكمبيوتر بينها وبين الدول المتقدمة ،**لكن تلك الفجوة اتسعت بشدة فى التسعينات** ، خاصة مع التقدم السريع الذى أعلن عنه فى الشمال أوائل ١٩٩٨ عن مضاعفة سرعة الشرائح الالكترونية عشر مرات وقدرتها التخزينية ١٠٠٠ مرة ، وقبلها كانت بشائر الموجة التكنولوجية الرابعة Nanotechnology **النانوتكنولوجى** ، والنانو تعنى واحدا من بليون جزء، وستسمح هذه الموجة الجديدة بانتاج السلع والبضائع والأجهزة بأحجام فائقة الصغر وباسعار رخيصة للغاية.

ورغم الجهود المتواضعة التى حدثت لسد فجوة الكمبيوتر بين الشمال والجنوب مثل انتشار ورخص تكاليف صناعة الحاسبات الصغيرة ، لكن ما زالت الدول المتقدمة خاصة فى أوروبا وأمريكا مع قليل من الدول الصناعية الحديثة تحتكر القدرة على استعمال التكنولوجيات الجديدة فى الكمبيوتر ، وتوضيحا فهى تنحصر فى دول(International Organization OECD(Founded وهى الولايات المتحدة الأمريكية ،كندا ، استراليا، البرتغال، دينمارك ، فنلندا ، فرنسا ، المانيا ، اليونان ، ايسلاندا ، ايطاليا ، اليابان ، لوكسمبرج، نيوزيلندا، ايرلندا، هولندا ، النرويج ، اسبانيا ، السويد، سويسرا، تركيا ، بريطانيا .**فتلك الدول هى الاسرع تقدما، وبقية العالم يقع فى تخلف نهائى** ،حيث تضاف فجوة المعلومات إلى الفجوة اللانهائية فى المنافسة ، فيزداد عمق فجوة التنمية بين الشمال والجنوب.

تكنولوجيا المعلومات والتنمية الصناعية

إن التطورات السريعة فى علوم الاليكترونيات الدقيقة ، مع انخفاض تكاليف الكمبيوتر والاتصالات غير تماما وبعمق البنية الصناعية العالمية والعلاقات الاقتصادية، وشكل وعمق المنافسة بين الدول ، وانعكس ذلك بنتائج حتمية على الدول النامية فى غير صالحها.

فثورة تكنولوجيا المعلومات وتطبيقاتها فى التصميم والتصنيع، جعل الطلب يتهاوى على المواد الخام والطاقة الآتية من الدول النامية .وفى كثير من مجالات الصناعة ، انخفض عامل المنافسة الذى تميزت به الدول

النامية ، وهو العمالة الماهرة الرخيصة ،حيث إنخفض الطلب عليها ،ففى صناعات النسيج والملابس ، استعملت الدول المتقدمة آلات تعتمد على كمبيوتر معقد جديد يعتمد على تكنولوجيات المعلومات مثل برامج التصميم كادCAD ،وماكينات التحكم الكمبيوتريةCNC، هذا سمح بتغييرات سريعة فى نمط الانتاج ، وتقليل نسبة إهدار الطاقة والمادة الخام ، وكفاءة أعظم فى النوعية والكمية.

وفى دول الجنوب ما زال خط تصنيع تلك الملابس يحتاج عمالة مكثفة، وهى تمثل حوالى **٣٠٪ من** تكاليف صناعة المنسوجات ، ويحتاج الأمر إلى تخفيض تلك العمالة إلى حوالى٤٪ من تكاليف مشابهة ترى فى صناعات أخرى تستوردها الدول النامية من الدول المتقدمة مثل الالات والمعدات ، وأجهزة التلفزيون ، ومحركات الديزل، والالات الدقيقة ، والبصريات ، والاليكترونيات، فهذه الصناعات فى الدول المتقدمة انخفضت فيها اليوم نسبة العمالة غير الماهرة من ٢٥٪ من تكاليف الانتاج إلى حوالى ٥٪ - ١٠٪ من التكاليف ، لأنه من السهل الآن ميكنة التكرارات ،.والمعايرات القياسية ، وأيضا ميكنة المهام التى تتطلب تكثيف عمل ومهارات منخفضة ، **وما زالت العمالة غير الماهرة تمثل حوالى ثلث تكلفة إنتاج الملابس والاحذية.**

فالماكينات المعتمدة على الكمبيوتر تستطيع ، أن تبرمج لتأدية كافة الوظائف المختلفة، ففى الماكينات التى تصنع المعدات والأدوات مثل ، ماكينات CNC المعتمدة على الكمبيوتر، تستطيع ان تنتج مختلف المكونات اللازمة لتلك المعدة أو الآلة أو الأداة فى يوم واحد ، ثم يتم تجميعها بعد ذلك، وفى صناعات الملابس يمكن تكييف وتعديل التصميم بسرعة ودقة لكى يحتفظ ويلائم ويجارى التغييرات السريعة جدا فى الازياء والموضة، فهذه المرونة فى الانتاج التى وفرتها تكنولوجيات المعلومات، تسمح بانتاج اقتصادى فى الكميات الصغيرة من المنتج ،حيث ينقلب المفهوم والتصور القديم بأن الانتاج الاقتصادى المربح يكون فقط فى إنتاج كميات كبيرة أو بمعنى أدق فى الانتاج الواسع فقط.

وهكذا فتكنولوجيا المعلومات أحدثت تغييرات عميقة فى نظم الانتاج التى شكلتها الثورة الصناعية فى القرن الثامن عشر ، فمن الانتاج الضخم للسلع القياسية إلى الانتاج المرن لسلع مستهدفة بعينها ، وتنتج فى الوقت المناسب والمطلوب بالضبط والتكنولوجيات الجديدة فى وسائل الانتاج ووسائل التخزين وربطت وقربت المسافات بين الموردين والمشترين والأسواق.

وبذلك تكون منافسة الدول النامية فى الأسواق العالمية متوقفة ومعتمدة على مدى توفر وانتشار تكنولوجيات المعلومات ، والقدرة على توظيفها فى تلك الدول، فالموقف الحالى فى تلك الدول يقول ان تكنولوجيا المعلومات بطيئة ومحدودة للغاية فى الدول حديثة التصنيع(NICs) ، ولكى تتضح المسافة والفجوة ، ففى عام ١٩٨٥ كان يوجد حوالى **٧٠٠ نظام** (كاد CAD) وهو برنامج رسم وتصميم هندسى فى صناعة النسيج والملابس فى الدول المتقدمة ، مقابل حوالى عشر دول فقط من الدول حديثة التصنيع فى الدول النامية ، ونفس النسبة تقريبا لحزم برامج الكمبيوتر التى تتولى التصميم التصنيع فى الصناعات الأخرى مثل CAM, CAE، فهى منتشرة فى الدول المتقدمة مقابل رقم يدور حول العشرة فى الدول حديثة التصنيع.

الاستثمار يطير نحو الشمال دائما

أصبحت الدول النامية فى موقف الخائف من تكنولوجيات المعلومات الجديدة، وتأثيراتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية ،والتى تعطى السيطرة والهيمنة التامة للشمال المتقدم على الجنوب، فتدفق الاستثمارات التقليدية من الشمال إلى الجنوب هبط تماما ، على الرغم من زيادته مؤخرا فى بعض دول الجنوب التى تطبق قوانين السوق المفتوحة . **فنسبة الاستثمارات الأجنبية المتوجهة مباشرة إلى الدول النامية هبطت من ٨ر٤١٪ فى عام ١٩٧٥ إلى ٢٤٪ فى عام ١٩٩١ بصورة عامة ، ولكنها زادت من ٣٢٪ فى عام ١٩٩٢ إلى حوالى ٤٢٪ فى عام١٩٩٣ فى دول شرق وجنوب شرق آسيا أو بعض الدول ذات الاسواق المحلية الكبيرة مثل البرازيل والمكسيك والصين والهند.**

لكن بصفة عامة **غالبية الاستثمارات تطير نحو الشمال دائما ، وخاصة فى ظل ثورة المعلوماتية** :

وكان فى الماضى يكفى فى أى دولة نامية لديها بعض البنية الأساسية التحتية ، والعمالة الرخيصة ، وتوفر خزان من المياه ،كان يكفى ذلك إلى جذب الاستثمارات الأجنبية للدول النامية ، لكن الآن عوامل جذب الاستثمارات الأجنبية تغيرت وأصبحت تتطلب مستويات من مهارات مرتفعة ، وبنية تحتية اتصالية ومعلوماتية جيدة، وحجم سوق محلى كبير. ومن الكلمات المشهورة للأمم المتحدة التى تلخص التحولات الناشئة فى المجتمع العالمى الآن هى أن **عرق الجبين تحول إلى عرق الفكر** فالعمالة منخفضة الأجور قد تستمر كعامل مساعد لجذب الاستثمارات ، ولكنها لم تعد العامل الحاسم فى ذلك بل **أصبح العامل المؤثر فى جذب الاستثمارات هو مدى التقدم فى البنية التحتية الاتصالية للمعلومات.**

فرص جديدة

وبذلك تكون أهم معوقات وموانع جذب الاستثمارات فى الدول النامية بالجنوب هى **التكلفة المرتفعة للرأسمال ، واحتياجات البنية التحتية للاتصالات ،وكثافة المعرفة والمهارة المطلوبة فى العمالة** ، لكن فى الدول حديثة التصنيعNICs مثل سنغافورة ، هونج كونج، كوريا الجنوبية ، وتايوان ، والبرازيل والارجنتين ، وتركيا قد تجذب الاستثمارات نتيجة المرونة والتسهيلات فى الانتاج الصغير الحجم . ورغم ذلك فإن تكنولوجيات المعلومات خلقت أيضا منتجات جديدة ، تعطى فيها الدول النامية فرصة للمشاركة فى إنتاجها وليس مجرد استعمالها.

فمن دراسات البنك الدولى يتضح أن **صناعة المعلومات سيكون لها السيطرة على بقية الصناعات فى نهاية التسعينات،** فصناعة الاليكترونيات وحدها هى الصناعة الرابعة الأكبر فى كوريا والمكسيك والبرازيل وسنغافورة .فى الهند مثلا صناعة نمت من ١٠٪ فى السبعينيات إلى حوالى ٢٥٪ فى أواخر الثمانينات، فى حين أن كوريا تحركت فى قرن واحد من دولة غير منتجة للالكترونيات إلى أكبر دول الجنوب فى صناعة الاليكترونيات.

تكنولوجيا المعلومات وقطاع الخدمات

ثورة المعلومات حولت وغيرت فى طبيعة الخدمات ، وجعلتها قطاعاً اقتصادياً كبيراً يعمل فيه أكبر نسبة عمالة ،ففى الولايات المتحدة الأمريكية ثلثي إجمالى الناتج المحلى من قطاع الخدمات ، و٧٥٪ من الوظائف تعمل فى ذلك القطاع .حتى وقت قريب كانت معظم الخدمات لزاما عليها أن تنتج محليا ،حيث يشترى المستهلكون احتياجاتهم ، لكن بعد ثورة المعلومات والاتصالات التى ألغت المسافات ، فإن أى شئ تشاهده على الشاشة، أو تسمع عنه بالتلفزيون يمكن أن يكون فى يدك مهما كنت فى أى موقع فى

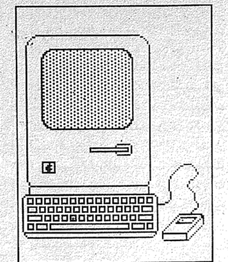
العالم ، فمثلا في الدول المتقدمة يمكنك من خلال شاشة الكمبيوتر أو التلفزيون حجز رحلتك الجوية أو أي وسيلة مواصلات أخرى ، ويمكنك أيضا أن تصمم محركاً جديداً ، أو تجرى مراقبة الكترونية للأمن في مؤسستك، إجراء الحسابات ، أو الخدمات الادارية ، أي شئ يمكن أن تفعله وتحصل عليه من على بعد.

ومع انخفاض تكلفة الكمبيوتر وبرامجه أصبحت الخدمات تجارة عالمية تمثل من ٢٠٪ إلى ٢٥٪ من التجارة العالمية. ومعظم المعلومات المرتبطة بالخدمات تحتاج إلى كثافة من العمالة الماهرة ، لذلك فالدول النامية لديها فرصة عظيمة لتصدير العمالة الماهرة مثل محللي نظم الكمبيوتر ، والمبرمجين ، والعلماء ، وأيضا لديها فرصة لتصدير العمالة الأقل مهارة مثل مدخلي البيانات ومشغلي الكمبيوتر ، والمحاسبين ، وأي عمالة مكتبية أخرى.

خدمات المهارات المرتفعة

فالعمالة الماهرة في الجنوب (مثل العاملين في قطاعات البرمجة ، والحاسبات ، الادارة، والاستشارات ، التخطيط ، إعداد قواعد البيانات) ، أتاحت لها تكنولوجيا المعلومات فرصة كبيرة للتصدير والحصول على وظائف ذات أجور مرتفعة ، وهو ما يسمى **باستنزاف الادمغة من دول الجنوب(brain-drain)، والنمو السريع** لسوق خدمات برامج الكمبيوتر حيث نمت بشكل عالمي من **٥٢ بليون دولار في ١٩٨٥ إلى ٣٠٠ بليون دولار** عام ١٩٩٥ ، الهند مثلا ازدهرت فيها صناعة برامج الكمبيوتر ، والدول الحديثة التصنيع في آسيا وأمريكا اللاتينية ، وبعض الدول النامية النشيطة.

والعولمة جعلت الطلب يتزايد على الخدمات الادارية من الاستشارات المعتمدة على تكنولوجيات المعلومات إلى التخطيط الاستراتيجي. فالشركات في أمريكا اللاتينية وكوريا عملا بنجاح في تكامل نظم الاستشارة ، بينما الشركات الهندية لديها العديد من الزبائن في الولايات المتحدة الأمريكية ، وأوروبا والدول النامية . والشركات في باكستان اهتمت ببرامج الرسوم والتصميمات الهندسية ، ولديها زبائن في استكهولم وفي العربية السعودية ،مثل هذه الشركات لديها فرص للمنافسة متقدمة في أسواق الجنوب، وليس اعتمادا على العمالة الرخيصة فقط، ولكن لديها مقدرة أفضل في فهمها لواقعية مشاكل الدول النامية.



الخدمات منخفضة المهارة

العديد من الدول النامية استطاع أن يكون كوادر أعمال خلف **المكتب** Back-officWork مثل العاملين في تذاكر خطوط الطيران ، وفي كوبونات البيع ، كروت الاعتماد ، التأمين ، الاحصاءات السكانية شبكات مراقبة الأمن ،كل هذه الأعمال تحتاج مهارات وتدريباً أقل ، فالعمال في بارابادوس وجاميكا يعالجون بيانات عالمية ، ويردون بالتليفون عن استفسارات الزبائن حول الخطوط الجوية وبطاقات الائتمان ، ومشغلو الكمبيوتر في الصين يمكنهم إنتاج أقراص مضغوطة Cd-rom لقواعد بيانات قانونية وسياحية طبية ومبيدات حشرات تستعمل في العالم كله ، وهناك شركات استرالية تراقب تكييفات الهواء والانارة والمصاعد وأمن المكاتب من سريلانكا إلى تايوان.

الشروط المسبقة للنجاح

للاستفادة من ثورة المعلومات يجب على الجنوب أن يستغل تكنولوجيات المعلومات بنجاح ،وهذه الدعوة كررناها كثيرا على صفحات **اليسار** وفي هذا المكان ردا على اتهامنا بالانبهار ،**ولن نمل من تكرار دعوة تعليم هجائية ثورة المعلومات لنحسن توظيف امكانياتها الرهيبة في مواجهة مشاكلنا ،** وبداية تلك الهجائية في الكمبيوتر الذي انخفضت تكلفته خلال الأربعين سنة الماضية بنسبة ٢٠٪ سنويا ، وذلك أسرع كثيرا من نسبة انخفاض تكلفة الطاقة التي انخفضت أكثر من ٥٠٪ من تكاليفها في أكثر من ٣٠ عاما منا الثورة الصناعية ،**فالحاسبات الشخصية ، والبرامج المبسطة ، والشبكات الاليكترونية ، تتيح فرصة واسعة للدول النامية أن تدخل عالمية المعلومات.**

والدول الحديثة التصنيع يمكن أن تستفيد بصورة أكثر واقعية من الدول الأقل نموا التي تعاني من فجوة المعلومات والنقص في الرأسمال والموارد البشرية والطبيعية ، فتفقد الأسواق وتنضم للدول الهامشية ، فهم يحتاجون أولا إلى الاستثمار في بناء واستيعاب المهارات الجديدة وبناء البنية التحتية الاتصالية لكي يستطيعوا الدخول والقفز إلى القرن القادم.

البنية التحتية

في مقال سابق في **اليسار** افردنا مساحة لتعريف البنية التحتية الاتصالية ، وأهميتها وأنها العامل الحاسم في الدخول إلى فقر المعلومات، وعرفنا أن البنية التحتية للاتصالات هي شبكات الهواتف والفاكسات والحاسبات.. الخ ، ونجد دولاً مثل سنغافورة وكوريا استثمرت مبكرا وبثقل شديد في بناء بنيتها التحتية للاتصالات ، لكن معظم الدول النامية تتلكأ في ذلك ،**فطوكيو وحدها تملك خطوط تليفونات أكثر مما هو موجود في أفريقيا كلها،** والتي ينتظر فيها رجال الأعمال أكثر من خمس سنوات لدخول خط تليفون ،و٨٠٪ من سكان العالم يحسبون ضمن الدول النامية ، وينفقون حوالي ٢٪ فقط من الانفاق العالمي على المعلومات .

فمسئولية بناء البنية التحتية الاتصالية صعبة ومكلفة على الوقت الطويل ،خاصة مع وجود حقائق كالجوع وموت الأطفال .**لكن البنك الدولي تبين دراساته ان الاستثمارات في البنية التحتية الاتصالية تعود بفوائد مرتفعة ١٨٪ أو ٣٦٪ تحسب كفوائد غير مباشرة وتصبح مصدراً ثابتاً من الدخل العام.** فنجد دولاً تحررت ، واتجهت إلى نظام السوق مثل **جاميكا وباربادوس** ، واهتمت ببنيتها التحتية الاتصالية لكي تسهل دخول شركات أجنبية للاستثمار ، وأيضا سياسات سنغافورة التحررية في التجارة والخدمات المعتمدة على البنية الاتصالية ،جعلها تصبح سوقاً مالية عالمية.

الموارد البشرية

الدول الناجحة في تكنولوجيات المعلومات يملك أفرادها مستوى عالياً من هجائية الكمبيوتر والمعلوماتية ، ولديها مدارس تقنية وادارة أعمال وتعليم الكمبيوتر والمعلوماتية ، والهندسة لتطوير مواردها البشرية ، وتشجع طلابها على دراسة العلوم الأساسية والهندسة . ويستهدف البنك الدولي في هذا المجال أربع سياسات تهدف لتنمية الموارد البشرية على تكنولوجيا المعلوات:

١- تدريب علماء وتقنيي المعلومات.

٢- اعداد المدرسين لتعليم الكمبيوتر في

المدارس.

٣- الارتفاع بمستوى وعى صانعى السياسات بالمعلوماتية.

٤- إعداد محترفين فى تطبيقات تكنولوجيا المعلومات فى الصحة والادارة والزراعة.

والتدريب على أى حال لا يجب أن يكون مجرد استعمال الكمبيوتر ، الذى يصبح اسهل فى الاستعمال سنة بعد سنة. بل يجب أن يكون التدريب والتعليم على البرمجة وعلوم الاليكترونيات الدقيقة ، الذى يجعل الكمبيوترات أسهل فى الاستعمال.

تطبيقات تكنولوجيا المعلومات فى مجالات أخرى

ان بناء القدرة والبنية المعلوماتية ، لا يمكن الدولة من التنافس فى الاسوق العالمية فقط، بل يرفع الكفاءة الاقتصادية للدولة فى العديد من المجالات فمثلا:

١- إدارة القطاع العام الحكومى : حيث تجمع بيانات كبيرة وعديدة قبل اتخاذ أى قرار ، وهنا تحسن تكنولوجيات المعلومات عملية اتخاذ القرار ، وتزيد قيمة كل شئ بداية من التحليل السياسى حتى مسئولية الحسابات وتفسير الاعمال فأتمتت النظام المالى ، أو جعل النظام آلياً، يساعد على تكامل وزارات المالية والتخطيط مع البنك المركزى . **فتكنولوجيا المعلومات مكنت أوغندا من ان توازن دفاترها لأول مرة فى ١٧ سنة ، فتكنولوجيا المعلومات تزيد فعالية وكفاءة جمع الضريبة وتحسين ادارة الخدمات المدنية والمشروعات العامة** ، ولكى يحدث ذلك لابد من وضع وتنفيذ قواعد لبيانات الدولة كلها ، مواردها ، مدخلاتها ، مخرجاتها . وتستطيع أيضا ان تساعد الحكومات فى مواجهة أزمتها بنجاح وفعالية ،وفى مصر طبقت مبكرا تكنولوجيا المعلومات لمراقبة ديونها ،وفى تطبيق تعريفة الرسوم الجمركية ، والدخول إلى بيانات التجارة الدولية.

٢-فى الزراعة والتنمية الريفية: فتكنولوجيا المعلومات تستطيع ان تضيق الفجوة المعلوماتية والاتصالية بين المجتمعات الريفية والمراكز الرئيسية ، من خلال امكانية اعطاء فرصة للريفيين للدخول والوصول إلى المعلومات القيمة حول أسعار الاسواق واتجاهاتها ، وتعليمات وتوصيات الحكومة ، والوصول إلى نتائج الأبحاث الزراعية ، والتطبيقات المزرعية المحسنة ، بارسال معلومات أصيلة من الواقع المحلى ، ومعارف منتجة محليا عن البيئة، وطرق الزراعة ، والقيود الموضوعة على الموارد.

وفى تقارير للأمم المتحدة تبين ان التركيز على البنية التحتية للاتصالات الريفية فى سريلانكا ، خاصة عندما دخلت التلفونات الاسواق المركزية جعلت الزراع يرفعون اسعارهم اكثر من ٥٠٪ - ٦٠٪ من أسعار كولومبو، وفى بيرو عندما دخلت خدمة الهاتف للمسافات البعيدة فى السبعينات وفرت فى تكاليف الانتاج فى اقليم الامازون، وزادت الدخول فى قطاع النقل النهرى ، ودعمت السياحة.

وفى نيجريا واندونيسيا أصبحت الحاسبات الشخصية أداة نموذجية للبحث الزراعى ،حيث كميات ضخمة من البيانات **،فتكنولوجيا المعلومات تسهل وتحسن الوصول والتحليل و الاستطلاعات ، وتصميم المشروعات الزراعية** . والتقدم الحادث الآن فى نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد وتطبيقاتهما المتعددة والمتنوعة فى جرد وحصر المصادر الطبيعية ، وتوقعات لعمليات التصحر وإزالة الغابات وقطع الاشجار ، تساعد فى تقييم بيئ للموارد الوطنية من ماء وأرض ، هذا ليس كل شئ ففى شمال شرق تايلاند حاسبات وكمبيوترات هى التى تنظم الرى.

فى كينيا ونيجريا الكمبيوتر يتوقع حالة المحاصيل ويراقب انضباط الأمن الغذائى ، فالتكنولوجيا المعلوماتية تستطيع أن تساعد فى معالجة عوائق ومعوقات برامج تخفيف الفقر، وتساعد فى قياس تطبيقات السياسات ، وتقوية وتعزيز عمليات التخطيط والتقييم ، فالهند على سبيل المثال عملت ونظمت قواعد بيانات لتعزيز مثل هذه البرامج فى كثير من أنحاء البلاد المتفرقة والمتعددة.

وتكنولوجيات المعلومات تساعد فى تنمية الموارد البشرية من خلال استخدامها فى عمليات التعليم والصحة، والتغذية وخدمات تحديد النسل ، فتكنولوجيا المعلومات الجديدة يمكن أن تربط بين كل من المتعلمين والبحاث والطلبة ، وصانعى السياسات وبين مؤسساتهم سواء فى داخل البلاد أو خارجها ،وهذه التكنولوجيات تعطى إمكانيات كبيرة للتعلم عن بعد ، والتعليم الجماهيرى عبر وسائل الاعلام الجماهيرى ، ومشروعات البنك الدولى ، أوضحت كيف يمكن لفنيين وقرويين ذوى معرفة منخفضة فى القراءة والكتابة يستطيعون أن يتعلموا الجرافيك والاتصالات البصرية من خلال الكمبيوتر.

والخدمات الصحية قد استفادت بشكل رائع من تكنولوجيا المعلومات ، فالصين تستعين بالكمبيوتر فى تشخيص الأمراض فى المستشفيات الريفية ، والعاملين فى المجال الصحى فى الفلبين فى المناطق البعيدة يستعملون الراديو فى إجراء الاستشارات الطبية حول معالجة المرضى بالعقاقير اللازمة.

ومشابه لذلك فى تايلاند شبكة صحية سائدة هناك وأيضا فى غرب أفريقيا **،فتكنولوجيات المعلومات فعالة فى مراقبة ومتابعة الأوبئة ونشر المعلومات الطبية الصحية بشكل سريع.**

توقعات مستقبلية

تكنولوجيا المعلومات تملك القوة لتغيير التركيب أو البناء التقليدى للتجارةوالصناعة العالمية. والدول القادرة على دمج التكنولوجيات الجديدة تستطيع أن تكون أكثر قدرة على المنافسة ومقاومة استنزاف أدمغة الجنوب أو هجرة عقول الجنوب، بل تحسن وترفع من نوعية مستوى الحياة فيها ، لكن الدول التى تعانى من نقص بنياتها التحتية الاتصالية ، وتواجه نقصاً فى مهارات مواردها البشرية ، تواجه مستقبلاً كئيباً وتفقد أسواق التصدير وتتعمق عزلتها.

والفعل السريع الذى نحتاج لادراكه هو ادراك امكانيات وطاقات مجتمع المعلومات العالمى ، قبل أن تسحق تلك الثورة المعلوماتية ماضى أغلبية الناس فى العالم.

وفى ختام تلك البانوراما عن فجوة المعلومات بين الشمال والجنوب ،**هل لاحظتم وشعرتم الآن بعمق الفجوة بيننا وبينهم أقصد بين الشمال والجنوب.**

***خلاصة لبعض قراءات الحوارات فى الانترنت ، أهمها الورقة الفرنسية للاقتصادى شاميكا سيرمان-SHAMIKA SIRI-MANNE، ولخصها إلى الانجليزية آلن تورنلىLLAN THORNLEY، ونشرها مركز معلومات التنمية الدوليةIDIC بكندا عام ١٩٩٦ ، ومتوفرة على شبكة الانترنت بالعنوان التالى.**Http: www.acdi.cida. gc. ca

---

د. أحمد محمد صالح

مداخلات

اشتراكية المستقبل



هل تقودها الرأسمالية المنتجة؟!

تابعت باهتمام ندوة مجلة «اليسار» حول «اشتراكية المستقبل» ، التى نشرت فى العدد ٩٨ بتاريخ أول أبريل ١٩٩٨ ، تلك الندوة التى حضرها وساهم فيها مجموعة محترمة من الكتاب والمفكرين والسياسيين من منابع فكرية متعددة واتجاهات سياسية يسارية (ناصرية وماركسية).

كما تابعت المساهمات النقدية حول نفس الموضوع التى نشرت فى العدد التالى مباشرة لنشر الندوة- أى عدد ٩٩ أول مايو ١٩٩٨ والذى تمثل فى مقال بعنوان: « **اشتراكية المستقبل أم اشتراكية الطبقة الوسطى** » للأستاذ **أحمد عبد القوى زيدان** ومقال بعنوان: « **ملاحظات حول اشتراكية المستقبل** » للاستاذ **صلاح عدلى.**

ولعله من المفيد أن أضيف إلى ذلك متابعتى للنقاش حول نفس الموضوع طوال عدة شهور قضيناها كتابة ونقاشا داخل اللجنة القيادية التى اختصت باعداد مشروع البرنامج العام لحزب التجمع فى إطار الاعداد الفكرى لانعقاد مؤتمره الرابع ، الأمر الذى هيأ لنا الاقتراب من الموضوع المثار للنقاش وهو موضوع البحث فى « **اشتراكية المستقبل** » وضرورة ذلك البحث من عدمه، وما يحمله مثل هذا البحث من مخاطر ومغامرات فكرية.

*اشتراكية المستقبل : الضرورة والمخاطرة:

والملاحظة الأولى فى هذا السياق **أن موضوع «اشتراكية المستقبل» موضوع جاد وخطير لأسباب يعلمها القاصى والدانى ، العدو والحبيب** ، ذلك أن صورة الاشتراكية قد اهتزت وتداخلت ملامحها الجميلة وأهدافها النبيلة فى إلغاء استغلال الإنسان لأخيه الإنسان ، واختلطت تلك الأهداف بملامح ووقائع النظام السياسى للبيروقراطية السوفيتية ،وتوارت انتصاراتها فى النصف الأول من القرن العشرين خلف هزائم العقد الأخير من نفس القرن.

وتثير لدينا هذه الملاحظة الأولى نزعتين على نفس الدرجة من القوة.

أما الأولى فهى نزعة تقول لنا أن مبررات البحث فى الاشتراكية ، وإعادة النظر فى نماذجها وملامحها الواقعية التى طبقت فى القرن العشرين ،ومبررات البحث فى مناطق الاخفاق أكثر من البحث فى مناطق النجاح والانتصار السابق أو الراهن،هى مبررات قوية وتنطلق كأساس موضوعى للبحث ،**تقول تلك المبررات أن مثل هذا البحث ضرورى لمصلحة الاشتراكية نفسها ولمصلحة قوى الثورة الاشتراكية الآن وفى المستقبل** ، وبناء على ذلك فإن هذه النزعة تقول إن مبررات البحث فى«اشتراكية المستقبل» تحركها دوافع تخليص الاشتراكية من أخطاء وخطايا وإخفاقات الماضى ، بالعمل على تجديدها وتطويرها وإكسابها ملامح جديدة، ولا تحركها بالضرورة مبررات التخلى عن الاشتراكية أو طمأنة البرجوازية كتلك التفسيرات أو التساؤلات أو اليقينيات السلبية التى ظهرت فى مناقشات الندوة وبصفة خاصة فى مقاله صديقنا **عبد القوى زيدان «اشتراكية الطبقة الوسطى»** (١).

إننا نعتقد أن البحث فى اشتراكية الماضى» عن التراث الذى يجب أن نجحده واجب، وأن البحث الجاد عن ملامح جديدة لاشتراكية المستقبل عبر نقاش موضوعى جاد، ديمقراطى وطويل النفس، ضرورة.

أما النزعة الثانية التى تثيرها بنفس القوة الملاحظة الأولى فهى بصراحة نزعة تقول لنا **أن البحث عن ملامح تفصيلية «لاشتراكية المستقبل»** مخاطرة. ومبررات ذلك كثيرة قوية منها:

١- أن البحث الراهن عن ملامح لاشتراكية المستقبل.فى ظل ظروف وتأثيرات السقوط المدوى لنماذج اشتراكية الدولة البيروقراطية التى طبقت فى القرن العشرين» «وربما » **يعكس نفسه فى «روح انهزامية» تسلب من اشتراكية المستقبل مضمونها الثورى المعادى للاستغلال فى صورة بحث عن تنازلات أمام بعض القوى الطبقية وفى سبيل البحث عن حلف طبقى أوسع أو كتلة تاريخية «اشتراكية» أكبر.**

٢- إن نفس ظروف وتأثيرات السقوط المدوى لنماذج اشتراكيات القرن العشرين «ربما » **تنتج كتلا من الاشتراكيين المتخندقين خلف «النصوص التاريخية»** المتماسكة المنطق وخلف الجوانب التى كانت مشرقة أو مبهرة فى

محمد فرج

النماذج التى سقطت ،مع عزل تلك النصوص وتلك الملامح عن زمانها ومكانها ،فتقوم تلك الخنادق بتوصيف كل بحث جدى باعتباره انحرافاً ،وكل اجتهاد باعتباره مراجعة ،وكل تصحيح باعتباره ارتداداً.. إلخ.

والخطر هنا لا يتمثل فى إطلاق العبارات أو التوصيفات الجاهزة فقط، بل فى إعطاء أوضاع كهنوتية لجماعة تعتبر نفسها المسئولة عن «صحيح الاشتراكية» ، يتحول دورها- ربما- إلى عرقلة أو إفساد إمكانيات وجود مناخ ديمقراطى صالح للبحث العلمى عموماً ولبحث مستقبل الاشتراكية بصفة خاصة.

٣- إن البحث الراهن عن ملامح لاشتراكية المستقبل فى ظل تلك الظروف يختلط حقيقة مع أصوات متعددة تمثل ألوان طيف من الصعب أن نميز بينها وبين نزعات الترف الفكرى واتجاهات البحث الجاد ، بين المعادين للاشتراكية والراغبين فى تجديدها وتطويرها أو حتى تحسين صورتها المهتزة.

وفى ظل هذا الوضع من الاختلاط يصبح البحث الجاد عن اشتراكية المستقبل مخاطرة ، إما لحاجة مثل هذا البحث إلى أشكال واضحة من الطرح الجرئ المخترق للبديهيات والثوابت ، بما يقابل بالشك والتوجس، أو لإحجام الباحثين عن المشاركة الجادة ، الجريئة حفاظا على صورة جميلة للمناضل الاشتراكى المبدئى الذى لا تهزه الأحداث طالما كان إيمانه بالحتمية التاريخية ثابتاً كالطود. أى إلى مواجهة الزلزال بحكمة الصمت والصبر الجميل.

٤-أما المخاطرة الرابعة فى البحث الراهن عن ملامح لاشتراكية المستقبل فتتمثل في استعجال النتائج بما قد يؤدى إلى نزعة جديدة «للنمذجة» ويتحقق ذلك برفض النموذج السابق أو النماذج السابقة مع الوقوع فى فلك البحث عن «نموذج» أفضل ، سيظل فى النهاية «نموذجاً» . وإن كان نموذجا على صفحات الكتب فقط.

* بين دور الافراد ودور الحزب

وبسبب من تلك المخاطر الجدية فى البحث عن ملامح **«لاشتراكية المستقبل»** فى ظل تلك الظروف المذكورة ،مع إيماننا فى نفس الوقت بضرورة البحث الجاد الديمقراطى العلمى فى«اشتراكية الماضى» والتراث الذى يجب أن نجحده وفقاً لتعبيرات «لينين» فى بداية القرن العشرين ، وأهمية وضرورة البحث الجدى لإعادة إنتاج وتجديد وتطوير وإبداع «اشتراكية المستقبل» تنبع **ملاحظتنا الثانية.**

وتتمثل تلك الملاحظة فى أن مثل هذه المهمة لا ينبغى ولا يجب- بل ولا يمكن -أن يضطلع بها حزب من الاحزاب ، شيوعيا كان أو ديمقراطيا ، عماليا كان أو برجوازيا صغيرا ، بل يجب أن يقوم بمثل هذه المهمة المفكرون والكتاب والعلماء والافراد الاشتراكيون أو اليساريون، وأن يفعلوا ذلك بصفتهم الفردية أو بوصفهم أعضاء في مراكز للبحث ، وربما يقومون بتكوين مراكز أبحاث لمثل هذه المهمة.

ولا يعنى ذلك أن تكون الأحزاب بعيدة عن مثل هذه البحوث الضرورية ، بل عليها أن تصنع لها الأدوات والمقومات البحثية ،لكن مثل هذه النقاشات بما تنطوى عليه من مغامرات الأسئلة الشائكة،والأطروحات المتشككة ، والفرضيات التى تحتمل الصواب والخطأ ،ليست ملائمة لأن يقول فيها كيان معنوى هو الحزب السياسى كلمة فاصلة.**لصالح النقاش الفكرى على الحزب أن يبعد كلمته السياسية ، ولصالح الموقف السياسى للحزب وتماسكه التنظيمى عليه أن يشارك بأفراده فى الجدل ، لكن لا يجب على الحزب أن يحمل نفسه بملامح افتراضية يحسمها المستقبل**،ومكان المداولات فيها ندواته الفكرية ، أو أروقة مراكز الابحاث وصفحات المجلات الثقافية.

ومن هذه الملاحظة الثانية تنبع ملاحظاتنا التالية التى تتوجه مباشرة إلى بعض الأفكار التى ظهرت فى ندوة **«اشتراكية المستقبل»** كما ظهرت أكثر فى مقاله صديقنا **أحمد عبد القوى زيدان** التى سنشير إليها بمقال **«اشتراكية الطبقة الوسطى»**.

فقد أدى وجود اجتهاد فكرى مستقبلى حول ملامح اشتراكية المستقبل فى مشروع البرنامج العام لحزب التجمع إلى **اختلاط السياسى بالفكرى ، والانطباعى بالبحث العلمى** والنقدى بالتوصيفات الجاهزة أحيانا.

فقد ظهرت نزعة قوية لدى عدد من المشاركين فى الندوة لنقد الملامح التفصيلية لاشتراكية المستقبل ،كما ظهرت نزعة ترى أن الدخول فى التفاصيل المستقبلية إجهاد للتجمع كحزب سياسى.

فيقول الاستاذ **أحمد نبيل الهلالى**

«جميل حقاً أن يؤكد المشروع على تمسك التجمع بهدفه النهائى الاشتراكى ، لكن يظل السؤال ،هل التجمع مطالب بعد أن أكد هذا الاختيار أن يقدم تفاصيل وملامح اشتراكية المستقبل ؟أليس هذا سابقا لأوانه؟. **ألا يكفى مجرد القول أن اشتراكيتنا لن تكون تكراراً لأخطاء الماضى؟** اليسار ٩٨ ص١٩.

ويقول الدكتور **محمود عبد الفضيل:**

«أعتقد أن التجمع بطرحه لموضوع اشتراكية المستقبل يحمل نفسه ما لا طاقة له به ،.. التجمع يضع نفسه فى مأزق عندما يدخل إلى هذا الموضوع ،**فماركس** نفسه لم يحدد معالم الاشتراكية فى كتاباته »اليسار عدد٩٨ ص٢٣.

وفى هذا السياق أثار المشاركون فى الندوة أسئلة هامة وظهرت انطباعات وقراءات

نبيل الهلالى

انطباعية سنتوقف عند أهمها لتطوير النقاش.

١- حول التحالف الطبقي للاشتراكية:

قال الأستاذ **أحمد نبيل الهلالى**

«وصل لى انطباع أن **المشروع يتوجه بالخطاب أساسا إلى البرجوازية** التى يحاول طمأنتها وكسب تأييدها ورضاءها على المشروع ولا يتوجه إلى الطبقات الكادحة التى تمثل القاعدة الاجتماعية لحزب التجمع.

فتحت عنوان «اشتراكية المستقبل» نجد أن المشروع يعدد أطراف التحالف الطبقى الموكول له تحقيق التنمية المستقلة فى ظل اشتراكية المستقبل فيقول: تعتمد التنمية المستقلة على تحالف طبقى واسع يشمل .. ثم يبدأ بالرأسمالية المصرية المنتجة بالاضافة إلى الفلاحين والعمال **والمثقفين والفئات الوسطى .. ويعلق الاستاذ الهلالى قائلا -غير متصور أن يكون مركز الصدارة فى هذا التحالف محجوزاً لرأسمالية منتجة، إن اشتراكيتنا بنت حلال وأن مكانكم ومكانتكم ومقامكم محفوظ فى ظلها**» اليسار عدد٩٨ ص١٩.

ويعود الاستاذ **نبيل الهلالى** إلى قضية التحالف الطبقى مرة أخرى فى نهاية حديثه فى الندوة قائلا:

«النقطة قبل الأخيرة هى أن المشروع عندما يتحدث عن التحالف الطبقى فى ظل اشتراكية المستقبل **يخلط بين التحالف الاستراتيجى والتحالف فى مرحلة الانتقال إلى الاشتراكية.**

-ثم يعود ويذكر الفقرة السابقة ويعلق قائلا: لا أتصور أن تحالفاً فضفاضاً مثل هذا التحالف ممكن أن يقيم مجتمعا اشتراكيا حقاً ،لأن الرأسمالية المصرية المنتجة لا يمكن أن تكون قوة طبقية رافضة للخيار الرأسمالى قابلة للخيار الاشتراكى»اليسار عدد٩٨ ص٢٠.

لابد أن أعترف أن **هذا النص قد أثار انزعاجى بشدة، ولولا أننى أعرف الذين شاركوا فى صياغة مشروع البرنامج العام لتصورت أن فى الأمر مؤامرة ما**، ولعله من المناسب أن أعرض عليكم أسماء اللجنة التى كلفت بصياغة مشروع البرنامج العام،تلك اللجنة التى انجزت عملها عبر كتابة الدراسات والأبحاث وعقد الندوات وحلقات النقاش ثم الدخول فى الصياغة فى مدة زمنية اقتربت من العام الكامل:

أما أعضاء اللجنة فهم:- **د. ابراهيم سعد الدين ٢- د. ابراهيم العيسوى ٣- د. جودة عبد الخالق ٤- د. على النويجى - د. سمير فياض ٦- د. زهدى الشامى ٧- عبد الغفار شكر ٨- حسين عبد الرازق ٩- فريدة النقاش ١٠- الشيخ محمد عراقى ١١- الشيخ مصطفى عاصى ١٢- عبد الحميد الشيخ ١٣- عادل الضوى ١٤-محمد فرج .فمن من هؤلاء كتب مثل هذه الفقرة؟.**



د. محمود عبد الفضيل

ويبدو أن مثل هذه الفقرات قد أزعجت صديقنا **أحمد عبد القوى زيدان** فكتب مقالته عن «**اشتراكية الطبقة الوسطى**» بادئاً بالاستشهاد بحديث الاستاذ **محمود أمين العالم** حول افتقاد الحسى الطبقى ثم بالنص الذى أوردناه للأستاذ **نبيل الهلالى** حول التحالف الطبقى للاشتراكية الذى تقف على رأسه «الرأسمالية المنتجة» ثم بفقرة للأستاذة **فريدة النقاش** حول ترشيد الرأسمالية وتجديدها.

ليعلق صديقنا **عبد القوى زيدان** قائلا:

«ونحن نتفق تماما مع ما وصل إليه الأساتذة بل إننا نؤكد أن اشتراكية المستقبل هى فى جوهرها اشتراكية الطبقة الوسطى وليست الاشتراكية العلمية التى تعبر عن مصالح الطبقات الكادحة»اليسار عدد ٩٩ ص٧٥.

وحيث يشرح لنا الرفيق **زيدان** الأسباب الداعية لحديثه عن اشتراكية الطبقة الوسطى يتحدث بوضوح قائلا «**وكذلك الحديث عن بناء الاشتراكية التى تلعب فيها الرأسمالية دوراً واضحاً كما يوضح المشروع فى ص٢٩** ثم يعيد ذكر الفقرة المشئومة» اليسار ٩٩ ص٧٦.

والمعنى هنا أن الاستاذ **أحمد عبد القوى زيدان** لم يكتف فقط بأقوال الاساتذة فى الندوة، فقد عاد إلى المشروع وتأكد من الطابع الرأسمالى لاشتراكية المستقبل.

فهل خلط مشروع البرنامج حقاً بين التحالف الاستراتيجى والتحالف فى مرحلة الانتقال؟! وهل وضع الدكتور ابراهيم سعد الدين الرأسمالية المنتجة في كتلة الطليعة الاشتراكية؟ وهل وافق أعضاء لجنة البرنامج -وقد عرضت أسماءهم لتحاسبوهم، على وجود الرأسمالية المنتجة فى التحالف الاشتراكى؟!.

تصورت فى بداية الأمر أن الأوراق لم تصل كاملة للزملاء والأساتذة المشاركين فى الندوة، ووجهت سؤالا واضحا لكل من الزميلين الاستاذ **عبد الغفار شكر** والاستاذ **حسين عبد الرازق** حول وصول الأوراق ثم عدت إلى الصفحة التى حددها الرفيق **عبد القوى زيدان** ص٢٩ وإلى الوثيقة الكاملة ،ثم إلى الكتاب الذى جمعنا فيه وثائق المؤتمر العام الرابع وهى مشروع البرنامج العام ومشروع التقرير السياسى ومشروع تقرير تطوير البناء الحزبى وأوراق نقاش ووجهات نظر أخرى بالاضافة إلى اتجاهات الرأى التى برزت فى اللجنة المركزية .(وهو كتاب وثائقى جديد يختلف عن كتاب مصر وقضايا المستقبل المنسوب لكاتبى الدراسات).

وقد أوضحت إعادة القراءة لتلك الفقرات فى مشروع البرنامج أن ثمة انطباعاً مسبقاً نشأ عن قراءة سريعة من الزملاء والرفاق للبرنامج هو المسئول عن هذا التأويل الخاطئ لموضوع التحالف الطبقى للاشتراكية .إذ ليس ثمة خلط فى التحالفات في هذا الصدد ، ولا دور للرأسمالية المنتجة فى بناء الاشتراكية.

إن الفقرات التى ذكرها الأستاذ **نبيل الهلالى** ، ثم استشهد بها صديقنا **أحمد عبد القوى زيدان** هى فقرات موجودة تحت عنوان اشتراكية المستقبل فعلا، ولكنها **لا تتحدث عن الاشتراكية بل عن التنمية المستقلة كمرحلة انتقالية سابقة على الاشتراكية ، وتتكلم عن التحالف الطبقى فى ظل التنمية المستقلة وليس فى ظل الاشتراكية.**

والعبارات فى هذا الصدد واضحة ، ولذلك سنذكر بعض الفقرات الضرورية.

يقول مشروع البرنامج ص٢٩ فى الأوراق أو ص٣٩ فى الكتاب المطبوع:«ان تحقيق مجتمع اشتراكى فى مصر سيتطلب أولا النضال من أجل تنمية اقتصادية واجتماعية مصرية مطردة تعتمد على الذات .. تلك هى التنمية المستقلة»ص٣٩.

«إن النجاح فى تحقيق هذا النوع من التنمية المستقلة والمطردة هى شروط ضرورية لتوفير ظروف الانتقال إلى الاشتراكية»نفس الصفحة.

هنا الحديث واضح عن التنمية المستقلة كمجتمع انتقالى سابق على الاشتراكية .وبين هاتين الفقرتين تأتى الفقرة القائلة بـ« تعتمد التنمية المستقلة على تحالف طبقى واسع».نفس الصفحة.

ثم تنتهى الفقرة المقدمة المكتوبة تحت

عنوان «اشتراكية المستقبل» بالقول:

«ففى حالة نجاح التنمية المستقلة فإن طبيعة التنظيم الاقتصادى الاجتماعى المستقبلى يعتمد على طبيعة التوازن الذى سينشأ بين الطبقات وعلى نتائج الصراع بينها،كما يعتمد أيضا على وضوح الرؤية لدى القوى الاشتراكية حول نموذج الاشتراكية المبتغاة ومدى قدرة القوى الاشتراكية على تعبئة الجماهير وقيادة صراعها ديمقراطيا من أجل بناء تنظيم اقتصادى اجتماعى بديل للرأسمالية». المشروع ص٤٠.

إن التنمية المستقلة فى هذه الفقرات -المسكوت عنها- تقوم كمجتمع سابق على الاشتراكية ،كمقدمة للاشتراكية ،كتمهيد نجاحه مشروط بقدرة القوى الاشتراكية على قيادة الصراع الطبقى من أجل تجاوز الرأسمالية وبناء المجتمع البديل.

فمن الذى حول مجتمع التنمية المستقلة إلى الاشتراكية؟!. ووضع الرأسمالية المنتجة أو الطبقة الوسطى فى طليعة حلفها الطبقى؟.

٢- الاشتراكية والتبعية:

وفى ظل هذا الانطباع السلبى يقول الرفيق **أحمد عبد القوى زيدان** فى مقاله «اشتراكية الطبقة الوسطى» «بل إننا نؤكد أن الاشتراكية المستقبلية هذه تتخلف كثيرا عن الاشتراكية الناصرية ، وهذا يتضح جلياً فى غيبة موقف واضح من التبعية » اليسار ٩٩ ص٧٥.

فهل حقا غاب الموقف الواضح من التبعية؟!.

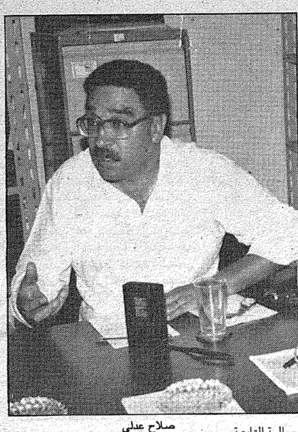
يؤكد الأستاذ **نبيل الهلالى** ذلك فى ندوة «اشتراكية المستقبل» حيث يقول فى العدد ٩٨ من اليسار:

«الملاحظة الثالثة هى **غياب الموقف الواضح من التبعية**،أنا هنا لم أكتف بالجزء الخاص بالاشتراكية ،فقد قمت بمراجعة كل المشروع ، ووجدت أن هناك بعداً غائبا عن المشروع ككل(هو) النضال فى سبيل التحرر من التبعية مقدمة لا غنى عنها لبناء اشتراكية المستقبل ،إذ لا يتصور اقامة مجتمع اشتراكى فى بلد تابع» اليسار العدد ٩٨ص٢٠.

وبالطبع لا يمكن بناء الاشتراكية فى بلد تابع إلا إذا تمكننا مع بعض تيارات الاشتراكية من المزاوجة بين مهام التحرر من التبعية رغم أن التحرر من التبعية ومهام التحرر من الاستغلال الرأسمالى وبناء الاشتراكية ،فى صورة من صور الثورة المركبة.

لكن يبدو أن التجمع يتبنى وجهات نظر الأستاذ نبيل الهلالى والأستاذ أحمد عبد القوى زيدان فى عدم القفز على المراحل أو حرقها.

وقد ذكرنا الفقرات الخاصة بالتنمية المستقلة كمجتمع انتقالى ضرورى بين المجتمع الرأسمالى المرفوض والمجتمع الاشتراكى المنشود .وفقا لرؤية مشروع البرنامج وبنائه المعمارى.



صلاح عدلى

ولكن البرنامج لم يكتف بمثل هذه الفقرات فقد خصص الفصل الثالث كله لمجتمع التحرر من التبعية ببناء مجتمع التنمية المستقلة المعتمدة على النفس ،وجعل عنوان البرنامج هو عنوان هذا الفصل وربطه بالجماهير الشعبية فأسماه «**بناء مجتمع المشاركة الشعبية**».

وعن مقومات هذا المجتمع الانتقالى يقول المشروع:

«والمقومات الأساسية لهذا المجتمع هى فى الواقع مقومات التنمية الوطنية المستقلة والمطردة والتى نرى فيها بديلا أفضل للتنمية الرأسمالية التابعة المشوهة التى تسعى السلطة الحاكمة إلى تحقيقها» مشروع البرنامج ص٥٢.

وتحت عنوان **وطنية التنمية واستقلاليتها** يقول مشروع البرنامج «**إن جوهر التخلف الذى يسعى حزبنا إلى تحرير مصر من قيوده وأغلاله هو التبعية** التى تعرضت لها مصر فى الماضى فى ظل الاستعمار ، ولم تزل تتعرض لها فى الحاضر تحت هيمنة قوى الرأسمالية العالمية» المشروع ص٦١.

ويعطى البرنامج تفاصيل كثيرة فى المجالات المتعددة لقضايا التحرر من التبعية فى فصل المشاركة الشعبية، إلى الدرجة التى لامنا ونقدنا البعض لكثرتها ولاستحالتها فى ظل العولمة.

أى إننا هنا نقدنا لاتساع حديثنا عن التبعية وضرورة التنمية المستقلة ، ونقدنا فى نفس الوقت لغياب أو ضعف هذا الحديث. بعد أن تم الدمج بين أحاديث التنمية المستقلة وتصورات الاشتراكية.

يبقى بعد ذلك أن أقول أننى مثل أى عضو بالتجمع لى ملاحظات عديدة على مشروع البرنامج المطروح للنقاش وخاصة موضوع «**اشتراكية المستقبل**» . ولكن ملاحظتنا لا ترقى إلى مستوى تصور اشتراكية تقودها أو تشارك فى بنائها الرأسمالية المنتجة. وقد **قصدت من هذه المساهمة أن يدور النقاش حول مشروع البرنامج أو حول موضوع اشتراكية المستقبل حول النص نفسه لا حول انطباعاتنا حوله أو تأويلاتنا لبعض أجزائه.**

من هنا رأيت من واجبى توضيح الموقف الفعلى -فى نص- مشروع البرنامج من كل من التحالف الطبقى وموقع الرأسمالية المنتجة فيه ونفى علاقة هذا التحالف الواسع بالمجتمع الاشتراكى وفقا للنص مع احتفاظى بموقفى الخاص المضاد لمفهوم الرأسمالية المنتجة أو الرأسمالية الطفيلية، وكذلك توضيح الموقف الفعلى لمشروع البرنامج من النضال من أجل التحرر من التبعية وتأكيد وضوح هذا الموقف فى سياق فصل كامل بعنوان مجتمع المشاركة الشعبية وجوهره مجتمع التنمية المستقلة ونفى التبعية.

أما قضية اشتراكية المستقبل وهل هى اشتراكية الطبقات الكادحة أم اشتراكية الطبقة الوسطى فإن القضية كما أوضحت فى مقدمة المقال تحتاج لقدر أعلى من المسئولية والجدية فى إطار من حرية البحث العلمى وحرية النقاش -وحرية النقد- وحرية الخطأ. وفى إطار من البعد عن التوصيفات الجاهزة ، تلك التى سقطت مع سقوط نماذج اشتراكية القرن العشرين.

مداخلات

اشتراكية المستقبل

سمك.. لبن.. تمر هندى

د. صفوت حاتم

مقدمة لابد منها

على صفحات العدد ٩٨ من مجلة اليسار اجتمع عدد من مثقفى «اليسار المصرى» لمناقشة تصور الاشتراكية التى يناضل **حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى** من أجل إقامتها فى مصر والتى طرحها مشروع برنامجه الجديد تحت عنوان أو شعار «بناء مجتمع المشاركة الشعبية».

الشعور الذى نخرج به بعد قراءة برنامج التجمع حول «اشتراكية المستقبل» أنه خليط من كمية كبيرة من الافكار السريعة (غير الناضجة) لمواجهة الآثار السياسية والنظرية التى أفرزتها **صدمة «انهيار الكتلة الشيوعية»** بعد ثلاثة أرباع القرن من الممارسة «الاشتراكية». ولا شك أن «الصدمة» الذهنية والفكرية التى أعقبت إنهيار ما سمى بالمنظومة الاشتراكية وطريقة الانهيار ذاتها أصابت الكثيرين بدرجة عالية من «التخبط» و«النكوص» يمكن ملاحظته فى كثير من أدبيات الفكر الاشتراكى فى حقبة التسعينات ولم ينج منها برنامج التجمع الذى تحولت الأفكار المتناثرة فيه إلى ما يشبه الوجبات السريعة Fast food كيف؟.

أولا : التخبط

فبرنامج الاشتراكية المطروح فى برنامج التجمع لا يعدو أن يكون «**تجميعا**» غير مترابط لأفكار تنتمى للشعارات «**الناصرية**» كما طرحت فى «**ميثاق العمل الوطنى**» مع خليط من أفكار «**الاشتراكيات الديمقراطية**» كما تطرحها الأحزاب الاشتراكية- وليست الشيوعية- في غرب أوروبا مع «**طبقة رقيقة**» من الماركسية (على الأرجح لحفظ ماء الوجه لحزب يحمل لافتات يسارية).

لهذا لم يكن عجيبا أن الأستاذ «**أحمد عبد القوى زيدان**» (فى تعقيبه على صفحات مجلة اليسار عدد ٩٩ / مايو ١٩٩٨) ضبط البرنامج متلبسا فى أكثر من موضع برفع: «**اشتراكية كتلك التى كانوا يدرسونها فى منظمة الشباب أيام عبد الناصر**».

وكيف لا والبرنامج يتحدث- كما يقول أ. ع زيدان -عن : «اشتراكية تلعب فيها الرأسمالية دورا واضحا»(صفحة ٢٩).

كما أنه يضبط أصحاب البرنامج متلبسين مرة أخرى برفع شعار ناصرى آخر فيما كتبوه:

«عن السوق الرأسمالى الذى يتحول إلى سوق اشتراكى عندما يتم التقريب بين الفوارق الكبيرة فى توزيع الدخل والثروة فى المجتمع.

والله يرحم أيام «تذويب الفوارق بين الطبقات»!!.

ولم ينس أن يذكرهم كذلك بما كتبوه عن : عدم إرهاق الجيل المعاصر وعدم الافتئات على حقوق الأجيال القادمة «بما جاء فى الميثاق الناصرى عن عدم التضحية فى عملية التنمية بالجيل الحالى من أجل الأجيال القادمة»!!.

لكل هذا- وغيره- جاءت اشتراكية المستقبل -على حد قول **أحمد عبد القوى زيدان**: «**اشتراكية برجوازية إصلاحية**».

ولما لا وهى اشتراكية تعتمد (كما جاء فى البرنامج) على تحالف طبقى واسع يشمل الرأسمالية المصرية المنتجة بالاضافة إلى الفلاحين والعمال والمثقفين والفئات الوسطى».

وقد لاحظ (وهو محق فى ذلك) أن ترتيب القوى بهذا الشكل ذو دلالة معينة أرادها كاتبو البرنامج.

ولم ينس الأستاذ «أ. ع زيدان» أن يستشهد فى هذا الصدد بتعليقات الأستاذ «**محمود أمين العالم** الذى رأى أن البرنامج : «خال من الحس الطبقى» أو بتعليقات الأستاذ «**نبيل الهلالى**» الذى رأى أن مشروع البرنامج : «يتوجه أساسا للبرجوازية يحاول طمأنتها وكسب تأييدها ورضائها عن المشروع».

وسيبدو التخبط حين يفصح البرنامج عن مفاهيمه عن «**التخطيط**» وعن دور «**الملكية العامة**» في ظل الاشتراكية وعن مرحلة «**التنمية المستقلة**» وقيادتها الطبقية وطبيعة النظام الاقتصادى الذى سيسودها وشروط الانتقال منها لبناء الاشتراكية.

وكأن البرنامج فيما طرحه من قضايا يعتبرها «جديدة» قد نكص فعليا عن مفاهيم الاشتراكية العلمية ليتبنى خليطا من أفكار اشتراكية «إصلاحية» قد تقترب من الشعارات التى يتضمنها برنامج الحزب الحاكم «الحزب الوطنى الديمقراطى» و.. الحزب الذى لم يدخر أى جهد فى ضرب الاشتراكية والمكتسبات الاجتماعية لقوى الشعب العامل.

ثانيا: النكوص
رأسماليون وطنيون
ورأسمالية خائنة!

ورغم أن واضعى برنامج التجمع والمشاركين فى «**ندوة اليسار**» حاولوا أن يستفيدوا من تجربة بناء الاشتراكية خلال الحقبة الناصرية وما آلت إليه توازنات القوى الاجتماعية منذ السبعينيات كما حاولوا الاستفادة أيضا من وقائع الزلزال الذى نتج عن انهيار الكتلة الشيوعية أمام خصمها الرأسمالى العتيد إلا أن هذه الاستفادة لم تكشف بعد عن تمثل وهضم الأبعاد النظرية والعملية التى كشفتها هذه الوقائع.

ولعل أهمها-فى رأينا- موقف البرنامج مما سماه- «**الرأسمالية المصرية المنتجة**».. لماذا؟.

لأن كل وقائع التجربة المصرية -وغيرها -أثبتت أن ما يسمى «**الرأسمالية الوطنية**» **ليست سوى وهم نظرى لم يحدث إلا فى التجربة الأوروبية** .أما فى البلدان المتخلفة وحديثة الاستقلال فلقد أثبتت «**الرأسمالية المحلية**» فى أكثر من مكان تهادنها وخيانتها المستمرة للمبادئ الوطنية والديمقراطية واستعدادها الدائم للالتحاق بالنظام الرأسمالي العالمى بشروطه وفى كثير من الأحيان كانت ضد الطبقات الشعبية وعلى حسابها وهو ما



محمود أمين العالم.. يتحدث فى الندوة وإلى جواره محمود المراغى وفريدة النقاش

حدث على سبيل المثال فى **تركيا وأمريكا اللاتينية .وفى مصر فلقد نكصت «الرأسمالية المحلية» عن القيام بمهامها «الوطنية» والمساهمة فى عملية «التنمية الوطنية».**

إن الحديث مرة أخرى عن دور وطنى للرأسمالية المصرية ليس سوى جرى وراء الأوهام دفعت مصر ثمنه غاليا عدة مرات.

لقد تبدد هذا الوهم أول مرة بعد صدور القانون ١٢٠ لسنة ١٩٥٢ والذى صدر بعد أسبوع واحد فقط من قيام الثورة وتلته ترسانة أخرى من التشريعات التى تشجع الرأسمال على الدخول فى عملية التنمية . ورغم ذلك فقد تخلت «الرأسمالية المصرية» «كطبقة» عن دورها الوطنى فى عملية الانتاج رغم ما وفرته لها حكومة الثورة من حماية جمركية ومزايا تمويلية.

وسيتكرر هذا الوهم مرة ثانية مع تجربة التخطيط الأولى عام ١٩٥٩ ومع تأميمات ١٩٦١ و١٩٦٣ وستثبت الرأسمالية المصرية- كطبقة -نكوصها وخيانتها الدائمة لاهداف المجتمع فى تنمية مستقلة.

ومع تجربة الانفتاح الاقتصادى التى بدأت عام ١٩٧٤ ستثبت الرأسمالية المصرية (وبشكل حاسم) طبيعتها الرجعية من خلال الحملة التى قادتها ولا زالت تقودها لإلحاق الوطن بالسوق الرأسمالى العالمى دون شروط ، وتعاونها مع العناصر الأكثر رجعية فى المجتمع لتصفية كل المكاسب الشعبية للطبقات الكادحة (تصفية القطاع العام .. تصفية الاصلاح الزراعى .. إقامة ترسانة هائلة من القوانين المقيدة للحريات وتصفية كافة المكتسبات التشريعية للطبقات الشعبية التى حصلت عليها خلال الحقبة الناصرية .. الخ).

إن الرأسمالية الناشئة فى المجتمعات المتخلفة اقتصاديا المتحررة حديثا لا تستطيع أن تنافس الامبريالية ولو حاولت لسحقت . فلا يبقى أمامها إلا التعاون والاستفادة من الخبرة والمشاركة فى فتات الكعكة. أى **أن الرأسمالية المحلية لا يمكن أن تعيش- كطبقة- إلا باعتبارها «وسيط» للرأسمالية العالمية فى محاولاتها السيطرة على أمتنا العربية عن طريق «التبعية»** .وهذه الخيانة لا تجدى فيها النوايا الحسنة لبعض الرأسماليين أو بواعثهم الشريفة أو أخلاقهم الحميدة.

لا نريد أن نطعن أى رأسمالى فى وطنيته أو أخلاقه على المستوى الفردى ، ولكن خيانة الرأسمالية المصرية وفتحها أبواب الوطن للرأسمال العالمى لم يعد محل شك لدينا بعد أن أكدته الخبرة التاريخية لوطننا.

يبقى أن العناصر المنتجة فعلا فى الرأسمالية المصرية (والتى قد تضار فعلاً من سياسة الالحاق التى تقودها الرأسمالية الكبيرة) هى عناصر هشة وضعيفة التأثير على المستويين السياسى والاقتصادى وشروط بقائها تقتضى منها الاعتراف بأهمية البناء الاشتراكى وقيادة العمال والفلاحين ، وهو الأمر الذى لم يثبت حتى هذه اللحظة (ربما لضعف أو إنعدام تنظيماتها الطبقية والسياسية).

٢- عدم الوضوح الطبقى

لكل هذا -وغيره -سيصبح حديث برنامج التجمع عن «**حقبة التنمية المستقلة**» أى تلك الحقبة التى تسبق حقبة الاشتراكية حديثا غامضا ،ففى صفحة(٣٩) يقول البرنامج :

«أن التنمية المستقلة تعتمد على تحالف طبقى يشمل (حسب ترتيب البرنامج؟!!) الرأسمالية المصرية المنتجة ، بالاضافة إلى الفلاحين والعمال والمثقفين والفئات الوسطى..».

والمشكلة فى هذه الصيغة الطبقية المطروحة فى برنامج التجمع أنها تعمدت الغموض بل **يمكن أن تعطى الانطباع أن قيادة هذه الحقبة معقود «للرأسمالية المصرية المنتجة»** .هذا من ناحية. من ناحية أخرى ، توضح صيغة البرنامج أن النظام الاقتصادى لحقبة «التنمية المستقلة» هو النظام الرأسمالى.

نقرأ فى البرنامج ما يلى:

«توضح الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية السائدة حاليا فى مصر صعوبة الانتقال الفورى إلى الاشتراكية »(ص٣٩).

ما الحل إذن؟.

يجيب برنامج التجمع : أن تحقيق مجتمع اشتراكى فى مصر سيتطلب أولا النضال من أجل تنمية اقتصادية واجتماعية مصرية مطردة تعتمد على الذات.. تلك هى التنمية المستقلة».

ولكن ما هوالتنظيم الاقتصادى والاجتماعى لحقبة التنمية المستقلة؟.

يجيب برنامج التجمع: «إن التنمية المستقلة يمكن أن تؤدى إلى أشكال مختلفة من التنظيم الاقتصادى والاجتماعى»..

هناك احتمالات عديدة إذن لحقبة «التنمية المستقلة» .. ولكن كيف سيتم تحديد مستقبل هذه الحقبة؟.

يجيب برنامج التجمع «مباشرة »«فى حالة نجاح التنمية المستقلة فإن طبيعة التنظيم الاقتصادى والاجتماعى المستقبلى يعتمد على طبيعة التوازن الذى سينشأ بين الطبقات وعلى نتائج الصراع بينها».

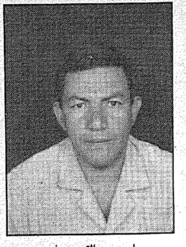
ولا يترك البرنامج شكا حول« قيادة التحالف الطبقى» لحقبة التنمية المستقلة والتى وضع البرنامج على رأس تحالفها «الرأسمالية المصرية المنتجة».

ولماذا «الرأسمالية المصرية المنتجة»؟.

لن يترك لنا برنامج التجمع فرصة ضرب «أخماس فى أسداس» حول التنظيم الاجتماعى لحقبة «التنمية المستقلة» اذ سنراه يضيف قائلا ان احتمالات نجاح حقبة التنمية المستقلة «**يعتمد على وضوح الرؤية لدى القوى الاشتراكية حول نموذج الاشتراكية المبتغاة ومدى قدرة القوى الاشتراكية علي تعبئة الجماهير وقيادة صراعها ديمقراطيا من أجل تنظيم اقتصادى اجتماعى بديل للرأسمالية**».

هنا بيت القصيد فحقبة «التنمية المستقلة» التى تسبق الاشتراكية قد تكون «رأسمالية» أو هكذا يتصورها واضعو البرنامج وهو أمر يفسر كيف وضع كاتبو البرنامج «الرأسمالية المصرية المنتجة» فى قائمة التحالف الطبقى بعد أن أضافوا لها ما شاء الله لهم من طبقات أخرى!!.

لهؤلاء نقول.. لا يا سادة إن مرحلة التنمية المستقلة لن تكون بقيادة الرأسمالية **وأن القيادة الطبقية يجب أن تكون لتحالف العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والقطاعات الرأسمالية المضارة من سياسة التبعية الاقتصادية التى تقودها الرأسمالية المصرية المسيطرة كطبقة ،فضلا عن أن محتوى** حقبة «التنمية المستقلة» لن يكون رأسماليا بحال من الاحوال ، ولا يجب أن يكون.**



احمد عبد القوى زيدان

الحديث عن دور وطنى للرأسمالية المصرية جرى وراء الأوهام

وكل ما نرجوه أن يكون تفسيرنا لهذه الفقرة من برنامج التجمع تفسيرا متعسفا وأنهم يريدون شيئا غير ذلك الذى فهمناه؟!!.

٣- اشتراكية التخطيط التأشيرى؟!

ولأن اشتراكية «برنامج التجمع» هى من قبيل « سمك.. لبن.. تمرهندى » فلم يكن عجيبا ولا غريبا أن نطالع «الابتكارات النظرية الجديدة عن الاشتراكية العلمية التى يسوقها البرنامج سمة هذه **الاشتراكية العلمية التى يبشر بها اشتراكيو التجمع أنها تبدأ. بإعطاء دور متزايد للسوق الاشتراكى (ص٤٣).** وبعدها -بعدها فقط- يمكن أن يعطوا للتخطيط : «دور مهم وحاسم فى المجتمع الاشتراكى».

أما لماذا يجب أن يكون للتخطيط دور مهم وحاسم فى المجتمع الاشتراكى؟.

يقول واضعو البرنامج : «بالاضافة إلي الدور المتزايد للسوق الاشتراكى يبقى للتخطيط دور مهم وحاسم فى المجتمع الاشتراكى باعتباره صمام الأمان ضد احتمالات القصور فى عمل السوق.

الله الله علي اشتراكية المستقبل التى أصبح كل دور التخطيط فيها هو «ضبط القصور فى عمل السوق؟!.

ولا يترك لك واضعو البرنامج أى شك فى أن اشتراكيتهم تنتمى لبرامج الاشتراكيين الديمقراطيين فى أوروبا الغربية من نوع **اشتراكية حزب العمال البريطانى فى طبعته التاتشرية أى طبعة «تونى بلير» لذلك** نراهم يقولون عن التخطيط فى ظل اشتراكية المستقبل ويكون التخطيط بقدر الإمكان ديمقراطيا وتأشيريا ويعتمد فى تحقيق أهدافه على الروافع الاقتصادية دون الاعتماد إلى سلطة الدولة أو نواهيها»(ص٤٣).

ويعلم واضعو برنامج التجمع وكلهم «أساتذة» فى علم الاقتصاد الاشتراكى وغير الاشتراكى الفرق الحاسم بين «التخطيط» فى ظل الاشتراكية والتخطيط الذى تتبناه النظم الرأسمالية .لقد أصبح عاديا أن تلجأ المؤسسات والاحتكارات الرأسمالية إلى تخطيط نشاطها على وجه يحقق غايتها كما أصبح عاديا أن تضع بعض الدول الرأسمالية تخطيطا اقتصاديا ،ويعرف واضعوا البرنامج أنه يسمى« تخطيطا تأشيريا» وهو غير ملزم لقطاعات الرأسمالية التى لا يحركها إلا قانون السوق.

إن جوهر التعارض بين اقتصاد اشتراكى واقتصاد رأسمالى هو التعارض بين التخطيط كقانون تطور المجتمع الاشتراكى وبين السوق كفاعلية وقانون أساسى للمجتمع الرأسمالى حتى لو انتهجت نوعا من التخطيط يسمونه تخطيطا تأشيريا.

وجوهر التعارض بين الأول والثانى أن التخطيط الاشتراكى ملزم لكل القطاعات الانتاجية فى المجتمع وهو ما يسمى «التخطيط الشامل» أما التخطيط التأشيرى فهو قاصر على القطاعات التى تملكها الدولة الرأسمالية أى أنه غير شامل.

ويبقى السؤال لماذا يجب أن يكون شاملا؟.

لأن النظام الاشتراكى يقوم على أساسا على «سيطرة» الشعب على كل وسائل الانتاج العامة والخاصة والتعاونية ولا يمكن أن يكون كذلك إلا بالتخطيط الشامل.

ان التعارض بين «التخطيط الشامل» كمميز للنظام الاشتراكى وبين «التخطيط التأشيرى» كأسلوب فنى لادارة الاقتصاد الرأسمالى هو ذاته جوهر التعارض بين نظام اشتراكى ونظام رأسمالى ،فبالتخطيط الاشتراكى الشامل يتغلب المجتمع على

الفاعلية التلقائية للقوانين الاقتصادية التى يعتبر السوق هو قانونها الأساسى فى المجتمعات الرأسمالية.

٤-أشكال الملكية فى المجتمع الاشتراكى

ولأن صدمة «انهيار الكتلة الشيوعية» كانت أكبر مما يحتمله البعض فكريا فقد انتقلت طائفة يساريينا من نزعة التشهير بالملكية الخاصة، والرأسمالية الوطنية وتنظيرات العسكرتاريا والبرجوازية الصغيرة المتذبذبة و رأسمالية الدولة الوطنيةوالنظام البونابارتى .. إلى آخر المعلقات اليساروية التى كانت سمة مميزة لحقبة الاشتراكية «السوفياتية» ..انتهى كل ذلك لنكتشف مع واضعى برنامج التجمع أن اشتراكية المستقبل «هى اشتراكية تستبعد إعطاء قدسية خاصة للملكية الحكومية باعتبارها الشكل الأرقى للملكية».

هكذا إذن؟

ولا أدرى من كان مسئولا عن هذه المقدسات فى السابق؟!!.

ولأن الحوار جدى وتصفية الحسابات الفكرية ليست من أهدافه نقول لهؤلاء: أن النظام الاشتراكى لا يقدس إلا أشكال الملكية التى «تؤكد سيطرة الشعب على أدوات الانتاج» بغض عن النظر عن الشكل القانونى للملكية.

فالملكية العامة ليست مقدسة فيما لو أن المسيطر عليها (تخطيطا وتنفيذا وعائدا انتاجيا) هى البيروقراطية الحاكمة.

كما أن الملكية الفردية- ولا نقول الملكية الخاصة- تكون مقبولة اجتماعيا فيما لو كانت تعزز من عملية البناء الاشتراكى.

ويفيدنا هنا أن نفهم الفارق اللفظى والعقلى بين تعبير «الملكية الفردية» وتعبير الملكية الخاصة فالدلالة العملية لهذين اللفظين فى مجتمع رأسمالى قانونه الاقتصادى هو تحقيق أكبر ربح ممكن تختلف عن دلالتها فى مجتمع اشتراكى هدفه الأساسى اشباع حاجات الجماهير المادية والثقافية بغض النظر عن عامل الربح. إنه الفرق بين مفهوم الملكية فى مجتمع مخطط ومفهومها فى اقتصاد غير مخطط على هذا نقول أن تعبير الملكية الفردية ينصرف إلى الشكل القانونى للملكية بينما تعبير «الملكية الخاصة» ينصرف إلى الوظيفة الاقتصادية.

إذا كان واضحا فإن ما نريد أن نقوله هو أن المجتمع يسمح «بالملكية الفردية» ولكنه لا يسمح «بالملكية الخاصة» .. هل هو لغز؟.

أبدا .المسألة بسيطة، أن الوظيفة التى ينبغى أن تؤديها «الملكية الفردية» فى المجتمع الاشتراكى يجب أن تكون وظيفة اجتماعية وليست وظيفة خاصه . إذ ليس هناك أهداف أو وظائف خاصة فى ظل الاشتراكية هناك أهداف اجتماعية أو جماعية تخدم المجتمع الاشتراكى كله وتعزز من سيطرة الشعب على وسائل الانتاج.

نفس المنطق ينطبق على الملكية العامة فيما لو كانت خارج نطاق سيطرة الشعب فى حالة تحكم البيروقراطية هنا يكفى كونها ملكية اشتراكية فى هذه الحالة رغم «الشكل القانونى» لها كملكية عامة.

ان واضعى برنامج اشتراكية المستقبل يعلمون أن قضايا عديدة مثل: آليات النظام الاشتراكى وديمقراطية التخطيط والحوافز الفردية والجماعية فى المجتمع وتحديد الأجور وفاعلية السوق فى ظل الاشتراكية وتحديد مفهوم القيمة والقيمة المضافة كلها أمور كانت محل دراسات ومناظرات مختلفة ولم تحسم بعد وتحتاج لحوارات عميقة قبل الالقاء بها هكذا فى برنامج التجمع باعتبارها تجديدا وتطويرا وتحديثا للمفاهيم التى أسقطتها تجربة البناء الاشتراكى خلال هذا القرن.

لكل هذا نرى ان برنامج التجمع الأخير ليس سوى تجميع لأفكار مستقبلية لم تنضج وتحتاج إلى حوار عميق وتأصيل هادئ وهو ما ندعو له ونشجع عليه كل القوى الاشتراكية.

وشكرا للتجمع ولمجلة اليسار أنهما فتحا لنا هذا الحوار الخصب.



نبيل الهلالى بين حلمى شعراوى وخالد البلشى



شاهنده مقلد الحب على فوهة بندقية

د. رفعت السعيد

«شاهنده العزيزة..

..إن الإنسان يبحث عن حقيقة. لماذا يذهب بعيداً ولا يعود؟.

هل لأن الحقيقة بعيدة عنا وهى البديهية؟ حينما نؤتى الشجاعة لمناقشة كل ما هو بديهى سنرى غريبا، وسنصنع عجيبا، وسيتغير التاريخ».

من كلمات لصلاح حسين دونها فى أوتجراف شاهنده

«ابنتى العزيزة

اتقى الله فى كل كبيرة وصغيرة، لا تفعلى سراً ما تخشينه علنا..

ودافعى عن رأيك حتى الموت».

من كلمات قائمقام عبد الحميد مقلد والد شاهنده في ذات الأتوجراف.

الاسم: شاهنده هانم عبد الحميد مقلد

تاريخ الميلاد: ١٨ نوفمبر ١٩٣٨.

محل الميلاد: شبين الكوم

الاسم الحركى: أمل

*** شاهنده**

الأب ضابط بوليس وطنى الاعتقاد والموقف، وفدى الهوى. الاسرة من أغنياء الفلاحين جدها لأبيها الشيخ **على مقلد** كان عمدة كمشيش، وجدها لأمها البكباشي **محمد خالد** كان ضابطا فى سلاح الحدود. الأم متعلمة.. الأب ضابط مثقف، يقرأ، يحب الموسيقى، يعزف على العود عزفا جميلا.. ولأنه كان وفديا فقد طاردوه دوما تنقل من مكان لآخر وكتب على الاولاد **شاهنده** (الابنة الكبيرة) وخمسة آخرين أن يرتحلوا كل ستة أشهر تقريبا فيما بين اسوان- اسيوط -منفلوط- الفيوم- ديرمواس-طلخا.

كان أكبر تقدير قدمه الوفد للضابط الوفدى أنهم نقلوه مأمورا لمركز سمنود بلدة النحاس باشا.. حصلت شاهنده على الاعدادية من قنا.. ولم تكمل دراستها.

عبر ستة عشر عاما هي عمر شاهنده حتى وفاة والدها انتقلت عبر أربع عشرة بلدة ..عاشت مدلله «بنت حضرة الضابط»، ثم «بنت البيه المأمور» ثم «بنت الباشا الحكمدار» فى بلاد يكون فيها هذا اللقب محل احترام وما هو أكثر من الاحترام.

*** صلاح**

صلاح حسين ابن عمتها ،**فتى خجول رقيق، لكنه ينتفض ثورية** .لعله ورث عن أمه القدرة على الموقف الحازم، الحاسم.. مهما كانت التضحية .(الأم كانت تستعد للزواج خلال بدايات ثورة ١٩١٩. الأسرة العريقة أرسلت البنت مع بعض الكبار لتشترى من القاهرة جهازها وفساتينها.. كانت القاهرة تجمع تبرعات لتمويل رحلة **سعد زغلول** والوفد المرافق له للسفر لحضور مؤتمر الصلح. لم تشتر شيئا.. تبرعت بكل ما معها من نقود **لرحلة سعد باشا**، وعادت إلى القرية دون أن تشترى شيئا).

صلاح الهادئ الوديع، مشاغب يقود عشرات المظاهرات فصل أكثر من مرة. ثم فصلوه نهائيا.. ومع ذلك حصل على الثانوية العامة والتحق بكلية الآداب.

شارك فى كل المعارك. هو جاهز دوما ،وليس من نوع هؤلاء المثقفين الذين يعرفون قول شعارات ساخنة ثم يهربون من ساحة الفعل. رجل يقول ويفعل. بل يفعل أكثر مما

يقول . سافر إلى فلسطين ليحارب ١٩٥١ سافر إلى القنال ليحارب، عام ١٩٥٦ شكل كتيبة من رجال كمشيش وسافر معهم ليحارب،وعندما **اقتنع بقضية الفقراء بقى معهم فى كمشيش ليحارب ، ليتعلم منهم ويعلمهم كيف يحارب وكيف يحاربون.**

*** هما معا:**

يكبرها بعشر سنوات ، لكنها تعلقت به ،من بعيد أحبت هذا البطل الذى يعرف كيف يحب وطنه وناسه.**اختلط حبها للفتى بحبها للناس .وحبها للناس بحبها لصلاح.**

هذا المشاكس الذى يعرف كيف يقول ،وكيف يأسر المئات بما يقول ،كان خجولا ،مرتبكا ، تحسس طريقه نحو قلبها فى وجل. سألها يوما هل لديك أوتوجراف . أسرعت الفتاة الملهتبة حبا واشترت أوتوجراف، كتب لها كلمات غامضة يمكن أن تفهم منها أى شئ . هى تريد أن تعرف يحبها أم لا. عندما وجد الشجاعة ..كان يرتجف والعرق يتساقط من جبينه الذى لم يعرف الخوف.

تعاهدا على الزواج .هى تحدت الجميع وهو علمها كيف يكون التحدى ،هربت إليه، تزوجته رغم أنف الجميع.

***ونعود للبدايات**

الفتاة المرفهة بنت البيه المأمور تتفتح مشاعرها على **حرب فلسطين (١٩٤٨)** . صلاح ترك الجميع يقولون ، يصرخون ، يتظاهرون ، هو فعل .. **سافر ليحارب** . هى كانت تجلس إلى جوار الجرامفون لتسمع عبد الوهاب« أخى جاوز الظالمون المدى» وتبكى ، وتتألق من خلال دموعها صورة «صلاح» حاملا سلاحه.

عندما ألغى النحاس معاهدة ١٩٣٦ خرجت مصر تهتف . وهى شاركت فى المظاهرات وهى لم تزل فى السنة الثالثة الابتدائية . لكنها لاحظت أمرين . أبوها البيه المأمور كان عندما يسمع أن هناك مظاهرة يرفع سماعة تليفون البيت .. كى لا يعطى فرصة لصغار الضباط للاتصال وطلب الاذن بتفريق المظاهرة ..**أما صلاح فقد قرر كالعادة أن يفعل.. ترك الدراسة وسافر إلى القنال.**

..عندما قامت ثورة يوليو نسي المأمور موقعه .. وأخذ موقفا .كتب برقيه إلى **محمد نجيب** يقول فيها: «ما دام الدستور رائدكم ، وصالح الأمة مقصدكم، فبالى الأمام والله يرعاكم . بكباشى **عبد الحميد مقلد** .مأمور مركز سمنود».

الأم ترددت فلا أحد يعرف مصير هذه الثورة. والبكباشى شبع مطاردة وتشتيتاً . لكنه صمم شاهنده ومدحت (أخوها) حسما الأمر خطفا الورقة وأسرعا إلى مكتب التلغراف .(فيما بعد علمت أن أبوها كان على علاقة بأحد الضباط الاحرار ..**حمدى عبيد**) .وعندما خاضت الثورة معركة



الذكرى الخامسة والعشرون لاستشهاد صلاح حسين فى كمشيش



شاهنده والشيخ عراقى(والمترجم) فى زيارة معرض المنجزات الروسية بموسكو

الاصلاح الزراعى اختاروا صديقهم المأمور الذى كان أول من أيدهم من ضباط البوليس ليكون مأمورا لمركز طلخا حيث أعتى الاسر الاقطاعية (البدراوى وسراج الدين)

..**ومع الاصلاح الزراعى تبدأ ملحمة كمشيش** . أسرة الفقى كانت تمتلك مساحات كبيرة حوالى ٢٠٠٠ فدان منها ١٠٠٠ فدان فى كمشيش وحدها. كثير من هذه الأرض مغتصب. انتزعوه قسرا من أصحابه أو أرغموهم تحت التهديد على بيعه بأبخس الاسعار. **وتأتى الثورة ، لكن أسره الفقى تنفذ من ثقب أنور السادات**، وتبقى مستمتعه بالنفوذ، والسلطان والأرض (فقد تم تهريب الأرض من الاصلاح الزراعى) ، وبدأت المعارك أحيانا كلامية وأحيانا شكاوى ، وأحيانا بالسلاح .. والغريب أن البيه المأمور كان يشارك فى هذه المعارك ، يهرب السلاح والذخيرة للفلاحين .. والغريب أنه كان يستخدم **شاهنده** لتهريب السلاح والذخيرة إلى كمشيش، فمن يمكنه أن يشك فى هذه الفتاة الشيك بنت البيه المأمور؟.

أحست أسرة الفقى بخطر الأب.. دسوا له ، ونقلوه إلى بنى سويف ليكون بعيدا . ولكى يكون النقل مبرراً منحوه ترقية فأصبح قائمقام.

*** أبله وداد.**

.. كانت شاهنده فى الثالثة اعدادى عام ١٩٥٣ ،والتحقت بمدرسة **شبين الكوم** .وهناك

التحقت بمدرسة من نوع خاص «**أبله وداد مترى**». مدرسة نشيطة، تفيض حيوية أقامت فى المدرسة أنشطة ثقافية وفنية ورياضية .. أحبت شاهنده **أبله وداد** . لكنها بدأت تسمع همسات متناثرة «**أبله وداد شيوعية**» هى طاردت أبله وداد حتى فتحت لها قلبها ومعه خزائن معرفتها ، وأعطتها كتاب« **أصل العائلة**» . أخذت أجازة، وحاولت عبثا أن تفك طلاسم مستعصية . ولم تفهم شيئا . فأعطتها كتابا آخر.

لاحظ **صلاح** انها تخوض معركة التعرف على الماركسية فأعطاها كتاب «**الاقتصاد السياسى**» **لليونتيف** كان الكتاب سهلا وبسيطا وفتح أمامها آفاقا رحبه للتعرف على إجابات لأسئلة متراكمة».

لكن الاهم كان تلك المدرسة النضالية التى اعتمدها **صلاح** . العمل مع الفلاحين معهم تماما وليس بعيدا عنهم ولا فوقهم . وإنما الانغماس الكامل فى مشاكلهم واكتشاف أساليب عمل فلاحية : لمعارك فلاحية ، يقودها فلاحون.

وهكذا أصبحا شاهنده وصلاح ماركسيين على الطريقة الكمشيشية ، وليس على أى طريق آخر. صلاح قرر محاربة الاقطاع داخل درب العمل السرى الذى يفرضه العمل المسلح، بل خاض معارك جماهيرية نجح فيها أن يقود القرية .. وان يجعل منها.. ما هى عليه.

وبدأت المعارك .. سلاح بسلاح، لكن سلاح الجماهير أقوى .. لانهم موحدون تحت قيادة **صلاح** وفى ١٩٥٤ بدأ اللهيب يمسك فى ثياب الجميع .**عائلة الفقى** تريد أن تثبت أن الثورة لم تضع هيبتها وتستند فى ذلك إلى **أنور السادات** ..**وصلاح** ورجاله يفرضون ارادة الثورة ويفترضونها.

وقع صدام مسلح الفلاحون قتلوا ثلاثة من المجرمين كان **الفقى** قد استحضرهم لاخافة القرية .. وفرض الحصار على القرية . وفرض حظر التجول . واحتل الهجانة القرية . وأتى **أنور السادات** وقبض على ٢٧ شخصا .**وتقرر نفى صلاح حسين وأحمد الفقى إلى الاسكندرية . الظالم وزعيم المظلومين معا وبذات المستوى.**

صلاح لم يسكت ، كتب منشوراً وزع فى محافظات عده . ومن الاسكندرية أرسل برقية إلى مجلس الثورة تقول:«**زارنا البكباشى أنور السادات ، وأكل على مائدة أسرة الفقى ، واعتقل ٢٧ من أهالى كمشيش إرضاء لجلاديهم ، فهل هذه مبادئكم التي عاهدتمونا عليها؟**».

.. واستمر النضال حتى أفرج عن المعتقلين . وعاد المنفيون.وأقيمت نقطه بوليس فى القرية فألغيت العمودية التى كانت عماداً لأسرة الفقى.

* كتيبة انتحارية

وعندما وقع العدوان الثلاثى .. وفيما كان الاقطاع يشمت فى **عبد الناصر** ، شكل **صلاح** فرقة انتحارية من فلاحى كمشيش ،كان قد تعرف على«**علوى حافظ**» فأخذ رجاله إلى الدرب الأحمر- وهناك واصلوا التدريب استعداداً للمعركة.

دعا شاهنده فكانت فى شبين الكوم تخوض معركة التعبئة الشعبية هى وأبله وداد. تدربت هى أيضا . واستعدت هى أيضا للمعركة.

*طاقم الشهداء

كثيرة هى الأسر المصرية التى نالت شرف أن يكون منها شهيد. لكن هذه الأسرة استمتعت بقافلة من الشهداء ..**شقيق شاهنده أشرف** الطيار المتألق استشهد .**شقيق صلاح الضابط حموده** استشهد هو أيضا.

ثم يستشهد صلاح.

كانت **أسرة الفقى** قد ضاقت ذرعا بهذا الفتى المشاكس الذى لم يكتف بالثورة عليهم .بل نظم الفلاحين جميعا ، قادهم جميعا ، كون منهم صفوفا إثر صفوف تخوض المعركة ضد أسرة الفقى.



مؤتمر لاتحاد الفلاحين بالتجمع

ودعوة التجميع الزراعى



مع وداد مترى فى مؤتمر النساء

العربيات بالاردن



شاهنده، ووداد، وصافيناز كاظم

ونواره أحمد نجم

تطاردهم . تبعدهم عن مواقع النفوذ ، تنافسهم على لجنة الاتحاد القومى، والجمعية التعاونية .. وتنتصر عليهم معركة إثر معركة ، وتلح وتستمر فى الالحاح على ضرورة استعادة الأرض المنهوبة من الفلاحين ، والمهربة من الاصلاح الزراعى.

ثم رصاصة غادرة ويستشهد صلاح.

وتخوض شاهنده المعركة..

ويكون استشهاد **صلاح** بداية معركة جديدة ضد الاقطاع .**المشير عامر**. لجنة تصفية الاقطاع.

لكن الأكثر أهمية هو تلك المعركة الجماهيرية التى خاضتها **شاهنده** لتجعل من كمشيش رمزاً لمعركة ،**ومن اغتيال صلاح بداية لمرحلة جديدة من كفاح متجدد.**

وأصبحت معركة كمشيش حديثا على كل لسان وامتد تأثيرها بعيدا .. بعيدا لتتسع بقعة الضوء التى أشعلتها دماء صلاح.

عائلة الفقى هزمت قبض على كبارها . الأرض تمت استعادتها .الحراسة فرضت عليهم .القصور صودرت ، الأرض وزعت على الفلاحين .. قصر الاقطاعى أصبح قصر ثقافة .. ومركز إعلام.. وفى كمشيش أيضا مسرح.

وانطلقت كمشيش لتصبح منارة . وانطلقت شاهنده .. لتقود المعركة ، ولكن على الطريقة الكمشيشية.يبقى فى كمشيش تل صغير يسمونه الجبل ومستنقع تفوح منه روائح كريهة وناموس وحشرات .. الفكرة

بسيطة . نحمل التل إلى المستنقع . نردم هذا بذاك، وتحولت كمشيش إلى خلية نحل حتى تحول المستنقع إلى ملعب جميل لكرة القدم.

أما بيتها .. بيت الاسرة القديم فقد أسمى **بيت الشعب** .مفاتيحه حتى الآن ليست معها ، هناك مع الفلاحين يدخلون متى يشاءون يجتمعون ، يتشاورون .. ويقررون مصيرهم بأيديهم.

وتحولت كمشيش إلى مزار تستلهم منه قوى اليسار بعضا من إلهام خاصة بعد قرار حل الحزب.

* سارتر فى كمشيش

وفى ١٩٦٦ يقرر **جون بول سارتر** وزوجته **سيمون دى بوفوار** زيارة مصر حيث رتب النظام لهما استقبالا حافلا . لكن اسم كمشيش كان قد طار إلى باريس . ويطلب **سارتر** زيارة كمشيش وتستعد الحكومة .. لكن الفلاحين استعدوا ، أفلت الزمام من يد الحكومة ، وتبددت خططها باحتفال رسمى وفرض الفلاحون احتفالهم.

سارتر وهو يغادر مصر قال: اترك مصر وقد تأثرت بشيئين فلاحى كمشيش وعمال كيما.

ولعل هذا التصريح قد أغاظ المثقفين الذين تباهوا بالاقتراب من سارتر ، ولعله قد آثار شكوك النظام أيضا .

والحقيقة ان الكثيرين من القيادات الناصرية كانوا ينظرون نظرة عدائية لهذه الحركة المتأججة ، والدائمة العطاء التى تخوضها كمشيش ، خاصة عندما تحولت **ذكرى الشهيد صلاح حسين(٣٠**

أبريل) إلى مهرجان سياسى ثقافى فنى (لعلها تجربة الموالد على الطريقة الماركسية إن الذين شاهدوا فى باريس عيد الاومانيتيه يمكنهم المقارنة) ثوريون يساريون يتجمعون من كل أنحاء مصر، مثقفون، فنانون، غناء، موسيقى، أناشيد، ندوات حوارات صاخبة، سوق للكتاب .. وأشياء أخرى جعلت الأمن الناصرى المتحفز يزداد تحفزاً .**وأصبحت كمشيش نقطة ساخنة، مطلوب إطفاؤها.**

وفى واحدة من الصدامات المتكررة زار **شعراوى جمعه القرية قال لشاهنده** «كمشيش كانت تابلوه جميل أنتم شوهتوه» فرددت عليه «**كمشيش صورة مشرقة وستبقى مشرقة**» وانتهى الحوار باعتقال العشرات من رجال كمشيش.. وحملة تأديب وحشية دمرت بيوت القرية .وكنا لم نزل فى العهد الناصرى.

وذلك رغم أن **عبد الناصر** قال فى خطاب أول مايو ١٩٦٧ «**صلاح حسين استشهد بعد ١٤ سنة من الثورة .. وده معناه إن بعد ١٤ سنة لسه فيه رجعيه**».

وتأتى النكسه وتفعل **شاهنده** ما كان صلاح سيفعله لو كان حيا.. جمعت ٥٠ متطوعا من كمشيش وسافرت إلى بورسعيد.

* الاقطاع يعود:

مع النكسه يذهب المشير وتختفى لجنة تصفية الاقطاع، وتلغى الحراسة .. وتعود الأرض للاقطاع، أو هكذا خيل إليه. لكن شاهنده والفلاحين يقررون عدم إعادة الأرض، أرضهم عادت إليهم ولن يتركوها مرة أخرى. اشتروا سلاحا. احتلوا الارض. ورفضوا تسليمها. وكاد الصدام المروع أن يقع. لولا أن شاهنده خاضت حرب أعصاب .. دفعت من ينقل للمأمور أن الفلاحين يحملون رشاشات .. خاف المأمور. اتصل بالداخلية. الداخلية خافت من المواجهة .الخبر وصل إلى عبد الناصر .**أمر عبد الناصر بأن تبقى الأرض فى حيازة الفلاحين.**

ويرحل عبد الناصر تاركا السادات على كاهل مصر. وتأتى الفرصة أمام السادات لينتقم من كمشيش وفى يونيو ١٩٧١ ،كانت كمشيش محاصرة .الرجال يعتقلون .النصب التذكارى للشهيد صلاح حسين يهدم البيوت تقتحم ليدمر كل ما بداخلها .ثم قرار من وزير الداخلية بابعاد عشرين شخصا منهم ثلاثة نساء خارج كمشيش. وطبعا شاهنده على رأس القائمة.

ويبقى المبعدون مشتتون لخمس سنوات حتى تصدر المحكمة قراراً بعدم دستورية إجراء النفى.

..وتواصل **شاهنده المعركة** ليقبض عليها فى يناير ١٩٧٥. يفرج عنها لتعتقل من جديد مرة.. مرتين. ثلاثة .حتى أصبحت مسجونة متمرسة.

فى المره الرابعة هربت .فيما هى تمارس النضال وهى هاربه جاءها خبر: **ناجى قبض عليه** .كيف يحتمل قلب الأم خبرا كهذا .لكنها اخذت الموضوع من جانبه الايجابى. الولد يتمرس يتذوق طعم النضال، يعرف معنى التضحية.

*النضال عبر التجمع

وعندما تأسس **التجمع** .كانت كمشيش هناك ،وانتخبت **شاهنده** امينة لمحافظة المنوفية **وأسهمت فى تأسيس اتحاد الفلاحين .. وخاضت ولم تزل معارك الفلاحين.**

معارك قانون الايجارات الزراعية.. وكل معارك الفلاحين.

وتبقى **شاهنده** بذات الابتسامة الواثقة من نصر آت حتما .تبقى كما تبقى كمشيش صامدة رغم كل التعرجات، وكما طموحات الفلاحين نحو حياة أفضل، ونحو معارك أجمل، كتلك المعارك التى خاضتها كمشيش كى تصبح رمزاً لنضال الفلاحين المصريين.

واذا كان لكل معركة رموزها.

فان كمشيش هى رمز معارك الفلاحين المصريين. ففيها تجسدت استمرارية، وثورية وذكاء وشجاعه الفلاح المصرى.

وتبقى شاهنده هى رمز معركة كمشيش.

واذا كانت الثنائيات الشهيرة تتحدث فقط عن العشق .. قيس وليلى ،حسن ونعيمه وغيرهما .فإن **ثنائية صلاح وشاهنده تمتلك عطرا خاصا وأبديا، فهنا العشق يلتقى مع عشق الوطن والشعب والمعتقد.**

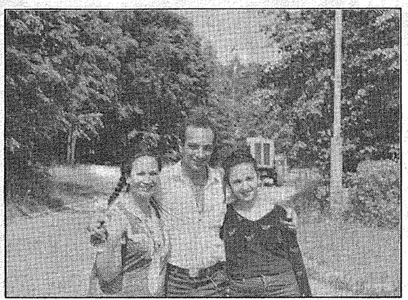
وما أجمل أن يحب الانسان حين معا..

كما تقول رابعة العدوية فى شدوها الصوفى:

أحبك حبين .حب الهوى

وحبا لأنك أهل لذاكا.





ناجى صلاح حسين يحتضن شاهنده وشقيقته بسمة

وشاهنده على عكازين بين وسيم صلاح حسين وزوجته



فن

البطل

لمجدى أحمد على سينما حائرة فى مفترق الطرق



أعترف للقارئ بأننى ترددت طويلا قبل أن أقرر فى النهاية التناول النقدى لفيلم« **البطل** » لمخرجه **مجدى أحمد على** ، ولعل فى هذا إشارة قبل الأوان لموقف سلبى ما تجاه الفيلم، كان هو مصدر التردد فى الكتابة عنه، ذلك أن العلاقة السائدة اليوم بين الفنانين من جانب ، والنقاد من جانب آخر، أصبحت علاقة شائكة يسيطر عليها التوتر ،**فما أن يقرأ الفنان- فى معظم الأحيان- انتقادات حول عمله الفنى ،فإنه يفترض مسبقاً أن ذلك يعنى موقفا شخصيا منه ، يسعى إلى« تكسير مجاديفه» أو الإقلال من شأنه**، وليس من المستبعد أيضا أن ينظر للأمر كله على أنه تعبير عن حسابات ذاتية قد تعمل لصالح هذا الفنان أو ذاك.

وقد يكون هذا التصور صحيحاً فى بعض الأحيان ، فقد اكتسبت المصالح والعلاقات الشخصية بالفعل فى الآونة الأخيرة وجودا قويا داخل الساحة الفنية والنقدية ،مما يجعل الخط الفاصل بين الحق والباطل مليئا بعشرات الثقوب الواضحة أو الخفية ، وهو ما يشير إلى بعض أسباب التردى فى ذلك المشهد العبثى الذى قد نراه كثيرا فى المناقشات والمجادلات العقيمة ،ليس فى عالم الفن وحده، بل أيضا فى عالم السياسة والاقتصاد ، يفتقد فيه المتحاورون- بوعى أن بدون وعى- أصول وقواعد الحوار، وتختلط الدوافع الذاتية والموضوعية على نحو مثير للدهشة والأسى ،حين يعمد كثير من هؤلاء وأولئك ، فى هذا الجانب أو ذاك إلى تسمية الأشياء بغير أسمائها.

أقول إن هذا المشهد العبثى قد يدعوا المرء أحياناً إلى الانسحاب والتراجع عن قول أو كتابة ما يراه من وجهة نظره صحيحاً لأنك لن تعدم فى هذا السياق من يفسر الأمر على نحو خاطئ أو مغلوط ، ليس فقط بسبب هذا المناخ السائد المضطرب فى حياتنا الثقافية ، ولكن لأن الفنان فى العادة يتمتع بحساسية مفرطة تجاه الانتقادات التى قد يتم توجيهها إلى عمله الفنى ، ونحن لا ندعوه إلى التخلى عن هذه الحساسية التى هى من سمات الفنان الأصيلة ، لكنها قد تؤدى به أحيانا إلى تفسير ما يقرأ على أنه علامة حب أو كراهية ، وقد لا يصبح اعترافى للقارئ كاملاً إلا إذا أشرت إلى أن التردد فى تناول بعض الأعمال الفنية الجادة ينبع من تجارب شخصية لا تخلو من المرارة، حين تصور البعض من فناننا الموهوبين أن الدور الوحيد للناقد الذى يؤمن بموهبتهم هو أن يقف دائما مدافعاً عن« كل » إنجازاتهم . غير أن لذلك الأمر وجهاً آخر ، أراه أكثر أهمية وخطراً ، هو أن الايمان الحقيقى بتلك الموهبة يعنى قدراً أكبر من الإحساس بالمسئولية تجاه الفنان، والتوقف أمام إيجابيات وسلبيات أعماله الفنية بصراحة ووضوح كاملين ،**وليست القسوة- إن جاز التعبير-فى بعض الأحيان إلا تعبيرا عن حب عميق وإيمان أكثر عمقا ، والمرء قد لا يقسو على معدومى الموهبة بقدر صرامته مع من يرى أن مسئولية صنع المستقبل فى عالم السينما المصرية تقع على عاتقهم.**

وأرجو ألا يتصور القارئ أو الفنان أبدا- وهو الرجاء الذى تكرر مراراً عبر مقالات

أحمد يوسف

عديدة سابقة- ان الناقد الجاد يتوهم أنه يملك الحقيقة المطلقة وحده ، فليست وجهة نظره النقدية إلا محصلة لعوامل موضوعية وذاتية عديدة، تمد جذورها فى ثقافته الشخصية كما تمدها فى رؤيته للحياة، ولا يملك الناقد أن يزعم- حتى لو ادعى الموضوعية الكاملة- أنه يستطيع التخلى عن أفكاره ومعتقداته وانحيازاته الخاصة، لكن هل يمثل ذلك اعتذارا من أى نوع عن الرأى النقدى الذى **يؤمن به الناقد؟** على العكس تماما، فإن ما أود أن أشير إليه بوضوح هو أن **الأعمال الفنية تشبه الحياة ذاتها إلى حد كبير، فى تعدد مستويات إدراكها وفهمها وتذوقها ، لذلك لا ينبغى علينا ان نصادر على اختلاف الآراء حولها ،** وربما بدا للفنان أحيانا أن رأياً نقدياً سلبياً يقف إلى جانب معسكر «الخصوم»، لكنه إذا تأمله فسوف يكتشف أنه النقد الذى يساعده على تجاوز أخطائه (إن جاز أن نسميها كذلك) ، ناهيك عن أن التناول النقدى لا يقتصر بأية حال- ولا ينبغى له- على التوجه للفنان صاحب العمل الفنى وحده ، وإنما يتوجه أيضا إلى القارئ والمتفرج، فى محاولة معه لقراءة وفهم مشتركين، لعل ذلك يساهم فى النهاية فى رؤية أكثر عمقا للفن والحياة.

لوحة بانورامية

إنها إذن مسئولية لا يجب على الناقد أن يتخلى عنها ، حتى لو كان عليه أن يسير على وتر مشدود ، بين احتمال تعرضه للاتهام بأنه لم يقف إلى جانب الفنان(وإن كان الوقوف إلى جانب الفنان يعنى المساهمة الشجاعة فى إلقاء الضوء على إيجابيات وسلبيات عمله الفنى) ، أو حتى احتمال وقوع الناقد فى مأزق ما يبدو أنه «الهجاء» الدائم تجاه الأفلام، مما يجعل البعض يتصور أنه« لا يعجبه العجب» ، أو أنه يأخذ موقفاً متعالياً على الفنانين، وهذا هو الخطر الحقيقى الذى يجب على الناقد أن يتلافى الانزلاق إليه ، وليس أمامه من سبيل للنجاة من هذا الخطر إلا بالتأمل الطويل للعمل الفنى ، والابتعاد عن تكرار قاموس نقدى خاص، والايمان فى النهاية بأن وجهة نظره ليست إلا إحدى وجهات النظر الممكنة ، وأن أهميتها الحقيقية تكمن فى خلق نوع من رحابة الحوار مع الفنان ،ومع القارئ ،ومع كل الكتابات النقدية الأخرى.

إن أردت تأملا لجوهر القوة والضعف فى فيلم« البطل» لمجدى أحمد على ، فهو أنه فيلم بلا بطل حقيقى واحد ،حيث يعتمد على رسم العديد من الشخصيات التى تتفاعل -أو هكذا كان ينبغى لها- بين بعضها البعض، وبينها وبين السياق السياسى والاجتماعى الذى تدور فيه الأحداث ، وهو السياق الذى يقول لك الفيلم إنه يتناول السنوات حول العقد الثالث من هذا القرن فى التاريخ المصرى فى مدينة الاسكندرية.



احمد زكى و مصطفى قمر

بل إن **جوهر القوة والضعف فى تلك الشخصيات أيضا أنه يمكن لك أن تلخص ما يقوله لك الفيلم عنها فى سطور قليلة**،وفى مركز هذه الشخصيات يقف **حودة كلاوى (أحمد زكى** ،والمفترض أنه شاب فى مقتبل العمر)! ،نجار الموبليا الماهر الذى يعشق رياضة الملاكمة ،مما يجعله مشغولا عن كسب عيشه، فيترك أمه الكهلة **(ماجدة الخطيب)** تعانى من تدبير نفقات الحياة ،حتى أنها تبيع قرطها الرخيص ،وتضطر للاستدانة من الجيران،كما يترك **حودة** شقيقته **فاطمة (مروة)** تنتظر بلا أمل أن يأتى إليها فارس الأحلام. قد يشفق الفتى عليهما وعلى نفسه ، لكنه لا يفعل من أجل ذلك شيئا مذكوراً .

إنه يقف دائما حائرا فى منتصف الطريق ، تملك قلبه عينا المرأة الثرية الشابه **ياسمين(كارولين)** التى يراها فى لحظة خاطفة فيظل يمنى النفس بالأحلام المستحيلة ، قد يستسلم بعد مقاومة عنيدة لاغراءات المرأة اللعوب **(غادة عبد الرازق)** زوجة صاحب الورشة الخواجة آرتين **(أديب الطرابلسى)** ، لكن ضميره يستيقظ ويرفض أن يكون خائنا مما يعرضه لطرده من عمله ، لكنه أيضا لا يلتفت كثيرا لعشق جارته الجميلة حنيفة **(عبير صبرى)** رغم محاولاتها الاقتراب منه.

وتجمع الصداقة بين **حودة** وبين كل من **حسن (محمد هنيدى) وبيترو (مصطفى قمر)** . أما الأول فهو شخص خفيف الظل ، يأخذ الحياة بالكثير من البساطة والقليل من العبث واللهو ، ينحدر من أب يعمل مبيض نحاس ، ويسكن ما يشبه الكوخ الفقير ، لكنه يعمل فى المطبعة الأميرية ويحفظ بعضا من كلمات **بيرم التونسى** السياسية الساخرة اللاذعة. فى الجانب الآخر ، فإن بيترو ينحدر من أب مصرى مسيحى هو غطاس **(حسن حسنى)** وأم أجنبية (تضاربت تفسيرات المشاهدين والنقاد حول إذا ما كانت يونانية أم ايطالية ، لأن الفيلم لم يعر لذلك التفاتا!) ،**وبيترو هذا** يعمل« بارمان» فى إحدى الحانات حيث يلتقى صديقاه معه أحيانا ، وإن كانت معظم لقاءاتهم تدور على شاطئ البحر، فى السير ساعات طويلة يتبادلون معاً حوارات دافئة حميمة، أو فى«كابينة» نائية يمارسون فيها اللهو البرئ وغير البرئ.

أراد الفيلم بهذه الشخصيات الثلاث الرئيسية أن يرسم لوحة لما يتصور أنه الاسكندرية فى تلك الأيام الخوالى ، فعلى الرغم من التناقضات فى ملامح هذه الشخصيات إلا أن حب المدينة يجمعهم ، فى إشارة لطبيعتها «الكوزموبوليتانية» الخاصة، حيث تتجاور الثقافات المختلفة وتتحاور ، دون أن يؤدى ذلك إلى الصدام بينها. **(فى الحقيقة أن مفهوم «الكوزموبوليتانية» على أرض مصر وطوال تاريخها يحتاج إلى الكثير من التأمل والمراجعة ، فالأقرب إلى الصدق هو مفهوم «البوتقة» الذى أشار إليه المفكر المصرى الكبير جمال حمدان فى «شخصية مصر»** .كما أن تلك «الكوزموبوليتانية» تتجاهل الصراعات الطبقية والعرقية التى نشأت عن وجود عناصر وافدة، فى الماضى البعيد والقريب معاً ، وكانت عبقرية مصر أنها استطاعت دائما فى النهاية احتواء هذه العناصر ،حتى لو أتت فى البداية غازية).

التحولات الدرامية

ويأتى التحول الدرامى العنيف فى مسار حياة هذه الشخصيات عندما يحضر الأصدقاء معاً مؤتمراً لحزب الوفد، يخطب فيه **سعد زغلول** خطابا حماسيا ملتهبا ، فتسيطر على حودة الرغبة فى الاقتراب من الزعيم ومصافحته ، مما يجعله يشعر بسعادة غامرة، لكن سعادته تكتمل حين يلتقى فى المؤتمر نفسه بفتاته الثرية الغامضة ياسمين، ابنة أحد باشاوات حزب الوفد ، ليتعلق بعربتها



المخرج مجدى أحمد على- وأمامه عبير صبرى ومصطفى قمر

ويتحمل لسعات سوط الحوذى حتى يعرف مكان قصرها ، ليعود إلى صديقيه فى الحانة حيث يستمر الناس فى لهوهم ، الذى يقطعه دخول الشاب الثورى **نور** ليصرخ فيهم بأن الانجليز قرروا نفى **سعد زغلول** من البلاد ، فكأنما نزل عليهم الخبر كالصاعقة ، ويخرج الجميع فى مظاهرات حاشدة ، تواجهها قوات القمع بالعنف والرصاص ، فيقع الشاب الثورى شهيداً ، مما يترك أثراً بالغا على حسن، فيتحول **بين عشية وضحاها إلى الانخراط فى صفوف الثوار** الذين يضعون على عاتقهم مهمة قتل جنود الاحتلال.

إن ذلك الوعى السياسى المفاجئ الذى يضئ وجدان حسن، يقابله ويعارضه تحول حودة وبيترو إلى أعمال تشبه «البلطجة» حيث يستجيبان لاغراءات جنش (**محمد العدل**) الذى يحترف المقامرة بكل أشكالها ، والابتزاز بكل مستوياته ، والذى يبدو أحيانا واحدا من أعضاء حزب الوفد الشعبى ، وإن كان يخفى تحت السطح عالماً كاملاً من الفساد والانتهازية .**ويصنع الفيلم نوعاً من التشتت الذى أصاب علاقة الأصدقاء الثلاثة** ،حيث يمضى حسن دون هوادة فى أعماله الفدائية ، ويعود حودة إلى ساحة الملاكمة ليفوز بجولة ويخسر جولات ، ويرحل بيترو على سفينة هائما على وجهة. **لكن الدائرة تدور مرة أخرى، ويعود** الاصدقاء إلى اللقاء ، فكأنه الفصل الاخير من الدراما ، حيث يكتشف حودة أن غرامه المشبوب بالفتاة الارستقراطية ليس إلا وهماً ،فيتزوج جارته حنيفة التى عشقته وصبرت عليه طويلا ، أما حسن فإنه يتزوج فاطمة شقيقة حودة، إلا أن مطاردة الشرطة الدائمة له تجعله لا يلتقى بها إلا للحظات خاطفة، أما بيترو فيعود من رحلته ليمارس أعمال البلطجة التى يشاركه فيها حودة أحيانا.

مرة أخرى يأتى تحول درامى عنيف عندما يفيق حودة- فجأة- من حياته اللاهية ، ويصمم على العودة إلى الملاكمة، ويستشهد حسن برصاصات الانجليز فيودعونه وداعاً مهيباً يذكرك ببعض مشاهد فيلم «**الكترا**» **لكاكويانيس** أو «**المومياء**» لشادى عبد السلام ، ويقرر بيترو أن يعود إلى أحضان أبيه غطاس بعد جفاء طويل ، لينتهى الفيلم بما يشبه الانتقام الذى ينتزعه حودة لنفسه ولصديقه الشهيد حسن -بل للوطن كله- بانتصاره الحاسم فى مباراة للملاكمة على غريمه الانجليزى ، لتبدو نشوة الاحتفال بهذا الانتصار وكأنها مهرجان وطنى حافل ، تطير فيه «الطرابيش» والقبعات والورود فى الهواء.

طرطشات عشوائية!

لكى يكون المرء منصفا مع تجربة فيلم «**البطل**» ، فإنه **ينبغى علينا أن نتوقف** - وإن كانت تلك الوقفة لن تدوم طويلا **مع اللمسات الرقيقة التى أضفاها مجدى أحمد على -فى تجربته الروائية الثانية بعد« يا دنيا يا غرامى»- على فيلمه ، فى استخدامه لأسلوب كتابة العناوين (التيترات) بأسلوب الافلام القديمة ،مع شريط الصوت الذى نسمع منه عزفاً للحن وموال سكندرى على آلة الأكورديون** ،وتقديم علاقة الأصدقاء الثلاثة فى بداية الفيلم بقدر من العفوية والتلقائية وحب الحياة وهم يطوفون بشوارع المدينة داخل عربة «حنطور» أو يتعلقون بعربة «الرش» فى طفولة.

ولتنظر أيضا إلى الأم وهى تفرغ كل ألمها وقلقها وحزنها بالانخراط فى«غسيل الهدوم» عند الفجر (هناك فى فيلم «**ليه يا بنفسج**»

١٩٩٣- لرضوان الكاشف مشهد مماثل)، أو بيع الجارة حنيفة لمصاغها لمساعدة أسرة حودة على الرغم من تعرضها لبطش أبيها الضرير، أو المشهد الذى تم تصويره بأسلوب الحركة البطيئة لطيران «الطرابيش» والقبعات والورود، فى تحية إلى حودة الذى استطاع مصافحة الزعيم سعد زغلول، وإعادة نفس المشهد فى نهاية الفيلم عند انتصار حودة على غريمه الانجليزى.

كما أن الفيلم استطاع بذكاء أن يمزج بين لقطات أرشيفية (مأخوذة فى الأغلب من أفلام مصرية روائية) وصور فوتوغرافية حقيقية ، لأحداث ثورة ١٩١٩ ،مع لقطات وصور فوتوغرافية لشخصيات الفيلم)كما انعكست الرغبة فى الاستخدام الجمالي- وإن كان فى بعض الأحيان يقع فى الافراط والمبالغة-لأسلوب المزج أو الظهور والاختفاء التدريجيين ، بديلا عن القطع المونتاجى التقليدى ،فى محاولة لخلق ايقاع «غنائى» لأحداث ملحمية تستغرق فى الزمن الواقعى فترة طويلة تزيد علي عقد كامل من الأعوام.

من جانب آخر، فقد كانت تلك الفترة الطويلة التى تستغرقها الأحداث مأزقاً فى معالجتها ، فقد اضطر صناع الفيلم -فى نوع من الاستسهال-إلى كتابة لوحات تشير إلى توالي الأعوام، فى قفزات غير مبررة فى انتقالها من عام إلى آخر .**وفى الحقيقية أن معظم الانتقالات الدرامية فى الفيلم تبدو كأنها تتبع منطقاً عشوائيا أو غير متماسك** ، وتلك هى نقطة الضعف الجوهرية فى الفيلم ، قد يكون السبب وراءها هو سيناريو **مدحت العدل** الذى كان يعتمد فى معظم أفلامه السابقة (**مع خيرى بشارة** على نحو خاص ،مثل« **أمريكا شيكا بيكا** » و«**قشر البندق**» «**وإشارة مرور**) على حبكة مماثلة ، تدور حول شخصيات عديدة تتلاقى فى بؤرة واحدة ، وإن كان الحدث عنده يدور فى العادة خلال فترة زمنية قصيرة ،كانت تعوض فقدان التماسك الدرامى أو تخفيه ، **لكن سيناريو مدحت العدل هنا يبدو ممزقا مشتتا وهو يستغرق تلك الفترة الطويلة من الزمن ،حتى أنه يبدو مثل «طرطشات» الفرشاة على لوحة تم توزيعها هنا وهناك كيفما اتفق** . أو قد يكون السبب فى فقدان التماسك الدرامى هو أن الفيلم تعرض لمشكلات عديدة خلال تصويره ، وربما خلال مونتاجه ، أدت إلى نوع من التعديل والتغيير الدائمين ، إلا أن هذا الأمر أو ذاك لا ينفى أن المخرج **مجدى أحمد على** كان ينبغى عليه أن يتمتع بقدر أكبر من الحساسية والرقة فى معالجة النسيج الدرامى كما يبدو فى النهاية على شريط السليولويد.

وقد يقول البعض إن الفيلم كان يبحث عن نسيج درامى غير تقليدى ، بعيد عن الدراما المتصاعدة ، وقريب مما يطلق عليه الدراما الأفقية، وإن كان ذلك لا يبرر أن يكون للفيلم نسيجه الدرامى الخاص والمتفرد الذى يخلو هنا من رهافة الحس **ولتنظر إلى الانقطاعات الحادة فى السرد ، داخل المشهد الواحد** ، فحسن فى بدايته العابثة يحترف النصب على جنود الانجليز فيقص فى إحدى اللقطات خصلة من فراء خروف ليبيعها فى لقطة تالية إلى جندى إنجليزى زاعماً أنها خصلة من شعر الاسكندر لكن بين هاتين اللقطتين اللتين تمثلان حدثا واحدا يضع الفيلم مشهدا طويلا لعمل حودة داخل ورشة الموبيليا ، دون أن يكون هناك أى سبب درامى أو مبرر فنى لهذا الانقطاع . وهو الأمر الذى تكرر فى مشهد يذهب فيه بيترو إلى حودة ليخبره بالقاء القبض على صديقهما حسن ،ليذهبا بعد ذلك إلى الفتاة الارستقراطية ياسمين طالبين منها مساعدتهما فى الافراج عن الصديق ، لكن هذا الحدث يقطعه- دون مبرر أيضا- مشهد ذهب فيه بيترو إلى أبيه غطاس ،لتحدث بينهما مشاجرة لأن الأب قرر أن يتزوج من جارة لعوب، كانت تراود الابن بيترو عن نفسها ،مما يجعل المتفرج ينسى فى النهاية هذا الحدث أو ذاك!.

إن هذه الانقطاعات التى تكررت فى مشاهد عديدة داخل الفيلم جعلته يمضى دون أن يكون له ايقاع من أى نوع ،كما افقدته الاحساس بذلك «الجو العام» الذى كان ينبغى أن يغلف الفيلم من بدايته إلى نهايته .(فى الحقيقة إن الايقاع والجو العام هما من أهم وظائف المخرج، ولتنظر كيف استطاع مجدى أحمد على تحقيقهما مع كاتب السيناريو **محمد حلمى هلال** فى« **يا دنيا يا غرامى** »كما استطاع المخرج **عادل أديب** مع كاتب السيناريو نفسه فى« هيستريا ») . بل إن العديد من الأحداث قد تضيع من ذاكرة المتفرج ، داخل تلك السلسلة من تتابع أحداث لا يحكمها منطق فنى ، ليس فقط لأن الأحداث فقدت علاقتها الدرامية بما يسبقها وبما يتلوها ، وإنما أيضا لأنها لا تشكل أية ضرورة-أحيانا فى بناء الشخصية وتطورها ،**حتى أنه يمكن أن تحذف من الفيلم بعضا من مشاهده دون أن يفقد شيئا مهما** ، مثل المشهد الطويل لاغواء زوجة صاحب الورشة لحودة، وكأنها «نمرة» مستقلة لا تشير- رغم طولها المفرط المتعمد ، لأهداف تجارية بالطبع! -إلا إلى أن حودة رجل يرفض الخيانة ، ولتقارنها بمشهد آخر ترى فيه «نمرة» لتنكر حودة وبيترو فى زى رجال الشرطة ، وهما ينفذان عملية احتيال استأجرهما لتنفيذها البلطجى الوجيه ، لكى يقول لك الفيلم أن حودة قد استغرق فى فترة من حياته فى حالة من الضياع ، أو «النمرة» المجانية لالتقاط حسن لعاهرة «ممتلئة» ، يتضح له بعد أن يجردها من ملابسها أنها تستعين بكرات من القطن لتحشو به «مفاتنها» (!) فكل تلك المشاهد والنمر الطويلة تأتى فى تتابع لا يحكمه منطق التطور الدرامى للشخصيات نفسها.

لقد فقد الفيلم بذلك رهافة المعالجة ، لأنه فقد الهدف الحقيقى من صنعه ، ووقف حائرا بين أن يكون تجاريا يجمع نجما ومغنيا وممثلا كوميديا ، أو أن يكون فيلماً لشخصيات وأبطال عديدين فى لوحة بانورامية عريضة .وهى رهافة المعالجة التى كان ينبغى له بها أن يغزل شخصياته الرئيسية والثانوية معا فى نسيج رقيق ، فيبدا كأنه يقفز بها أحيانا ، ويتجاهلها أحيانا أخرى، ولتتأمل كيف أنك فى النهاية لن تعرف أبدا لماذا كانت الهزيمة هى مصير حودة فى ساحات الملاكمة وكيف تحول إلى الانتصار ، وهل هى قصة عن« **روكى** » أو « النمر الأسود » أم أنها تحمل دلالة رمزية على رحلة الوطن نفسه ،كما أنك لن تعرف لماذا سافر بيترو حول العالم ولماذا عاد وما الذى أحدثته رحلته فى تطور شخصية ، وما الذى جعل حسن ينتقل من العبث إلى الثورة لمجرد أنه سمع فى الحانة بأن سعد زغلول قد نفى أو عندما يموت صديق برصاصات الانجليز؟ (لكن لكى نكون أكثر وضوحا ، فإننا لا ننكر «امكانية» حدوث مثل هذه التطورات الدرامية ، أو أن يكون الفيلم ذا دلالة رمزية ، لكن **ما نؤكده هو أن الفيلم لم يلق بالا للتأمل الرقيق والدقيق ،مما أفقده مصداقيته ،حين جعلنا نرى الأحداث ولا نتفاعل معها ،لأن الفيلم نفسه رصدها من الخارج ،ولم يحاول أن يغوص فى عوالم ودوافع شخصياته).**

وإذا كان البعض قد تساءل عمن يكون «**البطل**» الحقيقى فى الفيلم ، فلم يعثروا عليه لأنهم لم يستطيعوا أن يصدقوا أيا من الشخصيات ، فإن التساؤل الحقيقى يجب أن يكون حول« البطل » الفيلم، وحول السبب فى صنعه، فذلك هو ما جعل الفيلم مجرد« طرطشات» لونية على شريط السليولويد ، لم تنجح فى أن تصنع منه فيلما تجاريا ، كما لم ترق به إلى مصاف الفن الرقيق ،كما أنه لم يستطع أن يكون فيلماً عن الماضى ، أو عن الحاضر الذى نعيش فيه.

فن تشكيلى

بينالى الخزف الدولى الرابع

فاطمة إسماعيل



عمل خزف — الشرنوبى محمد

* أنا والقلة

١-وأنا صغيرة كانت القلة هى إحدى تفاصيل يومى التى انشغل بها، كان على طبقا لنصيبى فى العمل فى المنزل أن أفرغ ما تبقى فى بطن القلل من ماء كل صباح وانظفها بالصابون- بناء على تعليمات أمى المشددة فى هذا الشأن- ثم أعيد ملئها مرة أخرى وكان يصيبنى الضجر من القلة ذات البطن المنتفخ حيث اقضى وقتاً أكثر لافرغ ما بداخلها ،كنت أفضل القلة ذات الشكل الانسيابى والملمس الناعم، غالبا ما كان لونها بيج وكانت بطنها صغيرة وتعيننى أكثر على انجاز مهمتى بنجاح وبسرعة اذا ما فاجاتنى أمى بالتفتيش ،كانت خطوات التفتيش تبدأ بأن تلف أمى بيدها تتحسس السطح الخارجى للقلة حتى تطمئن على نظافة الملمس، ثم تقترب بأنفها من فم القلة تشمة-كانت لديها قدرة فائقة لتمييز رائحة طينه الفخار النقية- ثم تطل برأسها داخل رقبة القلة لتتأكد أن شباك القلة لم ينكسر أثناء عملية التنظيف ، بعد ذلك تبدأ رحلة أمى مع الطربوش (غطاء القلة) فهو حسب الحالة المزاجية والمالية لها إذا كانت متيسرة ترسل أخى الكبير ليشترى طرابيش نحاسية ذات بريق ذهبى ، أو نيكل ذات بريق فضى وأما إذا كانت فى ضائقة فكان اخى يشترى الطرابيش البلاستيكية الملونة، وكنت أراها قميئة على القلة، بعض تلك الطرابيش كان ينتهى بتاج صغير والبعض كان ينتهى بتمثال لطائر رشيق، وكانت تلك الاضافات منفذة من خامة الطربوش.

٢- فى الظهيرة كنت وأختى نمثل مسرحا، ولانه لا يوجد العدد الكافى لتمثيل المسرحية كنا نستعين بالقلل القديمة التى استغنت عنها أمى لتجسيد الشخصيات الاضافية فنوزع الادوار حسب شكل القلة ولونها بين الرجل والمرأة والطفل، أما طرابيش القلل القديمة فكانت تعيننا على تحديد معالم الشخصية فكنا نثبتها اسفل القميص فنصبح آنسات لهن صدور بارزة فاذا ما رأتنا أمى يكون نصيبنا علقة ساخنة.

٣- بعد الظهر نفتح نوافذ الحجرات وتطلب منى أمى أن آتى بالقلل فى صينية معدنية وأضعهم على النافذة لتبرد الماء بداخلهم ،كنت وابنة عمى التى تقطن بالمنزل المقابل نلهو معا بالاختفاء والظهور بين فراغات القلل وكثيرا ما كنا نحرر القلل خلسة عن قواعدها ونعيد ترتيبها على النافذة بما يسمح لنا بمسافة حركة أكبر.

٤- فى المساء كانت زيارات جاراتنا لامى ويوما سمعت إحداهن تشكو من زوجهاالذى قذفها بالقلة فى وجهها أثناء الغذاء لانها سألته عن سبب تأخره بعد العمل فى اليوم التالى اختفت القلة من بيتنا وحلت الثلاجة ضيفة علينا.

*العلاقة الأولى:

تلك كانت علاقاتى الأولى بخامة الفخار وكان من الطبيعى أن تشهد تلك العلاقة نموا ما ولكن حقيقة ما حدث هو قطيعة كاملة بعد دخول الثلاجة منزلنا ولم يبق لى من الفخار الا ذلك الحنين البعيد ولم يعد بيننا لقاء الا من خلال المشاهد العابرة لزير أمام جامع أو بعض اللقطات السينمائية فى أفلام أو مسلسلات التلفزيون.

* بينالى الخزف الدولى:

اعتذر عن هذه المقدمة الكبيرة ورغم أنها تبدو خاصة ، إلا أننى أعتقد أن العلاقة الأولى مع الخزف كخامة وكفن وكتراث ثقافى تشكلت فى وجدان كثير من المصريين من خلال القلة والزير والبوكله الصعيدى والآنية. ولو لم يكن الأمر كذلك لظلت تلك الخامة فى حدود استخداماتها الوظيفية النفعية فى الحياة.

ومع انفصال الخزف عن الحياة، وتحوله إلى نص مستقل كانت الدعوة لضرورة تحطيم الإناء -قانون «**قتل الآباء**» لتحرير فن الخزف من أسر الوظيفة والقيم النفعية . وادراجه فى قائمة مقتنيات المتاحف وقاعات العرض.. **انعكس الأمر، وبعد أن كان الخزف يعرض فى المتحف كوثيقة تاريخية تحدد معالم تراثية لشعب بعينه أو فترة زمنية خاصة، أصبح فن الخزف ينتج داخل قاعات العرض لا يعبر إلا عن قيمته فى ذاته وقدرته على الحوار مع الفن كمفهوم وكنصوص مستقلة.** بهذا التحول تصور البعض أن خامة الخزف استعادت رقيها واحترامها بدخولها فى مجال النحت ، والاينستليشن ،والبيئى، بل والتصوير أيضا.

*** اذ هل كانت القضية تكمن فى التقنيات ، أم فى الانفصال عن الواقع وتحويل الخزف للفن الاستثنائى أيضا شأنه شأن الفنون الأخرى.**

* فكرة البينالى

وضع الفنان **محيى الدين حسين** فكرة البينالى منذ بداية التسعينات، وتحققت فى أول حدث لها تحت اسم **ترينالى الخزف الدولى -مايو ١٩٩٢** وترينالى تعنى تكرار الحدث كل ثلاثة سنوات ، ولكن بد الدورة الأولى وفى احتفالية توزيع الجوائز أعلن **محيى الدين حسين** قرار الوزير **فاروق حسنى** بتحويل الحدث من ترينالى إلى بينالى أي يقام كل

عامين بدلا من ثلاثة.**وحقيقة الأمر أننا لا نرى امتيازا إن جاء الحدث تريناليا أو بيناليا ،فالمهم هو قيمة ما يقدم** ،فالدوكومنتا تقام كل خمس سنوات وبالطبع هناك رؤية واضحة لتحديد مرحلة الحدث .. كذلك **ترينالى الحفر الدولى بمصر** ، وهو بحق من الاحداث الدولية الهامة والتى تؤكد فى كل دوره أن هناك قيمة مضافة .. عموماً هذا ليس بالأمر الهام إلا فيما يعكسة لنا من أن الأمور قد تسير بالانفعالات والحماس. **الفكرة فى حد ذاتها تستحق الاحترام والتقدير ، ولكن يبقى أن نتحاور حولها** إن افسح الفنان **محيى الدين حسين** صدره للحوار.

***لماذا لم نفكر فى استحداث شكل لاقامة الحدث يخص طبيعة واقعنا فى مصر؟.**

*** إلى متى سنظل نلهث وراء صيغ وضعها الغرب ،تآلفنا معها لفترة وقد آن الآوان لابتكار صيغنا وأفكارنا؟.**

لست من هواة الانتقاد ولا التبكيت ، ولكنى أطمع دائما فى الاستفادة من الإمكانيات ، فاذا كان لدينا الأموال لاستضافة الفنانين على أعلى مستوى من جميع أنحاء العالم «علماً بأن مشكلة التمويل هى أخطر مشكلة تواجه الاحداث الثقافية والفنية فى العالم ، وهو ما لا يحدث عندنا بتلك الصورة، إذ أن وزارة الثقافة ما زالت تدعم الفن حتى الآن» فيبقى الأمر فى كيفية إدارة الحدث واستحداث آليات له..

فمثلا بالنسبة لفن الخزف، جميعنا نعرف حى الفخارية بمصر القديمة ونعرف أن ورشهم تنتج هذا النوع من الفن الاستهلاكى والذى يتصل ويلتحم مع الواقع مباشرة، يعتمدون فى تشغيل أفرانهم على الخبرات البدائية حتى الآن، **لماذا لا يستبدل بينالى الخزف بورشة خزف دولية يكون موقعها هو حى الفخارية ، ويقيم فنانون الخزف من مصر ومن أنحاء العالم مع هؤلاء الفنانون أو الحرفيين بهذا الحى مدة شهر يتبادل فيها الطرفان الخبرة والفن ، ثم يعرض منتج الورشة فى نهاية عملها..**

قد يقول قائل ولكن هذا ليس دور البينالى أو الترينالى .فهذا دور تعليمى وعلى كليات الفنون التطبيقية مواجهته .. قد يكون هذا صحيحاً فى حالة إصرارنا على أن شكل الأحداث لابد أن يكون إما بينالى أو ترينالى ، وبالتالى يكون الرد منطقيا .. أما ونحن أحرار فى اختيار الشكل الذى يناسبنا **فلم لا تكون اختياراتنا دعوة ومحاولة جادة لإعادة الفن إلى الحياة ،وحتى هذا يدعو له العالم الآن.**

إذا التحم الفن بالواقع مع الانسان المصرى الذى ابتكر الفن كصيغة حياة معاشة قبل أن تفصله الحضارة اليونانية وتجعل منه



عماد أبو زيد

بينالى الخزف الدولى

وجودا استثنائيا ،**ألا يرى الفنان محيى الدين حسين أن إعادة فن الخزف إلى الشارع والانسان العادى هو الذى سيجعل منه رائدا حقيقيا لصيغة تخص ظرفنا الحاضر وتراثنا القديم.**

* الخطاب القديم:

ولكن كيف سيحدث ذلك ونحن ما زلنا نتحدث بأفعل التفضيل وبالثناء على كل ما نفعله واعتباره إنجازا لا يقارن وإعجازا لا تطوله الاعناق حتى نكاد نقول إننا «شعب الله المختار» .. هذا النوع من الخطاب الذى **لا يجعلنا نتأمل أو نكتشف الحلول البديلة** ، ولا الامكانات الممكنة !! من الجميل بالطبع أن نعى حجم حركتنا وأن نفخر ونفاخر بها، ولكن قليل من الشك والتوجس والمصارحة والمواجهة ، قد يصحح اتجاه تلك الحركة ويستثمر ايجابياتها فى موقعها الصحيح..

ولو استعرضنا ثلاثة مقدمات للفنان محيى الدين حسين وضعهم فى كتالوجات ثلاث دورات لبينالى الخزف الدولى ، سندرك المقصود بضروة التخلص من خطاب أفعل التفضيل.

المقدمة الأولى
مايو ٩٤

بعد أن تحقق الحلم وخرج ترينالى الخزف الدولى الأول للنور فى مايو ١٩٩٢ وبعد أن **حقق نجاحا فاق كل التوقعات من الأجانب الذين اشتركوا فيه وعدد الفنانين المصريين الذين اقاموا جناحا مصريا مشرفا** .فقد اشتركت خمس وعشرون دولة أجنبية .. ونحو سبعون فنانا أجنبيا وأربعين فنانا مصريا شاركوا جميعا فى إخراج حدث فنى دولى تفتخر به مصر ليس من حيث الكم فقط.. ولكن من حيث القيمة الفنية العالية التى تحققت فى كثير من الاعمال الخزفية التى أبدعها الفنانون من جميع الدول.. وشاهدنا تقنيات جديدة استحدثها الفنانون وكذلك أساليب فنية متعددة كان لها اثر كبير فى الارتفاع بالقيمة الفنية للحدث بعد أن اكتملت هذه الصورة وخرج الترينالى الأول إلى حيز إلى الوجود وكان رد فعل جمهور المشاهدين موثرا .. وكان رد فعل الفنان فاروق حسنى وزير الثقافة أيضا مؤثرا وفعالا.. فكان القرار الفورى بأن هذا العمل وهذا النجاح يستحق أن يكون كل عامين وليس كل ثلاثة أعوام أى بينالى بدلا من ترينالى وقد كان.

وهكذا نحن نعيش تجربتنا **الثانية متمنين لها نجاحا يفوق ما سبق لنا من نجاح فى التجربة الأولى** .وفى رأيى أن النجاح الحقيقى هو ما قد يظهر فى أعمال الفنانين المصريين من تطور وجدية فى الأعمال التى تقدم فى هذه الدورة .. فذلك أول هدف من أهداف هذه الاحتكاكات الدولية .. وثانى هدف هو لفت الأنظار إلى هذا الفن المهضوم فى هذا البلد العريق فى هذا المجال..

فيجب أن تكون ثمار هذا الجهد الفنى فى إخراج مثل هذه الاحتكاكات الدولية ايجابيا بالنهوض بهذا الفن ووضعه فى مكانه الصحيح.. وهذا لن يتأتى بهذه الجهود فقط ما لم يجد صدى وحماسا وجدية فى نفوس فنانى ومحبى هذا الفن.

اتقدم بشكرى وتقديرى لكل من ساهم فى هذا الجهد وشارك فى إنجاح هذا الحدث الدولى الكبير الذى أرجو أن يعود بكل الفائدة إلى مصرنا الحبيبة.

محيى الدين حسين

المقدمة الثانية
مايو ٩٦

ستة أعوام مضت فى تجربة إعداد مهرجان عالمى للخزف في مصر منذ الترينالى الأول فى

مايو ١٩٩٢ والآن ونحن بصدد افتتاح البينالى الثالث ١٩٩٦ **اشعر بكل الفخر والسعادة لهذا الحدث العظيم الذى أراه ينمو وينافس المهرجانات الدولية** العريقة فى هذا المجال وكم كانت سعادتى وجمع غفير من فنانى العالم يستفسرون متى عن بينالى القاهرة ويطلبون الاشتراك فيه ويهنئون بلدى بهذا **الحدث الذى تفتقر إليه كثير من الدول العظمى وباحصائية بسيطة نستطيع أن نرى مدى** صحة هذا النمو وأهميته ان تكون مصر فى مصاف الدول المتقدمة التى تنظم مثل هذه المهرجانات العالمية .ولتبرهن مصر عمليا على عراقتها وأهميتها على خريطة الثقافة والحضارة العالمية.

الترينالى الأول عام ١٩٩٢ ٢٥ دولة ١١٣ فناناً.

البينالى الثانى عام ١٩٩٤ ٣٧ دولة ١٩٧ فناناً.

واليوم نفخر بأن البينالى الثالث عام ١٩٩٦ ٤٧ دولة ٢٢٥ فنان.

هذه الأرقام ان دلت على شئ فإنما تدل على هذا **النجاح المضطرد وعلي تسابق فنانى العالم للمشاركة فى هذا الحدث العظيم.**

أهم ما يهمنا من ذلك كله هل استفاد فنانو مصر من هذا الجهد الذى يبذل من أجلهم ؟هل هناك تقدم واهتمام من فنانى مصر فى هذا المجال بعد أن أعطيت لهم الفرصة لمثل هذا الاحتكاك العالمى ؟هل استعاد هذا الفن موقعه أو كاد بعد اهتمام الدولة به ورصد جوائز قيمة له اعطاء فرصة للشباب تحت ٣٥ سنة لينفرد بتحكيم خاص وجوائز خاصة به؟.

هذه أسئلة هامة يجب أن تكون نصب أعيننا ونحن نقيم فاعليات ونتائج ما نقوم به وأخيرا اشكر الفنان وزير الثقافة على رعايته المباشرة **لهذا البينالى واشكر الفنان رئيس المركز القومى وكل معاونون لهذا الجهد العظيم لاخراج هذا البينالى على الوجه الأمثل.**

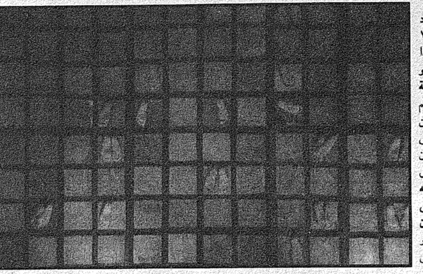
محيى الدين حسين

المقدمة الثالثة من أجل مصر

تأتى الدورة الرابعة لبينالى القاهرة الدولى الرابع للخزف **بنجاح فاق كل تصور** .يثبت يقينا أن مصر حاضنة أعرق الحضارات حينما تعلن للعالم عن دعوتها للانضمام لمحفل دولى لأحد الفنون. يتسابق إليها الفنانون من مختلف الأرجاء للاشتراك الفعلى باعمالهم لينالوا شرف التواجد فى هذا الحدث ،ولأن مصر الضاربة فى عمق التاريخ والتى استهلمت من الطين والرمال والاحجار فنونا رفيعة ساهمت فى صنع الحضارة المصرية والانسانية على مر العصور هى الداعية. فان فنانى العالم يسارعون للتلبية بغير حساب للجهد بالنفس أو المال . وهنا أذكر حقيقة .. أنه قد انتابنى قلق شديد بعد فاجعة الاقصر المؤلمة ان الدورة الرابعة سوف تفتقد التواجد الأجنبى، ولان التواجد الاجنبى هو أحد الاهداف والايجابيات المهمة لمثل هذه المحافل الدولية لاهمية الاحتكاك وتبادل الاراء واتساع الرؤية فقد كان قلقى لذلك كبيرا . ولأن مصر هى التى فى عيون العالم أجمع والتى مهما حاول النيل منها الحاقدون والمغرضون والمتخلفون ستظل فى ضمير العالم بلد العراقة والاصالة والامان . فقد كانت الاستجابة رائعة.. تخطت كل التوقعات وخيبت كل الظنون. لقد استجاب أكثر من مائتى فنان من كل الارجاء يمثلون تسعا وخمسين دولة.. هذا أن دل على شئ فانما يدل على أننا رواد لهذا الفن الذى كاد فى فترة من الفترات أن يندثر .. والذى أراد له بعض العاجزين أن يتوارى خلف الفنون الأخرى .. وكان بينالى القاهرة الدولى للخزف هو الرد العملى والحاسم على هؤلاء، والذى به انتعشت الحركة الخزفية في مصر.

أما فنانو مصر الشرفاء فقد اشتعلت أفرانهم والتهبت مشاعرهم وإبداعاتهم وسارعوا بالمشاركة الفعلية لكى يكون لمصر الحضور المشرف بصفتها الدولة الداعية لهذا المحفل الكبير.

لا يفوتنى فى هذا المقام أن اذكر التجربة الرائدة التى استحدثت فى البينالى الثالث أى منذ عامين وهى إقامة جناح خاص بالشباب ..حيث اعطيت لهم الفرصة كاملة من تحكيم مستقل وجوائز خاصة وعرض خاص. وقد كانت هذه التجربة مبشرة بالخير وظهر بعض الفنانين الشباب بمظهر مشرف جعلنا نؤكد هذه التجربة فى الدورة الرابعة.



عماد أبو زيد — **بينالى الخزف الدولى**

فالشباب هم الأمل فى مستقبل أفضل .. فالمستقبل هو الأهم وهو الهدف فهم الذين سوف يؤكدون كل الآمال ويحققون الهدف فى ازدهار هذا الفن الجميل لتكون مصرنا الحبيبة دائما فى المقدمة.

وفى النهاية أتقدم بالشكر لكل من ساهم فى إنجاح **هذا الحدث العظيم فكلنا نعمل من أجل غاية واحدة هى إعلاء شأن الفن المصرى فى أرجاء العالم.**

والله ولى التوفيق

محيى الدين حسين

قومسيير عام بينالى القاهرة الدولى للخزف.

الثلاث مقدمات التى استعرضناها ، تصلح أن تكون مقدمات سياسية أو دبلوماسية ، يكتبها وزير الثقافة أو رئيس المركز القومى كاحتفالية بالحدث، أما أن تكون مقدمة قومسيير فهذا ما لا نفهمه.. إذ أن المقدمة التى يعلنها هى نتاج ورشة تفكيره الخاص حول وجهة نظره فى الحدث، واهدافه ، وطموحاته، وقضاياه المثارة ، وتوجهه..**فهى العقد المعلن بين القومسيير وبين الفنان والمتلق، وهو بوصله التفكير لكل دورة..** أما أن يتم تسطيح الحدث حتى يصبح مجرد نشاط يمارس ويتحول البينالى لشكل اجرائى لممارسة النشاط . فهو ما نرجو أن يلفت النظر لاعادة التأمل.

فى العدد القادم سوف نتناول البينالى من خلال قضايا الخزف التى يطرحها .

* علاقة ما ينتجه الفنان خارج الاكاديمية وما يدرس داخلها.

* فن الخزف بين الخامة والتقنية والاستحداث.

* الخزف فن مستقل أم وسيط تقنى.





صلاة على روح نزار قبانى

ما كاد جثمان الشاعر العربى الراحل «نزار قبانى» يدلف إلى مسجد المركز الثقافى الاسلامى بلندن، بعد صلاة يوم الجمعة أول مايو ١٩٩٨ ، لكى يقوم أهله وأصدقاؤه والمعجبون بشعره بصلاة الجنازة عليه، حتى اعترض طريقهم أحد المتشددين الاسلاميين ، ليعلن أن «نزار قبانى» ليس مسلما ، وان الصلاة علي جثمانه لا تجوز.. وسانده آخرون فى عملية كان واضحا ، أنها مخططة سلفا ، اثارت الارتباك فى صفوف المصلين ، وكادت تتحول إلى اشتباك بينهم وبين المعارضين فى الصلاة على الجثمان ، إلى أن حسم مدير المسجد المشكلة ، فأعلن أنه لا توجد جهة من سلطتها أن تصدر شهادة بمدى اسلام كل مسلم يموت ، لتكون أساسا للسماح بالصلاة على جثمانه و على الذين يجدون فى أنفسهم شيئا على الميت أن يتنحوا عن الصلاة عليه، إذ هم ليسوا ملزمين بذلك، لأن صلاة الجنازة، فرض كفاية، اذا قام بها البعض ، سقطت عن الباقين.

وانتهت المناقشة، بحل وسط ، فاقيمت الصلاة فى الباحة الخارجية للمسجد ، وانسحب المعارضون منها، بعد أن تسببوا فى فضيحة دولية للمسلمين، ظلت أجندة الاعلام العالمية التى كانت تتابع الجنازة تتحدث عنها أسابيع طويلة فى بلد يزدحم بمن يتصيد أخطاء المسلمين ، وينفخ فيها النار، ويسعى لتصوير الاسلام نفسه ، كدين تتصادم تعاليمه مع الحضارة والتقدم، وتحرض على القتل، وتصادر حرية المسلمين وغير المسلمين، وتشعل المحارق وتفتل المشانق ، لكل من يجتهد برأى، أو يقول بيت شعر أو يرسم لوحة .

والاسباب التى استند إليها الذين عارضوا فى الصلاة على نزار قبانى ، تدعو للعجب ،وتقدم نموذجاً للعقلية التى يفكر بها هؤلاء المتزمتون، ففى رأيهم أن نزار لم يسخر شعره لخدمة الاسلام والمسلمين ، بل سخره لشعارات القومية العربية والحب والمحبوبين وأن بعض مصطلحاته كانت تشيع الفسق والفجور ،مثل قوله «يا ولدى قد مات شهيدا من مات فداء للمحبوب » ،وأنه كان يسخر فى شعره من القدر خيره وشره ، وان مواقفه من الهرولة لتطبيع العلاقات مع إسرائيل ورفضه الانبطاح والخضوع للهيمنة الأمريكية لا تشفع له، لأن هذه المواقف لم تحقق ما طالب به!.

ومعنى هذا الكلام الخائب أنه لو حدث وتولى مجتهدو آخر الزمان هؤلاء حكم بلاد المسلمين ، فسوف يحرقون ديوان الشعر العربى كله ، ويمنعون الصلاة على كل الأدباء والفنانين والمفكرين الذى يدعون للقومية العربية، أو لغيرها من الأفكار التى لا تتطابق مع فهمهم السطحى والمبتذل للاسلام ، وهو أمر تدل كل الشواهد على أنه لن يحدث، سواء بالنسبة لهم أو لغيرهم من الأصوليين الاسلاميين ، لانهم بما فعلوا ويفعلون لا يصدون المسلمين عن دين الله فقط، بل ويحرضون كذلك ضدهم ، ويعطون اعداءهم الذريعة لاقتلاع المسلمين من فوق خريطة الدنيا ، وبذلك لا يصبح هناك مسلمون لكى .. يحكمونهم ، ولا تعود هناك حضارة إسلامية لكى يدمروها..

ورحم الله نزار قبانى ، الذى عاش حياته يحلم بوطن حر، لا يعاقبه حكامه لأنه قال قصيدة ، أو رسم فراشة ، فإذا ببعض ابناء هذا الوطن، يجهضون حلمه حيا .. وميتا.

صلاح عيسى

اينستليشن من الخزف والمعدن للفنان شادى النشؤاتى

عمل خزفى للفنان ضياء

اينستليشن من الخزف — الفنانة تهانى العادلى

عمل خزفى - فن الأرض Art Land — للفنان معتز نصر